# IUSU3034

# الفرق الإسلامية

## المحتويات


الدرس الأول : (مقدمة في دراسة الفرق)

الدرس الثاني : (الحديث الوارد في افتراق الأمة وأسباب التفرق)

الدرس الثالث : (التعريف بالخوارج وأهم فرقهم)

الدرس الرابع : (أصول الخوارج ومنهجهم وانتشار أفكارهم)

الدرس الخامس : (المرجئة وأصول معتقداتهم ونقضها)

الدرس السادس : (التعريف بالرافضة ونشأتهم وفرقهم)

الدرس السابع : (قول الرافضة في الإمامة)

الدرس الثامن : (قول الرافضة في عصمة الأئمة)

الدرس التاسع : (قول الرافضة في الرجعة)

الدرس العاشر : (قول الرافضة في التقية)

الدرس الحادي عشر : (موقف الرافضة من القرآن الكريم)

الدرس الثاني عشر : (الرافضة في العصر الحاضر وموافقتهم لأسلافهم)

الدرس الثالث عشر : (تعريف الباطنية ونشأتها وفرقها)

الدرس الرابع عشر : (أسماء الباطنية ومنهجهم في الدعوة إلى مذهبهم)

الدرس الخامس عشر : (عقائد الباطنية)

الدرس السادس عشر : (التعريف بالجهمية ومعتقداتهم)

(مقدمة في دراسة الفرق)

عناصر الدرس

العنصر الأول : تعريف الافتراق، وبيان أهمية دراسة الفرق

العنصر الثاني : التحذير من الأهواء والافتراق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

## أ. تعريف الافتراق لغةً واصطلاحًا:

الافتراق في اللغة خلاف الاجتماع، والفرق خلاف الجمع، جاء في (لسان العرب) فَرَقَ: الفرق خلاف الجمع فرقه، يفرُقه فرْقًا وفَرَّقه، وقيل: فرَّق للصلاح فرقًا، وفرق للإفساد تفريقًا، وانفرق الشيء وتفرَّق وافترق، قال الله -تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: 103] يعني: لا تفرقوا بعد الاجتماع، وقال تعالى في الزوجين المختلفين: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾ [النساء: 103] أي: يفارق أحدهما الآخر؛ فجعل الافتراق خلاف الاجتماع ونقيضه، ومنه قوله ﷺ: ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا)) أي: من مجلسهما، فينفصل أحدهما عن الآخر.

والافتراق الانقسام، والفرق القسم والجمع أفراق، والفِرق بالكسر الفِلق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: 103] والفرقة: الطائفة المفارقة، والمفارقة: المباينة، وفارق الشيء مفارقة وفراقًا باينه، والاسم الفرقة، وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضًا، وفارق فلان امرأته مفارقة أي: باينها، والفرقة تُطلق على الطائفة من الناس، والفرق التفريق بين الشيئين، والفصل بينهما.

هذه بعض المعاني التي ذكرت في (لسان العرب) في تعريف هذه الكلمة في اللغة، وجاء كلام كثير حول هذا.

أما **تعريف الافتراق في الاصطلاح**: فالافتراق في الاصطلاح يُطلق على أمور منها:

التفرُّق في الدين والاختلاف فيه، ومن ذلك ما جاء في قول الله -تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾، ومنه قوله ﷺ: ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو ثنتين وسبعين فرقة))، وهو الاختلاف في الأصول واختلاف التضاد المؤدِّي إلى التنازع في الدين والخروج عن السنة.

والافتراق في الشرع أيضًا يُطلق على الافتراق عن جماعة المسلمين، وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول ﷺ والصحابة، وهم أهل السنة ومن كان على هديهم بعد

ظهور الافتراق؛ فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج، أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم؛ فهو مفارق، ومنه قوله ﷺ: ((من فارق الجماعة شبرًا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه))، ومنه قوله ﷺ: ((من فارق الجماعة وخرج من الطاعة فمات؛ فميتته جاهلية))، ((ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برَّها وفاجرها، لا يحاشي مؤمنًا لإيمانه، ولا يفي لذي عهد بعهده؛ فليس من أمتي))، ((ومن قُتل تحت راية عمية يغضب للعصبية، أو يقاتل للعصبية، أو يدعو إلى عصبية؛ فقتلته جاهلية))، ولفظ مسلم: ((مَن خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات؛ مات ميتة جاهلية...)) إلى آخر ما جاء في الحديث.

وقد ذكر الحديث أصنافًا من المفارقين الخارجين، وهم المفارقون للجماعة، والخارجون من الطاعة، والخارجون على الأمة بالسيف، والمقاتلون تحت راية عمية، وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، ومنه قتال العصبية وقتال الفتنة، ومنه القوميات والشعارات والقبليات والحزبيات ونحوها، كل ذلك داخل في المفارقة والأهواء، وكل هذه الأصناف وُجدت في أهل الافتراق والأهواء والفرق المتفرقة المفارقة.

**والتعريف الشامل للافتراق في الاصطلاح**: هو الخروج عن السنة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقادية منها أو العملية، أو المتعلقة بالمصالح العظمى للأمة، ومنه الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم بالسيف، وأهل الافتراق هم أهل الفرق والخلاف، وهذه الفرق فرق مخالفة لطريق السنة والجماعة، مفارقة لأئمة المسلمين وجماعتهم، سالكة غير سبيل السنة وأهلها، مباينة لنهج السلف الصالح}.

وهؤلاء منهم أصحاب السيف الذين خرجوا على أئمة المسلمين، ومنهم أهل جدل وخصومات في الدين، ومنهم أهل كلام وأصحاب بدع ومحدثات كالخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، والمشبهة، والمتصوفة، والباطنية، والفلاسفة، ومَن سلك سبيلهم، فإن كل طائفة تفرَّعت عنها فرق ولا تزال.

وفي العصور المتأخرة ظهرت أهواء حادثة كأصحاب الاتجاهات الحديثة المنحرفة، كالقومية، والبعثية، والعلمانية، والحداثة، والشيوعية ونحوها، فهؤلاء جميعًا في سبيل الفرقة والاختلاف.

وأهل الافتراق والأهواء كلهم أصحاب بدع، وهذه البدع إما أن تكون اعتقادية، أو قولية، أو عملية، أو تجمع بين هذه المسائل كلها، وأصحاب البدع في الجملة: هم أهل افتراق وأهواء، فالبدعة مقرونة بالفرقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "والبدعة مقرونة بالفُرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفُرقة"؛ فالفُرقة أعظم سمة من سمات أهل البدع والأهواء، ومن كان على السنة، وتلبس ببدعة غير مغلظة، و لم يكن داعية لها؛ فلا يخرجه ذلك عن السنة، كحال قتادة في قوله بالقدر، وعبد الرزاق بن همام والحاكم النيسابوري في التشيع –رحم الله تبارك وتعالى الجميع.

## ب. أهمية دراسة الفِرَق:

دراستنا في الحقيقة للفرق ليس إقرارًا أو فرحًا بها، أو شماتةً على الآخرين، وإنما نحن ندرسها مع أسفنا الشديد للتفرق الحاصل بين المسلمين، ونرجو من وراء هذه الدراسة أن نُحقق أهدافًا طيبة في خدمة الإسلام، وفي كسر حدَّة الخلافات التي مزَّقت المسلمين، وجعلتهم يصيرون إلى فرق وشيع وأحزاب، ونهدف كذلك من وراء هذه الدراسة إلى جمع كلمة المسلمين، بترك التفرق والاختلاف، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم؛ ليبتعدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة، لأن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، ولا شكَّ أن هذا نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالَّة بالمسلمين.

ولا يحتاج المسلمون لجمع كلمتهم، وإعادة مجدهم وانتصارهم على جحافل الكفر والطغيان إلا إلى العودة الصادقة، والنية الخالصة؛ لأن الأسس التي قام عليها عز الإسلام والمسلمين فيما سبق لا تزال قائمة قوية جديدة على مر الأيام والليالي.

وأنا أعني بهذه الأسس أمرين فحسب: ألا وهما كتاب الله –تبارك وتعالى–وسنة الرسول، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها، وهذه كلمة جاءت وذكرت منسوبة إلى إمام دار الهجرة، الإمام مالك بن أنس –رحمه الله تبارك وتعالى.

وتلك الأهداف التي نتطلع إلى تحقيقها من وراء دراستنا للفرق كثيرة غير أني سأذكر هنا أهم هذه الأهداف وهي كما يلي:

**أولًا:** تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمَنَعة، حينما كانوا يدًا واحدة، وقلبًا واحدًا.

**ثانيًا:** لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم.

**ثالثًا:** توجيه الأمة الإسلامية إلى الوَحدة فيما بينهم، وذلك بالتركيز على ذمِّ التفرّق وبيان مساوئه، وبيان محاسن اتحاد المسلمين وجمعهم على طريق واحد.

**رابعًا:** تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزَّقتهم فيما سبق من الزمان؛ ليجتنبوها بعد أن يتدارسوها فيما بينهم بعزم قوي، وصدق نية.

**خامسًا:** معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء مخالفة لحقيقة الإسلام.

**سادسًا:** رصد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوي والصراط المستقيم؛ لتعرية دورهم الخطير في تفريق وحدة الأمة الإسلامية، بتعريف الناس بأمرهم وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم، وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها، ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تامّ، فلكل قوم وارث.

بل إنني أستطيع أن أقول: إن الفِرق التي تحدث وتجدّ وتظهر بين الحين والآخر تمتدّ أصولها إلى جذور سابقة، فلا بد من تعرية ما سبق وبيان حقيقته حتى إذا ظهر فِكر أو منهج، يكون قد استقى أفكاره وعقائده من هذه الفرق التي سندرسها، ويعرف أهل الإيمان أن هناك وجه شبه قريب، وارتباطًا ليس ببعيد بين هذه الفرق الحادثة وبين الفرق القديمة المناوئة التي واجهها وتكلم عنها أئمتنا –رحمهم الله تبارك وتعالى.

**سابعًا:** من الأمور التي تجعلنا ندرس هذه الفرق أن نعرف الفرقة الناجية التي اهتدت بهدي الحق، وابتعدت عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة الصحيحة.

**ثامنًا:** وصْل حاضر الأمة بماضيها وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم، والتي أدَّت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها، وللرّدّ على أولئك الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم.

**تاسعًا:** إن دراستنا للفرق، وإن كان يبدو عليها أنها بمثابة جمع لتراث الماضين، فإنه يُراد من وراء ذلك دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدراسته وفحصه، واستخراج الحق من ذلك، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة، أو يفرق كلمتهم، وهذا فيما أرى هو أنجح الطرق وأقربها إلى إشعار المخالفين بالإنصاف وطلب الحق؛ للاستدلال على خلافهم وخروجهم عن الصواب من كتبهم، ومن كلام علمائهم لقطع كل حجة مخالفة بعد ذلك.

## جـ. الرد على القائلين بعدم جدوى دراسة الفرق:

هنا لا بد أن أجيب بعد ذلك عن شبهة عرضت لبعض الناس، وربما يردّدها أيضًا البعض بحسن نية، والبعض قد يردّدها بسوء نية، والله أعلم بالنوايا، وهذه الشبهة عُرضت في السؤال التالي: لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت، وربما لم يَعُدْ لها ذكر على الألسنة، وقد ردَّ العلماء قديمًا وحديثًا على هذه الفرق؟ هذه هي الشبهة.

**والجواب على هذه الشبهة** أن أقول أولًا: إن هذا التساؤل قد انطوى على مغالطات خفية، ونية سيئة، أو جهل شنيع؛ وذلك لأن هذه الفرق -وإن كانت قديمة- فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزمانهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر، فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية، نجد أن لها امتدادًا يسري في الأمة سريان الوباء.

وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة؛ ففرقة المعتزلة أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدَّق بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية، فراحوا يُمجدون العقل، ويحكّمونه في كل الأمور، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء، وما كتب المعتزلة التي نُشرت بعد منتصف القرن الماضي إلا تأكيد على ما أودُّ أن أصل إليه من أن البعض يُحاول أن يُعيد تراث السابقين، فكتب المعتزلة، وعلى رأسها كتب القاضي عبد الجبار نُشرت في القرن الماضي.

وهؤلاء في الحقيقة يريدون بذلك الخروج عن النهج الإسلامي، ولكنهم لم يجرءوا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام هو خير وسيلة لتحقيق ذلك، إلى جانب أن كل الأفكار والآراء التي سبقت لها أتباع يُنادون بتطبيقها؛ فالنزعة الخارجية وتنطّع البعض في الدين، واستحلال دماء

المسلمين لأقل شبهة، والتكفير الواقع اليوم ويدعو إليه أناس من جلدتنا، وهو واقع في المجتمعات الإسلامية. كل ذلك مأخوذ من فكر الخوارج السابقين. كذلك أيضًا نحن نرى التصوف الغالي، وقد اقتطع من المسلمين أعدادًا من المثقفين وغير المثقفين، ممن جرفهم تيار التصوف الخرافي، فراحوا ينادون بالجهل والخرافات واتباع المنامات، وتحضير الأرواح ومعرفة المغيبات، وتعظيم الأشخاص والغلوّ فيهم.

وهؤلاء لهم سلف فيما مضى من الباطنيين والمتشيعين، وغير ذلك.

وعلى هذا فدراستنا هذه وإن كانت في ظاهرها دراسة للماضي، ومراجعة للتاريخ لفرق المبتدعة الذين جَنَوا على ماضي المسلمين إلا أنها دراسة حاضرة كذلك، من حيث إنها تكشف جذور البلاء الذي شتّت قُوى المسلمين وفرقهم شِيَعًا، وجعل بأسهم بينهم شديدًا، بل هي نور يضيء لشبابنا طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل، الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام وشانئيه، بتوجيه الأنظار إلى تلك الفرق التي تعمل في الظلام؛ لنشر أفكارها وفرض مخططاتها المعادية للإسلام، إلى جانب أن دراسة هذه الفرق وتعريتها يدفع المسلمين بعد أن يعرفوا فساد ما هم عليه إلى الاجتماع واتحاد الكلمة، وهذا فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية عندما ينضمُّ إليها بعض المخالفين لها، بعد أن يهديهم الله ﷻ إذا عرّينا لهم هذه الفرق التي ينتمون إليها، أو يميلون إلى أفكارها.

أضف إلى ذلك أن ترك الناس دون دعوة إلى التمسّك بالدين الصحيح، ودون بيان أدوار الفرق المخالفة فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت ما من فرقة منها إلا وقد قامت أصولها على كثير من المنكرات، وهي تدَّعي أنها هي المحقة، وأنها على الحق والصراط المستقيم، وما عداها في ضلال وانحراف عن الطريق القويم، وهؤلاء قد ألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة، في أثواب برَّاقة لترويج بدعهم والدعوة لها؛ ولذلك نحن ندرس الفِرَق لذلك، ونبيّن لمن يقول بأنه لا جدوى من دراسة الفرق، نبين له ونقول: إن دراستنا للفرق في هذا العصر أمر مهم، وضروري لما سبق أن ذكرته.

سأذكر ما جاء في كتاب الله ﷻ من بيان أن الافتراق والاختلاف أمره خطير وعظيم، وكذلك سأذكر تحذير النبي ﷺ أمته من الافتراق، كما سأشير إلى بعض أقوال السلف الواردة في ذلك، ولهذا سأصير وِفق النقاط التالية:

## أ. بيان النهي الوارد في القرآن الكريم عن الوقوع في التفرق والاختلاف:

نحن إذا نظرنا إلى كتاب الله -تبارك وتعالى-الكريم سنجد أن الله ﷻ بيَّن لنا أن الاختلاف واقع لا محالة، وأنه سنة من سنن الله التي لا تتبدَّل ولا تتغير في كل الأمم وجميع الناس، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تنهى عن الاختلاف والتفرق وتحذّر منه، وتتوعَّد المفترقين وتحذر مما وقع فيه أهل الكتاب والأمم السابقة التي افترقت، واختلفت، وانقسمت إلى شيع وأحزاب بعد ما أنزل الله ﷻ إليهم القرآن، والله ﷻ قد أرسل الرسل، وأنزل الكتب حتى يجتمع الناس على الحق الذي جاء من عند الله تعالى وحده دون سواه.

والآيات الموضحة لذلك كثيرة منها: ما جاء في قول الله -تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]، فالصراط المستقيم: هو القرآن والإسلام والفطرة التي فطر الله الناس عليها، والسبل: هي الأهواء والفرق والبدع والمحدثات قال مجاهد -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني: البدع والشبهات والضلالات.

وهذا تحذير وإخبار ووصف لسبل الضلالة والغواية التي يستهوي دُعَاتها الناس، وقد أشفق النبي ﷺ على أمته، وبيَّن لها وحذرها، وفسَّر لها أن المراد بالصراط المستقيم هو كتاب الله ﷻ كما فسر الصراط المستقيم أيضًا بالإسلام، وكلاهما مأثور عن النبي ﷺ ففي حديث النواس بن سمعان > عن النبي ﷺ قال: ((ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنباتي الصراط سوران، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مُرخاة، وداعٍ من فوق الصراط، وداعٍ على رأس الصراط؛ فالصراط المستقيم هو الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم، فإذا أراد العبد أن يفتح بابًا من تلك الأبواب دعاه الدَّاعي يا عبد الله لا تفتحنَّه، فإنك إن فتحته تلج)) وهذا الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي، وصَححه -رحمه الله تبارك وتعالى.

وقد أخبر الله ﷻ أن الذين يتبعون المتشابه هم أهل الزيغ والفتنة، وهم أهل الأهواء والافتراق، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: 7].

ونهى الله -تبارك وتعالى- هذه الأمة عما وقعت فيه الأمم السابقة من الاختلاف والتفرق، من بعد ما جاءهم البينات، وأنزل الله إليهم الكتب، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:105]. وقد توعَّد الله ﷻ المفترقين المختلفين بالعذاب العظيم، كما بيَّن تعالى حال المفارقين، وهم أهل الأهواء والبدع فقال: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: 106] قال ابن عباس {: "تبيض وجوه أهل السنة، وتسودّ وجوه أهل البدعة".

ومن سنن الله تعالى التي حكمٍ فيها بين عباده: أنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، وأنه كتب ذلك عليهم ابتلاء، فلا رادَّ لقضاء الله سبحانه قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: 118]، وأخبر سبحانه على سبيل التحذير بخوض طوائف من هذه الأمة فيما خاضت فيه الأمم السابقة من الأهواء فقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ [التوبة: 89]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقوله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ﴾ إشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العصاة وقوله: ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ إشارة إلى اتباع الشبهات، وهو داء المبتدعة.

وقد ذمّ الله -تبارك وتعالى- الطائفتين المختلفتين جميعًا في الآيات الآتية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: 118، 119] فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: 176]، وكذلك قوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ [آل عمران: 19]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [آل عمران: 105].

### ب. تحذير النبي ﷺ أمته من الافتراق والأهواء والبدع، وإخباره عن وقوعها:

والنبي ﷺ لم يدع شيئًا من الخير إلا دلَّ الأمة عليه، وأرشدها إليه، وبينه لها، كما أنه ﷺ لم يدعْ شيئًا من الشر والرَّدى إلا حذَّر الأمة منه، ونهاها عن سلوك طريق الغواية والضلالة والبدع والمحدثات، وبيَّن ذلك. وقد أخبر ﷺ بوقوع الافتراق واتباع سنن الأمم الهالكة من قِبَل طوائف من هذه الأمة؛ حتى لا يبقى على السنة إلا طائفة واحدة، وأنذر من سلك سبيل أهل الأهواء، واستجاب لدعاة الضلالة والبدع، أنذرهم وتوعَّدهم كما أمر بلزوم السنة والجماعة.

قال ابن تيمية –رحمه الله: وهذا الأصل العظيم، وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا، وألا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، وما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة، وذلك كقوله: ((وعليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة)). وكقوله: ((فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد))، وكقوله: ((من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة قِيد شبر؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه))، كما قال ﷺ: ((من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يُريد أن يفرق جماعتكم، فاضربوا عنقه بالسيف كائنًا من كان)). وقال أيضًا ﷺ: ((يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم)).

وكل ذلك فيه دعوة صريحة إلى جمع الكلمة وعدم التفرق والاختلاف، فهذه الأحاديث التي وردت في ترك التفرق والاختلاف، وعدم الخروج على وليّ أمر المسلمين واضحة الدلالة على وجوب الاجتماع على الكتاب والسنة، وعلى عدم الخروج على الصراط المستقيم.

والنبي ﷺ قد أخبر عن وقوع الأمة في الافتراق والأهواء، وحذَّر من ذلك في أحاديث كثيرة، أذكر هنا بعض هذه الأحاديث، فمن ذلك ما جاء في الصحيحين وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري > قال: قال رسول الله ﷺ: ((لتتبعن سَنَن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله ﷺ اليهود والنصارى؟ قال: فَمَن؟)). كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة > أن النبي

ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرًا بشبر، وذراعًا بـــذراع، فقيل: يا رسول اللهﷺ كفارس والروم؟ قال: ومن الناس إلا أولئك)).

قال شيخ الإسلام –رحمه الله: "فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصـــارى، وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم، وهم الأعاجم. وقد كان ﷺ ينهى عـــن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخبارًا عن جميع الأمة بل قد تواتر عنه ﷺ أنه قـــال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة)) وهذه بشـــرى عظيمـــة للغاية تُبيّن أن المنهج بفضل الله –تبارك وتعالى– سيظل قائمًا إلى أن تقـــوم الســـاعة، وإشارة إلى أن هناك قومًا من هذه الأمة سلكوا الصراط المستقيم، وتمسَّكوا بما كان عليه النبي الأمين ﷺ وقد أخبر النبي ﷺ أنهم طائفة ظاهرة منصورة متمسكة بالحق إلى قيـــام الساعة.

وهذا يدعونا إلى عدم اليأس، بل يدعونا إلى التفاؤل، ولكنها نصيحة على عموم الأمـــة أن يعرفوا هذا المنهج، وأن يلتفُّوا حول هذه الجماعة الأم المتمسكة بـــالقرآن الكـــريم، والسنة النبوية المطهرة.

## جـــ. تحذير السلف من الأهواء والبدع والافتراق، وإخبارهم عن وقوع ذلك:

بعد أن ذكرت تحذير القرآن الكريم عن الأهواء والافتراق، والقرآن الكريم قد أخبر الله فيه بوقوع ذلك في هذه الأمة، وقد أشرت إلى أن النبي ﷺ أيضًا أخبر بذلك، وقد حذر من هذا، كما أخبر القرآن الكريم والسنة، كذلك سلف هذه الأمة }ســـلكوا نفـــس المسلك، فحذَّروا من البدع والأهواء، وأخبروا وأنذروا بوقوعها، ولما وقعت لم يقفـــوا مكتوفي الأيدي أمامها، ولكنهم عملوا على صدِّها، بل تصدوا لها بالفعل، وقاموا بالأمر بالمعروف ونصح الأمة، وحذروها من هذه البدع والأهواء. ولا شكَّ أنه وردت أقوال كثيرة في ذلك، والكلام في هذا يطول. ولكني لا بد من أن أذكر بعض الأقوال الواردة عن سلف هذه الأمة الصالحين، وبعض هذه الأقوال ذكرها بعض الخلفاء الراشـــدين، وحذروا فيها من البدع والافتراق والأهواء.

ومن ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب > وذلـــك أنـــه قـــال: "إيـــاكم وأصحابَ الرأي، فإن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديـــث أن يحفظوهـــا

فقالوا بالرأي؛ فضلوا وأضلوا"، ولا شك أن هذه كلمات متقنة من أمير المؤمنين >، وقد حدث هذا بالفعل، فقد رأينا بعد عهده وفي أخريات القرن الأول وبعد ذلك، رأينا أناسًا يردُّون الأحاديث، ويأخذون بمتشابه الآيات، ويضربون القرآن الكريم بعضه ببعض، هذا قد وقع بالفعل، وقد حذر منه سلفًا أمير المؤمنين >، وقد قال أيضًا: "سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله -تبارك وتعالى".

كما أن عبد الله بن مسعود > أوصى هذه الأمة وصيَّة بليغة عظيمة، قال فيها: "إنها ستكون أمور مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل يكون تابعًا في الخير خيرٌ من أن يكون رأسًا في الضلالة".

وقال أيضًا >: "إياكم وما يحدث الناس من البدع، فإن الدين لا يذهب من القلوب مرة، ولكن الشيطان يُحدث له بدعًا حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة، والصيام والحلال والحرام ويتكلمون في ربهم ﷻ فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب، قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: إلى لا أين، قال: يهرب بقلبه ودينه، لا يجالس أحدًا من أهل البدع"، هذه وصية عظيمة من هذا الصحابي الجليل الفقيه > أن ينصرف الناس عن البدع، وألا يُجالسوا أهلَها بحال من الأحوال، وأن يلزموا ما جاء في كتاب الله، وهدي النبي ﷺ.

كما قال سعيد بن المسيب -رحمه الله: "إذا تكلم الناس في ربهم وفي الملائكة؛ ظهر لهم الشيطان فقدمهم إلى عبادة الأوثان".

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله: "السنة إنما سنها من علم ما جاء في خلافها من الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم -يعني: أن الصحابة رضي الله عنهم لا شك أنهم أفقه وأعلم وأعرف بدين الله -تبارك وتعالى-ولو كان في هذه الأهواء، شيء نافع لسلكه صحابة النبي -عليهم الصلاة والسلام- ولكنهم لزموا السنة لما عرفوا، وعلموا أن ما خالف السنة فهو بدعة وهو ضلالة.

ولذلك قال رجل لابن عباس رضي الله عنه: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئًا من الخير، وإنما سمي هوًى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار".

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حجرين، فوضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: "تأملوا هذه الكلمات من حذيفة رضي الله عنه وهذا في الحقيقة مثال عملي تطبيقي يستخدم فيه حذيفة رضي الله عنه وسيلة من الوسائل، أخذ حجرين رضي الله عنه ثم وضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا: يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلًا. قال: والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يُرى من الحق إلا قدر ما ترون ما بين هذين الحجرين من النور، والله لتفشونَّ البدع حتى إذا تُرك منها شيء قالوا: تركت السنة".

وقال أبو العالية: "عليكم بسنة نبيكم ﷺ والذي كان عليه أصحابه، وإياكم وهذه الأهواء التي تُلقي بين الناس العداوة والبغضاء"، ولا شك أن هذه فائدة؛ فالأهواء تفرّق الأمة، وإذا تفرقت حدث بينها من الشحناء والبغضاء ما حدث.

وقال أيضًا شريح القاضي -رحمه الله: "إن السنة قد سبقت قياسكم فاتبع، ولا تبتدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر" هذا قول عظيم جدًّا، فالذين يتبعون السنن والآثار لا يُمكن أبدًا أن يضلوا، وكيف لهم أن يضلوا؟! وقد اتبعوا ونهجوا نهج النبي ﷺ.

ومن هنا قال الإمام الشعبي -رحمه الله- كلمة مبينًا فساد ما عليه أهل الأهواء، ومن يستخدم الرأي في الدين تاركًا كتاب الله وهدي رسوله ﷺ يقول الشعبي: "إنما الرأي بمنزلة الميتة إذا احتاج الإنسان إليها أكلها، والرأي في الدين مبناه في الحقيقة على الهوى، والدين مبنيٌّ على الوحي ولا مجال فيه للاجتهاد".

والكلام حول هذا يطول مما جاءت به الآثار عن سلف هذه الأمة ينصحون فيه هذه الأمة، ويحذرونها من الافتراق والاختلاف.

## (الحديث الوارد في افتراق الأمة وأسباب التفرق)

### عناصر الدرس

العنصر الأول : حديث افتراق الأمة، وكلام العلماء حوله

العنصر الثاني : أسباب الافتراق، ونتائجه

## أ. ذِكْر بعض الروايات الواردة في حديث الافتراق:

سأذكر بعضَ الروايات التي جاء فيها ذكر حديث الافتراق، وهذا الحديث بنى عليه العلماء الكلام في الفرق، وحذَّروا من ذلك، ومن هذا ما ساقه الإمام ابن بطة -رحمه الله- في كتابه (الإبانة) حيث قال: "حدثنا أبو القاسم حفص بن عمر قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن عبيدة، عن بنت سعد أو سعدة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن بني إسرائيل افترقوا على بضع وسبعين ملة، ثم إن أمتي ستفترق عن مثلها، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)).

وعن عبد الله بن عمرو } قال: قال رسول الله ﷺ: ((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة، ما أنا عليه وأصحابي))، وعن عبد الله بن عمرو أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلًا بمثل، حَذْوَ النعل بالنعل، وإن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة، قيل: ما هي يا رسول الله ﷺ؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

وعن عبد الله بن عبيدة، عن بنت سعد، عن أبيها قالَا جميعًا: إن رسول الله ﷺ قال: ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين ملة، ولن تذهب الأيام والليالي حتى تفترق أمتي على مثلها، ألا وكل فرقة منها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)).

وهذا في الحقيقة تحذير أيضًا خطير من النبي ﷺ وقد أردت أن أذكر بعض الروايات في هذا لأُبيِّن أن الافتراق الواقع في هذه الأمة ورد بروايات ومن خلال طرق متعددة نقلها أئمة الناقلين والمحدثين، عن النبي ﷺ ولا بد لنا بعد هذا من فهم هذه الروايات.

## ب. أقوال العلماء في روايات الحديث ومعناه:

سأذكر أولًا أيضًا كلام الإمام ابن بطة -رحمه الله- في ذلك، فبعد أن ذكر -رحمه الله- بإسناده بعض الروايات التي ذكرت حديث الافتراق، قال: "ذكرت من الرواية عن رسول الله ﷺ وما أخبر به من تفرق هذه الأمة ومضاهاتها في تفرقها اليهود والنصارى، والأمم السالفة ما في بعضه كفاية لأهل الحق والرعاية، فإن قال قائل: قد صح عندنا من كتاب ربنا، ومن قول نبينا ﷺ إن الأمم الماضية من أهل الكتاب تفرّقوا واختلفوا، وكفَّر بعضهم بعضًا، ومثل ذلك فقد حلَّ بهذه الأمة حتى قد كثُرت فيهم الأهواء وأصحاب الآراء والمذاهب، وكل ذلك قد رأيناه وشاهدناه. فنريد أن نعرف هذه الفرق المذمومة لنجتنبها، ونسأل مولانا الكريم أن يعصمنا منها، وأن يعيذنا مما حل بأهلها الذين استهوتهم الشياطين، فأصبحوا حيارى عن طريق الحق صادفين.

قلت: فاعلم -رحمك الله- أن لهذه الفرق والمذاهب كلها أصولًا أربعة، كل هذه الأصول عن الحق حائدة، وللإسلام وأهله معاندة، وعن أربعة أصول يتفرَّقون، ومنها يتشعَّبون، وإليها يرجعون، ثم تتشعب بهم الطرق، وتأخذهم الأهواء وقبيح الآراء، حتى يصيروا في التفرق إلى ما لا يُحصى.

فأما الأربعة الأصول التي بها يعرفون، وإليها يرجعون، فهو ما حدثنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، وأبو عمر عبيد الله بن محمد بن عبيد العطار، وأبو بكر محمد بن الحسين، وأبو يوسف يعقوب بن يوسف قالوا جميعًا: "حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني قال: حدثنا المسيب بن واضح قال: سمعت يوسف بن أسباط يقول: "أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة، فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالث والسبعون: الجماعة التي قال رسول الله ﷺ إنها الناجية".

هذا كلام الإمام ابن بطة -رحمه الله- في معنى أحاديث الافتراق، وفي الفرق المختلفة، والمفارقة للفرقة الناجية، وهذا ما ذكره بإسناده عن أصول هذه الفرق بل سمَّى بعض هذه الفرق.

كما ذكر الإمام عبد القاهر البغدادي -رحمه الله- كلامًا أيضًا جميلًا حول حديث الافتراق قال فيه -رحمه الله: "الحديث الوارد على افتراق الأمة، هذا الحديث له أسانيد كثيرة، وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة، كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم رضي الله عنهم، وقد روي عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقًا، وذكروا أن الفرقة الناجية منها هي فرقة واحدة، وسائرها على الضلال في الدنيا، والبوار في الآخرة.

وروي عن النبي ﷺ ذمُّ القدرية، وأنهم مجوس هذه الأمة، كما رُوي عنه ذم المرجئة مع القدرية، وروي عنه أيضًا ذمّ المارقين وهم الخوارج، كما روي عن أعلام الصحابة رضي الله عنهم ذم القدرية، والمرجئة، والخوارج المارقة، وقد ذكرهم علي رضي الله عنه في خطبة له، وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة إلى الإسلام أن النبي ﷺ لم يُرد بالفرق المذكورة التي هي من أهل النار فرق الفقهاء، الذين اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين؛ لأن المسلمين فيما اختلفوا فيه من فروع الحلال والحرام على قولين:

**القول الأول:** قول من يرى تصويب المجتهدين، ويرى أنهم جميعًا في فروع الفقه، وفرق الفقه كلها مصيبون.

**القول الثاني:** قول مَن يرى في كل فرع تصويب واحد من المختلفين فيه، وتخطئة الباقين من غير تضليل منه للمخطئ فيه.

ولا شك أن الاختلاف في الفروع مبنيّ على الاجتهاد فيما لا نصَّ فيه صريح صحيح واضح، فإن وُجد النص وجب الرجوع إليه؛ لأننا أمرنا في كتاب الله وهدي رسوله ﷺ أن نرجع إليهما عند الاختلاف، وفي ذلك يقول رب العباد ﷻ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: 59].

ثم قال الإمام عبد القاهر البغدادي -رحمه الله: "وإنما فصل النبي ﷺ بذكر الفرق المذمومة، وهي فرق أصحاب الأهواء الضالة، ونعني بها: الفرق المخالفة للمعتقدات الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة"، هذه هي الفرق الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية، والأبواب التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة هي أبواب كثيرة، منها أبواب

الكلام في العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، والقدر والاستطاعة، وفي تقدير الله للخير والشر، أو الكلام في باب الهداية والضلالة، أو الإرادة والمشيئة، أو الصفات كباب الرؤيا، أو أبواب التعديل والتجوير، أو أبواب النبوة وشروطها، أو الأبواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة، وكانوا فيها على كلمة واحدة، مخالفين سائر هذه الفرق الضالة من القدرية، والخوارج، والروافض، والنجارية، والجهمية، والمشبهة، ومن جرى مجراهم من فرق الضلال؛ فهؤلاء جميعًا قد خالفوا منهج أهل السنة والجماعة.

ولا شك أن النبي ﷺ عناهم في حديثه السابق، ونحن بهذا نحذِّر من أن يذهب أحد إلى أن الاختلاف في الفروع هو أيضًا من الخلاف المذموم الذي يقع صاحبه تحت طائلة هذا الحديث؛ لأن الاختلاف في الفروع قد ينبني على أشياء أخر، وهو يقع من أهل الاجتهاد، وهم أهل فقه وعلم ونور وبصيرة، لأسباب قد تكون وجيهة، وبالتالي فلا نُلحق المختلفين في الفروع بالمختلفين في أبواب العقائد التي ذكرت الآن بعضها.

### جـ. الفرق الهالكة ليست كلها خارجة عن المِلة ولا كافرة:

هذه نقطة لا بد منها؛ لأن بعض إخواننا قد يقرأ هذا الحديث، أو يسمع هذا الحديث فيقول بأن النبي ﷺ أخبر بأن كل هذه الفرق في النار، يبني على هذا القول أنهم جميعًا بذلك كفار، وأنهم خارجون عن ملة الإسلام، ولذلك أقول: إن هذه الفرق المذكورة في الحديث أعني: المذكورة بعددها، وقد ذكر الحديث بأن هذه الفرق المختلفة المخالفة لمنهج الحق، والتي ستقع في هذه الأمة لا تخرج عن ثنتين وسبعين، وقد جاء في الحديث أنها هالكة، وهي بهذا من أهل الوعيد، لكنهم ليسوا كلهم كفارًا، وليسوا كلهم خارجين من الملة، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "من قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرًا ينقل عن الملة؛ فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يُكفّر بعضهم بعضًا ببعض المقالات".

وهذا كلام وجيه من شيخ الإسلام –رحمه الله– وهو يبيّن أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون هكذا تكفيرًا سائرًا عندهم، ويطلقون كلمة التكفير على كل أمر، وإنما أهل

الأهواء هم الذين يُكفّرون بعضهم بعضًا، كما قال أيضًا -رحمه الله: "وأما مَن يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم، الذين يتدينون بدين الإسلام باطنًا وظاهرًا، فهؤلاء من أمة محمد ﷺ بلا ريب، وكذلك من هو خير منهم كالكُلَّابية، والكَرَّامية، وكذلك الشيعة المفضلين لعلي > ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده بنبوَّة محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا، ويقينه بأن ما هو عليه هو دين الإسلام، فهؤلاء أهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن أمة محمد ﷺ بل هم من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا".

وهو يريد بهذا أن يبيّن وأن يقول بأن بعض الفرق التي وقعت في بعض أقوال الفرق الهالكة، وذهبت إلى ما ذهبت إليه، ولكنهم مع ذلك يدينون بدين الإسلام ولا يريدون عنه بديلًا، ولا يبغون عنه عوجًا، ولكنهم قالوا ذلك بجهل وانحراف فهؤلاء لا شكَّ لم يخرجوا من الإسلام، كما قال أيضًا -رحمه الله: "وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارًا، بل مؤمنين فيهم ضلال وذم يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام؛ بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار". فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، فإن كثيرًا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج، وأصحاب الرسول ﷺ علي بن أبي طالب، وغيره لم يُكفّروا الخوارج الذين قاتلوهم".

وقال أيضًا في هذا كلامًا جميلًا حسنًا يَحْسُن إيراده في هذا المقام حتى لا تتشعب السبل بإنسان، فيكفر كل فرقة هكذا بإطلاق، ويُطلق عنان القول للسانه وفكره، وعقله، وقلبه أن يُكفر كل من خالفه، قال شيخ الإسلام -رحمه الله: "من كفر من الثنتين والسبعين فرقة -من كفرهم هكذا بإطلاق- قد خالف الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان؛ لأن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره، لكن حسَّنه غيره أو صححه، كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن، وروي من طرق، وليس قوله ﷺ: ((اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة)) بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: 10]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: 30]، وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار".

وهو يريد بهذا أن يقول: إن هذا الحديث جاء فيه وعيد كالآيات والأحاديث التي جاء فيها وعيد على أمر مخصوص، ولا نعني بهذا الوعيد أن أصحابه يجب أن يكونوا في النار جميعًا، أو يجب أن يدخلوا فيها جميعًا، أو أنهم خرجوا بهذا الوعيد من الإسلام جميعًا؛ بل قد يكون هذا، وقد يكون هذا على حسب ما يعتقده الإنسان.

ولذلك أقول: إن الأقوال في تحديد الفرق الثنتين والسبعين غير ممكن؛ لأنه لا يوجد نصٌّ واضح يبين ذلك، ولكننا نُلحق أقوال الفرق المبتدعة وأصولها بلا شك بهذه الفرق المخالفة، وقد تأتي فرق أخرى تدخل ضمن هذه الفرق التي أخبر النبي ﷺ بهلاكها.

وبعد أن سقت الروايات الواردة في حديث الافتراق بعد أن ذكرت بعضها، وذكرت بعض أقوال أهل العلم فيها، تطرقت إلى أمر مهم هو أن الفرق الهالكة ليست كلها خارجة عن الملة، ولا كافرة، أريد بهذا أن أحذر عموم المسلمين من الافتراق والاختلاف في الدين، والحديث الوارد في ذلك -ولا شك- فيه من الوعيد الشديد لمن خالف جماعة المسلمين.

## أسباب الافتراق، ونتائجه

### أ. أسباب الافتراق:

لَّما كان مخالفة السنة وركوب البدعة من الاختلاف والافتراق في الدين، الذي جاء الشرع بمنعه، والتحذير منه، والوعيد على مرتكبه؛ أخذ العلماء في تجلية هذا الأمر وبيان أسبابه ومظاهره، والأخذ في علاجه، وسأذكر بعض هذه الأسباب؛ لأن أسباب الافتراق كثيرة، منها ما يلي:

**أولًا: اتباع الهوى:** سُمِّي أهل البدع أهل أهواء؛ لأن الهوى هو الباعث لهم على الفرقة والاختلاف والشتات. فما اعتزلت المعتزلة إلا بسبب الهوى، وما تشيّعت الشيعة إلا لركوبها مطيّة الهوى، ولا جاءت الروافض بدينها إلا بعد أن أُشربت الهوى، وما خرجت الخوارج إلا لانغماسها في الهوى، وما برز قرن القدرية والجهمية والمرجئة وغيرهم إلا بسبب الهوى، ولذلك نجد أن الله -تبارك وتعالى- ما ذكر الهوى في كتابه

إلا في مَعْرض الذم قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: 43].

قال الإمام الشاطبي –رحمه الله: "ولذلك سُمّي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها؛ بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم"، قال رجل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم. فقال: كل هوى ضلالة". وقال الشعبي: "إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار". وقال طاوس بن كيسان اليماني –رحمه الله تعالى: "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه".

**ثانيًا: كيد أعداء الإسلام:** إن أعداء الإسلام لا يهنئون بعيش ولا ينعمون بغمض ما دام الإسلام قائمًا، والمسلمون مؤتلفون مرجعهم القرآن، ونبراسهم السنة قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: 217]، وما فعله عبد الله بن سبأ –وهو معروف بابن السوداء– إلا فصل من فصول الكيد اليهودي لهذه الأمة، والذي انتهى بقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان > ثم تأليه علي بن أبي طالب > وبثّ الفُرقة والاختلاف بين المسلمين، وما فعله بعد ذلك ابن القداح. وابن القداح: هو ميمون بن داود بن سعيد القداح رأس الفرقة الميمونية من الإسماعيلية، وهي فرقة باطنية، وكان هذا الرجل يُظهر التشيع ويبطن الزندقة، وفي الأصل كان يهوديًّا يذهب إلى أقوال الفلاسفة والمتكلمين، وقد أفسد إفسادًا كثيرًا، وما أتى به ما هو إلا فصل من فصول الكيد بالأمة، وبثّ الفرقة بينها، وتكوين الخلايا الباطنية السرية التي تعيث في الأرض فسادًا.

قال الإمام الشاطبي –رحمه الله: "ولعلك إذا استقريت أهل البدع والمتكلمين، أو أكثرهم وجدتهم من أبناء سبايا الأمم، ومن ليس له أصل في اللسان العربي"، ولذلك أقول: إن المتأمل لرءوس الضلالة يجد طائفة منهم تنتمي للأديان والفلسفات التي سحقها الإسلام، وحرر منها العباد، وذلك مثل إبراهيم النظَّام. وإبراهيم النظام: هو إبراهيم بن سيار بن

هانئ البصري أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، أخذ الاعتزال عن أبي هذيل العلاف، وكان خاله وهو معدود من أذكياء المعتزلة. وهذا النظام رُمي بالزندقة -والعياذ بالله تبارك وتعالى- وقد أُلّفت في الرّدّ عليه وتكفيره كتبٌ، ولا شك أن هذا يبين أن إدخال هؤلاء الناس هذه الفلسفات، وأقوالهم بأقوال أهل الأهواء يُبين أنهم أخذوها من ديانات سابقة.

وكذلك ما أتى به بشر المريسي: وهو بشر بن غياث الذي كان رأس الطائفة التي تزعَّمت القول بخلق القرآن، وكان يرى رأي الجهمية، وهذا الرجل كان أبوه يهوديًّا، والدارمي -رحمه الله- قد نقض بعض أفكاره في الرّدّ عليه، وله كتاب مطبوع -أعني: للدارمي- سماه (ردّ الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد).

وكذلك الأقوال التي أتى بها عبد الله بن المقفع، وهذا الرجل في الحقيقة أيضًا كان مجوسيًّا من أئمة أهل الكتاب، أصله من الفرس، ووُلد في العراق مجوسيًّا، وأسلم على يد عيسى بن عيسى عمّ السفاح، وقد اتهم بالزندقة، وأدخل ما أدخل على المسلمين.

الشاهد: أن هذه الفرق فرق الضلال، وأعداء الإسلام يكيدون له، ولن تعدم أمتنا الإسلامية -عبر تاريخه المديد بماضيه وحاضره- شخصيات معادية للإسلام من اليهودية والنصرانية والوثنية، وهي تبغي دين الله عوجًا، وتسعى في تفرقة هذه الأمة واختلافها، ولكنني أقول: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئًا.

**ثالثًا: الجهل بمقاصد الدين الإسلامي:** لا شك أن الإنسان عدوٌّ لما يجهل، ولما انصرف الناس عن التفقه في دين الله، وتعلم مقاصد الشريعة السمحة اختلفوا ثم تفرقوا، يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله- مقررًا أسباب الخلاف: "ومنها أن يعتقد الإنسان في نفسه، أو يُعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين، ولم يبلغ تلك الدرجة، فيعمل على ذلك، ويَعُدّ رأيه رأيًا، وخلافه خلافًا، ولكن تارة يكون ذلك في جزئيّ وفرع من الفروع، وتارة يكون في كليٍّ وأصل من أصول الدين؛ سواء كان هذا من الأصول الاعتقادية، أو من الأصول العملية، فتراه آخذًا ببعض جزئيات الشريعة في هدم كلياتها حتى يصير منها ما ظهر له بادئ رأيه من غير إحاطة بمعانيها، ولا رسوخ في فهم مقاصدها، وهذا هو المبتدع، وعليه نبَّه الحديث الصحيح الذي جاء عن النبي ﷺ وفيه

يقول: ((لا يَقبض الله العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالِمٌ، اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم؛ فضلُّوا وأضلوا)).

قال بعض أهل العلم: تقدير هذا الحديث يدلّ على أنه لا يُؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم أفتى مَن ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله. وبعد أن ذكر الإمام الشاطبي -رحمه الله- أسباب الاختلاف قال هذه الكلمة التي أرى لفت النظر إليها، هو ذكر بعض أسباب الاختلاف، ثم قال: "هذه الأسباب راجعة في التحصيل إلى وجه واحد، وهو الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخٍ في العلم، وأنا ألفت النظر إلى هذا القول" يعني: لا يقع هذا من رجل راسخ في العلم، ولذلك أهل الجهل أعداء الدين لا ينبغي أن يسير الإنسان في ركابهم ولا أن يسمح لهم بأن يتكلموا في دين الله -تبارك وتعالى، ولذلك نحن لا نجد في تاريخ أمتنا عالمًا أبدًا من علماء أهل السنة والجماعة وقع في ابتداع في دين الله تبارك وتعالى.

قال البغدادي -رحمه الله: "ولم يكن بحمد الله ومنه في الخوارج، ولا في الروافض، ولا في الجهمية، ولا في القدرية، ولا في المجسّمة، ولا في أهل الأهواء الضالة إمام في الفقه، ولا إمام في رواية الحديث، ولا إمام في اللغة والنحو، ولا موثوق به في نقل المغازي والسير والتاريخ، ولا إمام في الوعظ والتذكير، ولا إمام في التأويل والتفسير، وإنما كان أئمة هذه العلوم على الخصوص والعموم من أهل السنة والجماعة.

ولذلك أئمة الضلالة كلهم جُهَّال لا يعرفون الحق، وليسوا هم من أهل السنة والجماعة، وهذه دعوة إلى أن تتعلموا العلم الشرعي الصحيح، القائم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وعلى منهج السلف الصالح؛ لأن تعلُّم العلم الشرعي الصحيح من منبعه يحمي -بفضل الله تبارك وتعالى- من التفرق والاختلاف، ويحمي من الوقوع في هذه الفرق الهالكة الضالة.

**رابعًا: التعصُّب للمذاهب والجماعات والرجال:** التعصب مرض من الأمراض التي أصاب الأمة الإسلامية، وهو مرض خطير أدَّى إلى تفرق الأمة وتمزُّقها، وبالتالي ضعف شوكتها وتهديد حصونها، والناظر في تاريخ الإسلام القريب والبعيد يتحقَّق له بجلاء أن التعصب المقيت للمذاهب والجماعات والرجال سبب رئيس لتفرق الأمة؛ فقد وصل الحال بأمتنا

أن يكون للمدينة الوحدة أربعة قضاة، شافعي، وحنفي، وحنبلي، ومالكي. وكـــذلك الحال بالنسبة للمساجد، ففي المسجد الواحد توجد أربعة محاريب تُقام فيها الصـــلاة، وبقية الناس ينتظرون، فإذا أقيم في المحراب الأول مثلًا صلى الشافعية، انتظر أهل المحراب الثاني سواء كانوا أحناف أو حنابلة أو مالكية لا يصلون، لماذا يجلســـون وأي شـــيء ينتظرون؟ ينتظرون حتى يخرج إمامهم، بل لقد وصل الحال بين المتعصبين إلى مـــا هـــو أعظم من ذلك؛ فقد منع بعض الفقهاء الأحناف تزوّج الحنفي من شافعية، ثم صـــدرت فتوى تستأنف الفتوى السابقة وتخففها وهي إجازة تزويج الحنفي من شافعية، وعلـــل ذلك بتنزيلها منزلة أهل الكتاب.

وصل التعصب في الحقيقة إلى هذه الدرجة، وما أذكره ليس كلامًا من عندي وإنما ذكره الأستاذ الشيخ محمد عيد عباسي في كتابه الفائق الرائق (بدعة التعصب المذهبي)، وقـــد ذكر أيضًا المقريزي -رحمه الله-في خططه أن هذا قد وقع في القرن التاســـع والعاشـــر والحادي عشر، ونقل ذلك وذكره في كتابه (الخُطط) -رحمه الله تبارك وتعالى.

وهذه في الحقيقة صورة قاتمة لما وصل إليه حال المسلمين من الفرقة والشتات، بل وصل الحال إلى التكفير كما قال بعض الفقهاء، وهم في الحقيقة ليسوا فقهاء، ولكن النـــاس ينسبونهم إلى الفقه، هم مقلدون جامدون متعصبون، قال بعض هؤلاء المقلدون الجامدون المتعصبون: لو كان لي الأمر لأخذت الجزية من الشافعية، وهذا في الحقيقـــة انحـــراف وضلال.

قال الإمام النووي -رحمه الله: "فرع: اقتداء شافعي بحنفي فيه خلاف، وتعمّ به البلوى، فإذا توضأ حنفي واقتدى به شافعي، والحنفي لا يعتقد وجوب نية الوضوء، والشـــافعي يعتقدها فثلاثة أوجه؛ أحدها: ما قاله الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني -رحمـــه الله-لا يصح اقتداؤه نوى أو لم ينو؛ لأنه وإن نوى فلا يراها واجبة فهي كالمعدومة، فلا تصح طهارته"، ولا شكَّ أن مثل هذا التأصيل سيؤدي إلى التقاتل واستباحة الدماء والأموال.

قال ياقوت الحموي -رحمه الله-عند الحديث عن مدينة أصفهان بعد أن ذكر مجـــدها القديم قال في (معجم البلدان): "ولقد فشا فيها الخراب في نواحيهـــا، لكثـــرة الفـــتن، والتعصب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفـــة نهبتْ محلة الأخرى، وأحرقتها، وخربتها، لا يأخذهم في ذلك إلًّا ولا ذمة".

هذه كلمات يذكرها هذا العالم ويسجلها في كتابه (معجم البُلدان) يُسجِّل أن الفتن والتعصب الذي وقع بين أتباع المذاهب، والحروب التي قامت بينهم كانت سببًا في تخريب ديارهم؛ بل أحرقتها وفرقتها، وكان كل واحد منهم لا يُراقب في أخيه إلًّا ولا ذمة. ولماذا إذًا هذا التفرق، وهذا التعصب، وهذا الخلل الذي يقع من بعض الناس.

الإمام الشاطبي -رحمه الله-أيضًا يؤكد ذلك، ويُبين أن التعصب للأشخاص، والأقوال، والرجال من أسباب التفرق والاختلاف، فيقول -رحمه الله: "والثالث من أسباب الخلاف التصميم على اتباع العوائد، وإن فسدت، أو كانت مخالفة للحق، وهو اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ، وأشباه ذلك، وهو التقليد المذموم، فإن الله ذمَّ ذلك في كتابه".

لذلك أدعو عموم المسلمين إلى التحرر من كل عصبية، وألا يتعصب الواحد منا إلا إلى الأقوال الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة، فنحن الواجب علينا أن نتعصب لكتاب ربنا، وهدي نبينا وإلى أقوال السلف الصالحين المستمدة من كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ ويجب علينا بعد ذلك إذًا أن نكون إخوانًا متحابّين.

**خامسًا: الخلل في مناهج التلقي:** إن من أبرز أسباب الفرقة والاختلاف، وظهور البدع والأهواء اضطراب الناس في مسألة التلقي والاستدلال، فكم جرَّ هذا الخلل والتخبط من انحرافات ومفاسد، وكم من مبتدع زائغ وزنديق جائر استطاع إفساد أديان الناس وعقائدهم، بسبب جهل الناس بأصول الاستدلال، ومصادر التلقي.

وهذا السبب ينضمّ إلى ما قبله فترى الجاهل يُحب أن يقلد غيره، ويتعصب لذلك من غير دليل مجانبًا للحق، غير مبالٍ بإرجاع الأقوال والأفعال إلى المصادر، التي يجب التلقي منها، والاستدلال بها، يقول الإمام العز بن عبد السلام -رحمه الله: "ومن العجب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه؛ بحيث لا يجد لضعفه مدفعًا، ومع هذا يُقلده فيه، ويترك الكتاب والسنة، والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودًا على تقليد إمامه بل يتحيّل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالًا عن مقلده".

فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره، حتى حمله على مثل ما ذُكـــر، ثم يقـــول الإمام العز بن عبد السلام: "ويذكر دعوة عظيمة يقول: وفقنا الله لاتباع الحـــق أينمـــا كان، وعلى لسان من ظهر، وأنا أقول: هذا هو الواجب" يجب على الأمة الإسلامية أن تعرف مصدر التلقي فيها، مصدر تلقي العقائد والأحكام وارد عندنا وموجود بيننـــا، وهو كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ. ونحن إن اتبعنا هذين المصدرين لن نقع في خلاف أبدًا، وسأضرب مثالًا على ذلك:

لو أن أستاذًا يدرس طلابه من مرجع واحد أو من كتاب واحد وسلمهم هذا الكتاب، ثم سألهم أسئلة موحدة من هذا الكتاب، سنجد أن الأجوبة ستكون واحدة وصـــحيحة لماذا؟ لأن الجميع درس من كتاب واحد، وأخذ من مصدر واحد، ونحن إذًا لو رجعنـــا وأخذنا من مصدرنا الواحد من الكتاب والسنة ما وقع بيننا خلاف بحـــال. والفـــرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة خالفت هذا المنهج وأصبحت أصولهم قائمة على غير هذا المنهج، وهو الخلل في مناهج التلقي.

والأسباب القائمة وراء ظاهرة الافتراق كثيرة، ولا شك أنني ذكـــرت أبـــرز هـــذه الأسباب، وهذه الأسباب في الحقيقة جديرة بالدراسة والتحليل، والوقوف على العلاج لهذه الظاهرة الخطيرة، التي تُهدّد كيان المجتمع، وتهزّ استقراره؛ لأن الأمة بحاجة إلى أن تكون أمة واحدة قائمة على كتاب الله، حارسة لهدي رسول الله ﷺ.

وكم جنى الافتراق على هذه الأمة، كم جنى الافتراق، كم أبعدها عن الحق والصواب، كم جرَّأ عليها الأعداء.

### ب. نتائج الافتراق:

إن الافتراق لا شك له ثماره المرة التي لا تخصّ طائفة دون طائفة، إنما يتعدَّى شُؤمها إلى الأمة كلها؛ فالافتراق والاختلاف من أكبر الفتن التي تَعْصـــف بالأمـــة إلى حضـــيض الضعف، وتهبط بالشعوب من قمم المجد والعزة والسؤدد إلى هاوية التشرذم، ونحن أثناء تناولنا لأسباب الافتراق ذكرنا بعض النتائج التي أنتجتها الفرقة، وهنا سأذكر أهم نتائج الافتراق باختصار واقتضاب، وهي:

**أولًا:** استحقاق الوعيد على لسان رسول الله ﷺ بقوله في حديثه عن الفرق: ((كلها في النار إلا واحدة)).

**ثانيًا:** ذهاب القوة والشوكة والمنعة قال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال: 46]، والناظر لأمة الإسلام اليوم يجد هذا واضحًا غاية الوضوح، أين موقع الأمة الإسلام اليوم بين الأمم بعدما اختلفت وتفرقت، وتنازعت فيما بينها، ذهب ريحها وذهبت قوتها، وضعفت في مواجهة أعدائها.

**ثالثًا:** التمكين لأعداء الله في التحرش بين المسلمين، وهذه نتيجة لا شك أنها تترتب على ذهاب القوة، فإذا ضعف أهل الإيمان تمكن الأعداء منهم، وحرشوا وأوقعوا فيما بينهم.

**رابعًا:** نشر الخلاف والانقسام والفتن بين المسلمين.

**خامسًا:** الصَّدُّ عن سبيل الله، وعن التحاكم إلى الكتاب والسنة، وهما مصدرا التلقي في الأمة الإسلامية، والسير وراء الآراء المنحرفة التي يستقيها الناس ممن لا هم له إلا شغل الناس عن القضايا الهادفة، والمصيرية بالتوافه، حقيقة الأمة لما ضعفت وتفرقت وتشيعت وجدنا من يصدَّها صدًّا عن سبيل الله، ومن يدفعها دفعًا إلى التحاكم إلى غير كتاب الله، وهدي رسوله ﷺ.

وأعداء هذه الأمة شغلوها عن قضاياها المصيرية، شغلوها بقضايا تافهة لا مكان لها بين الإسلام، ولا بين المسلمين لو أنهم عرفوا قضيتهم، ورجعوا إلى كتاب ربهم،وسنة نبيهم ﷺ، وسأضرب نموذجًا واحدًا على ذلك أُبين فيه كيف أن الافتراق كانت نتيجته وخيمة؛ لقد استطاع أعداء الله ﷻ أن يستغلوا جهل هذه الأمة وضعفها، فمزقوها إلى دويلات ضعيفة متناحرة، فقد عزلوا العالم العربي عن محيطه الإسلامي الضخم ذي الكتلة البشرية المسلمة الهائلة، تحت مسمى القومية العربية، ثم فرَّق الاستعمار أو الاستخراب العالم العربي إلى دويلات ضعيفة، وكرَّس هذا الوضع تحت مسمى الوطنية، فأصبحت لا ترى دولتين عربيتين مسلمتين متجاورتين إلا وهما في الغالب متخاصمتين، ثم زرع بين أبناء الوطن الواحد ما يُسمى بالحزبية المقيتة، والتعددية السياسية؛ فانشقت الأسر والبيوت في المجتمع الواحد بعد أن كان العالم الإسلامي من أقصى المغرب إلى أندونيسيًّا شرقًا، ومن تنزانيًّا جنوبًا إلى إقليم تركستان شمالًا مجتمع واحد لا يحتاج فيه أحد إلى

جواز، ولا يُسئل عن جنسية، وما هذا الوضع إلا نتيجة حتمية للتفرق والبعد عن الكتاب والسنة سبيل الحق وصراط الهدى.

ولذلك أقول بأن للافتراق نتائجه وخيمة، وعلينا أن نحذر من أسباب الافتراق، وأن نتلافى هذه الأسباب حتى لا تكون هذه النتائج الوخيمة المرة ظاهرة بيننا نحن – المسلمين–إننا بحاجة إلى عودة صادقة إلى الله ﷻ إلى أن نترك الافتراق، وأن نجتمع على الكتاب والسنة، وأن نضع نَصب أعيننا الحديث الوارد في الافتراق؛ لنحذر الوقوع في مخالفة الكتاب والسنة،؛ لأن الوعيد الوارد في ذلك شديد.

(التعريف بالخوارج وأهم فرقهم)

عناصر الدرس

العنصر الأول : التعريف بالخوارج، وذِكْر أسباب خروجهم

العنصر الثاني : أشهر فرق الخوارج

## التعريف بالخوارج، وذِكْر أسباب

### أ. التعريف بالخوارج لغةً واصطلاحًا:

"الخوارج" في اللغة: جمع خارج. و"خارجيٌّ": اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة "خرج" على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين، أو على الإمام أو لخروجهم على الناس.

أما تعريف الخوارج في الاصطلاح: فقد اختلف العلماء في تعريفهم اصطلاحًا، وحاصل ما ذكروه من التعريفات هو:

**أولًا:** منهم من عرف الخوارج تعريفًا سياسيًّا عامًّا؛ بحيث قد اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجًا في أي زمان كان، قال الشهرستاني -رحمه الله: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا؛ سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان.

**ثانيًا:** بعض أهل العلم عرف الخوارج اصطلاحًا بأنهم: الطائفة الذين خرجوا على الإمام علي > وفي ذلك يقول الأشعري -رحمه الله: "والسبب الذي سموا له: "خوارج" خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

وقد زاد الإمام ابن حزم فقال: إن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن، وهذا يتفق مع تعريف الشهرستاني.

**ثالثًا:** ما ذكره بعض علماء الإباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين، وتابعي التابعين أولهم نافع بن الأزرق. وهذا التعريف لم يقل به أحد فيما نعلم سوى الإباضية، وهذا التعريف لأبي إسحاق أطفيش، وهو إباضي، ويريد منه أن يبين أنه لا علاقة بين المحكمة الأولى الذين لا يعتبرهم خوارج لشرعية خروجهم -كما يزعم- وبين من بعدهم إلى قيام نافع سنة أربعة وستين.

وهذا التعريف الأخير غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية، ويبقى الراجح هو التعريف الثاني؛ لكثرة من مشى عليه من علماء الفرق في تعريفهم بفرقة الخوارج، وقيام

حركتهم ابتداء من خروجهم في النهروان، وهو ما يتفق أيضًا مع مفهوم الخوارج كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية أحدثت في التاريخ الإسلامي دويًّا هائلًا.

## ب. ألقاب الخوارج:

للخوارج ألقاب كثيرة سأذكرها، وأبين وأشير -إن شاء الله- لماذا أطلقت عليهم هذه الألقاب.

**اللقب الأول: "الخوارج":** وقد سموا بذلك؛ لأن النبي ﷺ وصفهم بأنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين؛ ولأنهم يخرجون على أئمة المسلمين وعلى جماعتهم بالاعتقاد والسيف، وهذا وصف عام لكل من سلك سبيلهم إلى يوم القيامة.

**اللقب الثاني: "المحَكِّمَة":** وقيل لهم المحكمة؛ لأنهم فارقوا عليًّا رضي الله عنه وجماعة المسلمين بسبب مسألة التحكيم، حينما زعموا أن عليًّا حكَّم الرجال، وقالوا: لا حكم إلا لله، وقد كفروا عليًّا والحكمين، ومن قال بالتحكيم ورضي به، وهذا اسم لجماعة الخوارج الأولين -أعني: الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه وكان سبب الخروج ينحصر في مسألة التحكيم.

**اللقب الثالث: "الحرورية":** وهم الذين خرجوا على علي > وجماعة الصحابة؛ وقيل لهم حرورية لأنهم حين خرجوا انحازوا إلى مكان يقال له حروراء بالعراق.

**اللقب الرابع: "أهل النهروان":** نسبة إلى المكان الذي قاتلهم فيه علي رضي الله عنه وهم الحرورية المحكمة.

**اللقب الخامس: "الشُّراة":** وأطلق عليهم هذا اللقب؛ لأنهم زعموا أنهم يَشْرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله في قتالهم المسلمين، وقد أطلق على فئات من الخوارج الأولين، ولا يزال الخوارج المعاصرون -كالإباضية مثلًا- يرون هذا الوصف يمكن تحقيقه إذا توافرت شروطه، ويعدونه مسلكًا من مسالك الدين.

**اللقب السادس: "المارقة":** وسموا بذلك لأن النبي ﷺ سماهم مارقة، ووصفهم بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

**اللقب السابع: "المكفِّرة":** وذلك لأنهم يكفِّرون بالكبائر، ويكفِّرون من خالفهم من المسلمين، وهذا وصف لكل من نهج هذا النهج في كل زمان؛ فكل من كفَّر بالكبيرة أو كفَّر من خالفه في مسألة ما من المسلمين كفَّره هكذا مباشرة؛ فيمكن أن يطلق عليه هذا اللقب -أعني به لقب المكفِّرة.

**اللقب الثامن: "السبئية":** وذلك لأن منشأهم من الفتنة التي أوقدها عبد الله بن سبأ اليهودي، وهذا وصف أصيل لأصول الخوارج الأولين ورءوسهم.

**اللقب التاسع: "الناصبة":** وسموا أو أطلق عليهم الناصبة؛ لأنهم ناصبوا عليًّا رضي الله عنه كما ناصبوا آله العداء، وصرحوا ببغضهم.

## جـ. متى خرج الخوارج؟

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم، وخلاصة ذلك ما يلي:

قيل بأنهم بدءوا في عهد النبي ﷺ وقيل بأنهم نشئوا في عهد عثمان رضي الله عنه ، وقيل بأنهم نشئوا في عهد علي > حين خرج عليه طلحة والزبير -كما يزعم بعض علماء الإباضية- وقيل: خرجوا حين خرج الخوارج من المَحكِّمة عن جيشه، وهذا هو الراجح، وقيل: بأنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداءً من سنة أربعة وستين هجرية، كما تقدم إشارة إلى شيء من ذلك في التعريف بالخوارج.

وأود هنا أن أناقش هذه الأقوال، وأن أبين الصحيحَ منها فأقول -وبالله التوفيق:

بالنسبة للقول الأول: الذين ذهب أصحابه إلى أن الخوارج خرجوا في عهد النبي ﷺ؛ فإنهم قصدوا بذلك ما وقع للرسول ﷺ من قيام ذي الخويصرة -واسمه عبد الله ذي الخويصرة التميمي- في إحدى الغزوات في وجه الرسول ﷺ معترضًا على قسمة الرسول ﷺ للفيء، وأنه لم يعدل -وحاشاه، ﷺ، من ذلك.

وقد قال بهذا القول كثير من العلماء؛ منهم: الشهرستاني، وابن حزم، وابن الجوزي، والآجري؛ إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وبين ظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوي؛ فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيمًا للخوارج؛ لأن فعلته حادثة فردية تقع للحكام كثيرًا و لم يكن له حزب يتزعمه، ولا كان مدفوعًا

من أحد إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول ﷺ فهو رجل كان يطمع في المال، ولا يعرف الأدب فاندفع وقال ما قال، ولكن -مع كل ذلك- يمكن لنا أن نقول: بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله ﷺ ولا أرى أن نتجاوز هذا الأمر.

وأما بالنسبة للقول الثاني: وهو الذي ذهب أصحابه إلى أن الخوارج خرجوا ونشئوا في عهد عثمان > فهذا الرأي لبعض العلماء أيضًا؛ كابن كثير، وابن أبي العز -رحمهما الله تعالى- ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان > وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص؛ ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم و لم يشكلوا فرقة مستقلة، وإن كان فعلهم يعتبر خروجًا عن الطاعة وخروجًا على الإمام إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

وأما بالنسبة للقول الثالث: وهو أنهم نشئوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير؛ فإنه قول مردود؛ فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج، ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضًا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد شهد الله لها بالإيمان، وطلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.

وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية؛ وذلك لنفيهم وجود صلة ما بين المحكِّمَة، ومن سار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم؛ وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق.

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح: اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة.

## د. أسباب خروج الخوارج:

عندما نأتي لنبحث عن الأسباب، والعوامل التي أدت إلى خروج الخوارج؛ نجد أن العلماء يختلفون في هذا السبب أو ذاك، وفي تحديد مدى فاعلية بعض الأسباب؛ ولكني

أرى -والله أعلم- أن الراجح في ذلك أن هناك أسبابًا مجتمعة هي التي أدت إلى خروج الخوارج، وسأوجز -إن شاء الله- أهم هذه الأسباب فيما يلي:

## السبب الأول: النزاع على الخلافة:

ربما يكون هذا هو أقوى الأسباب في خروجهم؛ فالخوارج لهم نظرة خاصة في الإمام معقدة وشديدة، والحكام القائمون في نظرهم لا يستحقون الخلافة؛ لعدم توفر شروط الخوارج القاسية فيهم، أضف إلى هذا عدم الاستقرار السياسي الذي شجعهم على الخروج، وإلى الحسد الذي كان كامنًا في نفوسهم ضد قريش، إضافة إلى أنهم فسروا الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بأنه نزاع حول الخلافة، ومن هنا استسهلوا الخروج على علي ومعاوية من بعده.

## السبب الثاني: قضية التحكيم:

وقضية التحكيم من الأسباب الواضحة في خروج الخوارج -وإن كان لا وجه لهم في ذلك.

هؤلاء الخوارج أجبروا الإمام علي رضي الله عنه على قبول التحكيم، وحينما تم ذلك طلبوا منه أن يرجع عنه، وأن يعلن إسلامه لأنهم كفَّروه؛ فرد عليهم > ردًّا عنيفًا، وهناك من العلماء من يقلل من شأن هذه القضية كعامل في ظهور الخوارج، ولا شك أن هذا خطأ؛ فقد كان التحكيم من الأسباب القوية في ظهورهم.

وقد رد بعض العلماء وشنع على من يقول من المؤرخين وكتَّاب الفرق بأنه كان في قضية التحكيم خداع ومكر؛ كالقاضي ابن العربي في كتابه: (العواصم من القواصم)؛ حيث فصل القول في هذا الأمر.

## السبب الثالث: جور الحكام وظهور المنكرات:

والسبب هذا واضح عند الخوارج، وواضح من حديثهم وكلامهم على المنكرات التي تظهر بين الحين والآخر في المجتمعات، ونحن نجد أن الخوارج دائمًا يرددون في خطبهم ومقالاتهم أن الحكام ظلمة، وأن المنكرات فاشية، ولا شك أن الواقع يبين أنهم حينما خرجوا فعلوا أضعاف ما كان موجودًا من المظالم والمنكرات؛ فهم عابوا على غيرهم

وجود بعض المخالفات؛ ولكنهم لما قاموا وقعوا في منكرات أشد وأعظم؛ وذلك لأنهم رأوا أن قتال مخالفيهم لهم قربة إلى الله تعالى وأن الأئمة ابتداء بالإمام علي، مع عدله وفضله ومكانته > ثم بحكام الأمويين والعباسيين، كلهم ظلمة في نظرهم دون تحرٍّ أو تحقيق، مع أن إقامة العدل والنهي عن المنكرات يتم بغير تلك الطريقة التي ساروا عليها في استحلال دماء مخالفيهم حكامًا ومحكومين بعد أن اتهموهم بالكفر –والعياذ بالله.

### السبب الرابع: العصبية القبلية:

هذه العصبية القبلية جاء الإسلام وقضى عليها، حتى ماتت في زمن الرسول ﷺ وفي زمن أبي بكر وعمر –رضوان الله تعالى عليهما، ولكنها قامت بعد ذلك في عهد الخليفة الراشد الزاهد عثمان > وما بعده، وكانت قوية وشرسة، وهذه العصبية القبلية كانت قبل الإسلام بين ربيعة وبين مُضَر، وقد قال المأمون في إجابته لرجل من أهل الشام طلب منه الرفق بالخوارج: "وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مُضَر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريًا".

وهناك أسباب أخرى أشير إليها إشارة سريعة بعد أن فصلت هذه الأسباب الأربعة، وهذه الأسباب ترجع إلى بعض العوامل الاقتصادية، ونفهم هذا من قصة ذي الخويصرة مع الرسول ﷺ كما أيضًا نفهم هذا من ثورة هؤلاء الخوارج الممقوتة على عثمان رضي الله عنه وذلك حيث نهبوا بيت المال بعد قتله مباشرة؛ كما أنهم نقموا على علي رضي الله عنه في معركة الجمل، ومن الأسباب التي أجملها: هو الحماس الديني الذي مدحهم به بعض المستشرقين كـ"جولد تسيهر" حينما ذكر أن تمسك الخوارج الشديد بالقرآن أدى بهم إلى الخروج على المجتمع. ولا شك أن هذه مغالطة واضحة؛ لأن التمسك بالقرآن والسنة لا يؤدي إلى سفك الدماء بغير حق.

## أشهر فرق الخوارج

### أ. المُحَكِّمة الأولى:

يقال للخوارج مُحَكِّمة وشُرَاة، واختلفوا في أول من تَشرَّى منهم؛ فقيل: عروة بن حدير، أخو مرداس الخارجي، وقيل: أولهم: يزيد بن عاصم المحاربي، وقيل: رجل من

ربيعة من بني يشكر كان مع علي بصفين؛ فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه، وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلًا، وحمل على أصحاب علي، وقتل منهم رجلًا، ثم نادى بأعلى صوته ألا إني قد خلعت عليًّا ومعاوية، وبرئت من حكمهما، ثم قاتل أصحابَ علي حتى قتله قوم من همدان، ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا على قرية يقال لها "حروراء" وهم يومئذ اثنا عشر ألفًا؛ ولذلك سميت الخوارج حرورية.

وكان زعيم هؤلاء: عبد الله بن الكواء، وشبث بن ربعي، وهؤلاء خرج إليهم علي رضي الله عنه وناظرهم، وقد وضحت حجته عليهم، فاستأمن إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان، وانحاز الباقون منهم إلى النهروان، وأمَّروا على أنفسهم رجلين أحدهما: عبد الله بن وهب الراسبي، والآخر: حرقوص بن زهير البجلي، المعروف بذي الثدية، والتقوا في طريقهم إلى نهروان برجل رأوه يهرب منهم فأحاطوا به، وقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت –ابن أحد الصحابة

رضي الله عنهم فقالوا له: حدثنا حديثًا سمعته عن أبيك عن رسول الله ﷺ فقال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: ((ستكون فتنةٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي؛ فمن استطاع أن يكون مقتولًا، فلا يكونن قاتلًا)).

وهذا الحديث لو سمعه إنسان عاقل؛ لكف عن ظلمه، ولكف عن سفكه للدماء؛ خاصة وهو يحدث بحديث عن أبيه، وقد سمع أبوه هذا الحديث من الصادق المصدوق ﷺ وقد ذكر لهم شيئًا من الفتن، وأنه على المسلم أن يقعد فيها ولا يسير، وأن يكون مقتولًا خير له من أن يكون قاتلًا، وقد قال لهم: ((فمن استطاع أن يكون مقتولًا فلا يكونن قاتلًا))، وبعد أن ذكر ذلك لهم شد عليه رجل من الخوارج يقال له "مسمع" بسيفه فقتله، فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر، ثم إنهم دخلوا منزله، وكان في القرية التي قتلوه على بابها؛ فقتلوا ولده وجاريته أم ولده ثم عسكروا بنهروان، وانتهى خبرهم إلى علي > فسار إليهم في أربعة آلاف من الصحابة، وبين يديه عدي بن حاتم الطائي، وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم * برايات صدق كالنسور
إلى شر قوم من شُراة * وعادوا إله الناس رب

طغاة عماة مارقين عن * وكلٌّ يُرَى في قوله غير
وفينا علي ذو المعالي * إليهم جهارًا بالسيوف

فلما قرب علي منهم أرسل إليهم، وقال لهم: سلموا قاتل عبد الله بن خباب؛ فأرسلوا إليه قائلين:لئن ظفرنا بك قتلناك، فأتاهم علي في جيشه، وبرزوا إليه بجمعهم؛ فقال لهم > قبل القتال، وهذا من الحكمة ومن الدعوة وبيان الحجة، والمحجة قبل أن يقع قتال بين أهل الإيمان، ماذا نقمتم مني؟ فقالوا له: أول ما نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل؛ فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم؛ فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية؟

فقال لهم >: إنما أبحت لكم أموالهم بدلًا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان حكم الإسلام بحكم دار الإسلام، و لم يكن منهم ردة عن الإسلام، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد: لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟!! فخجل القوم من هذا.

ثم قالوا له: نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية في ذلك، فقال لهم رضي الله عنه: فعلت مثل ما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو: لو علمت أنك رسول الله لما نازعتك ولكن اكتب باسمك، واسم أبيك؛ فكتب: ((هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وسهيل بن عمرو))، وأخبرني رسول الله ﷺ أن لي منهم يومًا مثل ذلك؛ فكانت قصتي في هذا مع الأبناء قصة رسول الله ﷺ مع الآباء. فقالوا له: فلِمَ قلت للحكمين إن كنت أهلًا للخلافة فأثبتاني؛ فإن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك أولى.

فأجابهم > قائلًا: إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية، ولو قلت للحكمين احكمَا لي بالخلافة لم يرضَ بذلك معاوية، وقد دعا رسول الله ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة، وقال لهم: ((تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)) فأنصفهم بذلك من نفسه، ولو قال: أبتهل فأجعل لعنة الله عليكم؛ لم يرضَ النصارى بذلك؛ لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسي، و لم أدرِ غدر عمرو بن العاص، فقالوا له عندئذٍ: فلم حكَّمت الحكمين في حق كان لك؟ فقال: وجدت رسول الله ﷺ قد حكَّم سعد بن معاذ > في بني قريظة، ولو شاء لم يفعل، وأقمت أنا أيضًا حكمًا؛ لكن حكم رسول الله ﷺ قد حكم بالعدل، وحَكَمي خُدِع

حتى كان من الأمر ما كان؛ فهل عندكم شيء سوى هذا؟ فسكت القوم وقال أكثرهم: صدق والله، وقالوا: التوبة، واستأمن إليه منهم يومئذ ثمانية آلاف، وانفرد منهم أربعة آلاف بقتال مع عبد الله بن وهب الراسبي، وحرقوص بن زهير البجلي.

وقال علي > للذين استأمنوا إليه: اعتزلوني في هذا اليوم، وقال لأصحابه: قاتلوهم فوالذي نفسي بيده لا يقتل منا عشرة، ولا ينجو عشرة منهم؛ فقتل من أصحاب علي يومئذ تسعة: وهم ذؤيبة بن وبرة البجلي، وسعد بن مجالد السبيعي، وعبد الله بن حماد الجريري، ورفاعة بن وائل الأرحبي، والفياض بن خليل الأزدي، وكيسوم بن سلمة الجهني، وعتبة بن عبيد الخولاني، وجماع بن جشم الكندي، وحبيب بن عاصم الأودي، هؤلاء التسعة قتلوا تحت راية علي > فحسب.

وبرز حرقوص بن زهير إلى علي، وقال: يا ابن أبي طالب لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة! فقال له علي >: بل مثلكم كما قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: 103، 104] منهم أنت ورب الكعبة.

ثم حمل عليه في أصحابه وقُتل عبد الله بن وهب في المبارزة، وصُرع ذو الثدية عن فرسه، وقتلت الخوارج يومئذ؛ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس، سار منهم رجلان إلى سجستان، ومن أتباعهما خوارج سجستان، ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما إباضية اليمن، ورجلان سارا إلى عمان ومن أتباعهما خوارج عمان، ورجلان سارا إلى ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خوارج الجزيرة، ورجل منهم سار إلى تل موزن، وقال علي لأصحابه يومئذ: "اطلبوا ذا الثدية"؛ فوجدوه تحت دالية ورأوا تحت يده عند الإبط مثل ثدي المرأة، فقال: "صدق الله ورسوله، صدق الله ورسوله". هكذا قال رضي الله عنه وذلك أن النبي ﷺ قد أخبر بأنه سيقاتل رجلًا هذه صفته.

وهذه هي قصة المحكّمة الأولى، وكان دينهم: إكفار علي رضي الله عنه وعثمان وأصحاب الجمل، ومعاوية وأصحابه، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم؛ كما أنهم أيضًا كفروا كل ذي ذنب ومعصية، كفروا مرتكب الكبائر.

### ب. فرقة الإباضية:

الإباضية في أصل نشأتها العقدية والتاريخ فرقة من فرق الخوارج، نشأت على أصولهم وتفرعت عنهم كسائر فرقهم الكبرى؛ ذلك أن ابن إباض الذي تنتمي إليه الإباضية نشأ خارجيًّا، وهو يعد من رءوس الخوارج في زمنه، ويقرن تاريخه ومواقفه مع كبارهم، كنافع بن الأزرق وأبي بلال مرداس وعبد الله بن الصفار، وحنظلة بن بيهس وحسان بن بحرج وأبي طالوت وأبي فدي وعطية بن الأسود البكري، ونجدة بن عامر الحنفي، وغير هؤلاء.

فكان عبد الله بن إباض واحدًا منهم خارجًا عن جماعة المسلمين، وعلى أئمتهم منابذًا للأئمة العداء؛ كما كان ناقمًا على عثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهما وكان يعلن ذلك، ومواقفه تشهد بذلك منذ خلافة معاوية > إلى خلافة عبد الملك.

وإنما كان كغيره من مؤسسي فرق الخوارج؛ فقد كانوا تحت قيادة واحدة حين أعلنوا عداءهم لابن الزبير، وكان ابن إباض مثلهم في ذلك؛ بل كان أحدهم إلا أنهم حين انفضوا من ابن الزبير، ورأى نافع ابن الأزرق أن جميع المسلمين كفار ككفار العرب، لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو القتل، وأنه لا تحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا ميراثهم ولا الإقامة بينهم؛ حينئذ خالفه ابن الصفار فأنشأ فرقة الصفرية، وخالفه ابن إباض وقال: إن القوم –يعني: المسلمين– برآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم، ولا يحل لنا إلا دماءهم، وبهذا نشأت فرقة الإباضية، ومن ثم جاءت تسمية الذين لم يخرجوا مع نافع بن الأزرق "القعدة" وأتباع نافع بن الأزرق سموا "الأزارقة".

ومعنى كلمة "القعدة"، يعني: أنهم اعتنقوا فكر الخوارج، وحركوا الخوارج بالكلام؛ ولكنهم انقعدوا عن القتال أو الخروج على الإمام، وهذه المسألة من أهم مسائل الاختلاف بين الإباضية وبين غالب الخوارج؛ مع بقاء القاسم المشترك بينهم منها: وهو البراءة من المسلمين والخروج عن جماعتهم، وأئمتهم كما هو معلوم من تاريخهم؛ وكذلك في الأصول التي خالفت فيها الخوارج أهل السنة؛ فإن الإباضية كسائرهم، وتاريخ نشأة الإباضية الأولى، لم يخرج عن سمات بقية الخوارج من حيث قتالهم للمسلمين في المشرق والمغرب، ومن حيث خروجهم على الجماعة والأئمة طيلة التاريخ الإسلامي، ومن حيث أخذهم بأصول الخوارج العقدية على وجه العموم، وإن خالفوهم

في بعضها، وكانت فرق الخوارج في ذلك الوقت متفرقة في البصرة -وهي قاعدتها الأولى- وخراسان وعمان.

**وبعد أن تميزت الإباضية استقرت في موطنين:**

**الأول:** عمان، على الساحل الشرقي الجنوبي من جزيرة العرب.

وتذكر بعض مصادر الإباضية وغيرهم أن أول من نشر مبادئهم في عمان عمران بن حطان الشاعر المشهور بعدما خرج من حبس الحجاج بن يوسف الثقفي، كما تذكر مصادرهم أن الحجاج نفى جابر بن زيد -وكان قد توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة النبوية- نفاه إلى عمان؛ فأسس مذهب الخوارج هناك في قبائل الأزد؛ ولكنا أهل السنة نشك أن يكون جابر بن زيد -وهو من أئمة التابعين- خارجيًّا إباضيًّا خالصًا؛ لأنه لم ينقل ذلك نقلًا صحيحًا، مع شهرته وكثرة ما نقل عنه؛ إلا أنه يحتمل أن يوافقهم في بعض قولهم، وأن يكونوا تتلمذوا عليه في الفقه والتفسير، وقد يكون روى عن بعض رؤوسهم، وهذا لا يعني كونه إباضيًّا خالصًا؛ فقد روي عنه براءته منهم.

قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب): وقال داود بن أبي هند عن عذرة قال: "دخلت على جابر بن زيد فقلت: إن هؤلاء القوم ينتحلونك -يعني: الإباضية- قال: أبرأ إلى الله من ذلك" وقد اتهمه يحيى بن معين بأنه إباضي، ولعله يعني بذلك بعض قوله الذي وافقهم عليه.

**الثاني:** فقد كان في المغرب العربي في أجزاء من أرض ليبيا، وتونس والجزائر.

والجدير بالذكر أن أول دعاة الإباضية في شمال إفريقيا كما تذكر مصادرهم: سلمة بن سعد في أول القرن الثاني للهجرة؛ حيث وجد بين البربر أرضًا خصبة لنشر دعوة الإباضية بينهم، ولما تمكنت دعوته أرسل خمسة من تلاميذه إلى المشرق؛ لينهلوا من منابع الإباضية في المشرق: وهم أبو الخطاب المعافري، وعبد الرحمن بن رستم من سلاسة كسرى، وعاصم السدراتي وإسماعيل بن درار، وأبو داود النفزاوي؛ فهؤلاء هم المؤسسون الأوائل للإباضية في المغرب وليبيا وتونس والجزائر عقيدةً ودولة؛ حيث خرجوا على إمامة المسلمين بالسلاح، وأقاموا دولة خارجة عن الخلافة.

## موقع الإباضية بين فرق الخوارج:

إن الإباضية لا تخالف سائر الخوارج في غالب أصولهم، وأشهر مسألة اختلفوا فيها مع غيرهم من فرق الخوارج بعد أن فارقوا ابن الزبير؛ حيث لم يبرأ من عثمان رضي الله عنه وهي مسألة الموقف من المخالفين، أي: حكمهم على بقية المسلمين؛ فأغلب الخوارج يرون ما عداهم من المسلمين كفارًا مشركين يجب قتالهم، ولا يجوز مناكحتهم، ولا إرثهم ولا أكل ذبائحهم، ودارهم دار حرب.

أما الإباضية؛ فإنها وإن رأت جواز قتال المسلمين أحيانًا؛ إلا أنها تقول بأنهم كفار نعمة، ويجرون عليهم أحكام الموحدين من حيث النكاح والإرث والسبي والغنائم، ويقولون بجواز معايشتهم والإقامة بينهم، وهذه المسألة من المسائل التي اجتمع كتَّاب الفرق على أن الإباضية خالفت فيها سائر الخوارج، وأنها تعد من الفوارق الرئيسة؛ بل هي الميزة التي أضفت على الإباضية سمة الاعتدال تجاه المخالفين، والتي جعلت الإباضية تعايش بقية المسلمين، وتسالمهم حتى اليوم.

ويحاول بعض الإباضية المتأخرين عبثًا وتكلفًا -لهذا السبب وغيره- أن يخرج الإباضية من الخوارج، وهذه مغالطة لا يقرهم عليها أحد من أهل العلم؛ بل إن الإباضية أنفسهم يعتقدون ويقولون ويؤرخون لدعوتهم بما يعطينا الأدلة القاطعة بأنهم من الخوارج "القَعَدة".

## وإليكم هذه الأدلة بإيجاز:

**الدليل الأول:** الإباضية يوالون الخوارج الأولى، وهم المحكِّمة، والحرورية، وهؤلاء أهل النهروان الذين خرجوا على علي والصحابة، وجماعة من المسلمين وقاتلوهم؛ كعبد الله بن وهب الراسبي ويعدونه إمامًا، وقد بينت ذلك فيما مضى.

**الدليل الثاني:** إن افتراق الإباضية عن بقية الخوارج كان على مسائل قليلة، ولكن أصولهم بقيت كما هي أصول الخوارج، فهم كالصُّفرية؛ بل إن الصُّفرية والإباضية يمثلون الخوارج القعَدة الذين قعدوا عن الخروج مع نافع بن الأزرق، ثم انشعبت القعَدة إلى شعبتين على هذا النحو؛ فكانت الإباضية أكثر مسالمة للمسلمين، وأخف نزوعًا إلى التكفير وأكثر ميلًا إلى التعايش مع سواهم؛ لكنهم لم يخضعوا لسلطة الولاية، وكلما

قويت شوكتهم حاربوا من يليهم، وقاتلوا أئمة المسلمين وجماعتهم؛ كما هو واضح من تاريخهم الذي سطروه؛ لا سيما في شمال إفريقيا.

**الدليل الثالث:** إن تاريخ الإباضية يشهد عليهم بأنهم كانوا دائمًا يمثلون الخوارج بعد اندثار الخوارج الغالية؛ فالإباضية بقيت خارجة طيلة التاريخ الإسلامي الذي اجتمعت فيه كلمة المسلمين وجماعتهم على الإمامة والخلافة الشرعية في الدولة الأموية والعباسية؛ فكانوا دائمًا خارجين على الأئمة؛ إما بالقوة إن قدروا، وإما بالاعتقاد ونزع الولاء الشرعي؛ إذ هم حتى الآن- لا يوالون الأئمةَ الشرعيين للمسلمين إلا مَن كان منهم، وهم يستثنون أبا بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز، ومَن عداهم لا يقرون بشرعية إمامته إلا من كان منهم. أي: خارجيًّا.

**الدليل الرابع:** مشاركة الإباضية لسائر الخوارج في البواعث الأولى لخروجهم وشذوذهم عن جماعة المسلمين من الطعن ببعض الصحابة؛ كعثمان وعلي وتضخيم قضية التحكيم، والمبالغة في مسألة الشورى في الحكم، والمبالغة في مسألة الخروج على الظلم والطغيان والتكفير للعصاة والبراءة منهم.

**الدليل الخامس:** فهو أن للإباضية أسماء أخرى تجمعهم مع سائر الخوارج أو أكثرهم، وبعض هذه الأسماء يواليها الإباضية، وقد يطلقونها عليهم؛ كمثلًا اسم: المحكِّمة، الشراة، الجماعة المؤمنة، أهل الحق، أهل الدعوة... ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد ذكر أسماء الخوارج: "ومن أصنافهم الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، والنجدات أتباع نجدة الحروري".

# (أصول الخوارج ومنهجهم وانتشار أفكارهم)

## عناصر الدرس

العنصر الأول : أصول الخوارج، ومنهجهم

العنصر الثاني : سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث

## أ. مقالة الخوارج أولُ مقالةٍ فرَّقت بين الأمة:

يدور في الحقيقة نزاع، وقد دار هذا النزاع وكان نزاعًا شديدًا في عهد الخليفة الراشد علي رضي الله عنه وقد أحدث هذا النزاع مفارقة وافتراقًا وخروجًا على جماعة المسلمين وإمامهم، وقد انبنى هذا النزاع على مسألتين تجتمعان في أصل واحد هو التكفير بالذنوب ولوازمه.

**أما المسألتان فهما:**

### المسألة الأولى: التحكيم والحكم:

فإنه حينما اتفق المسلمون على تحكيم الحكمين أبي موسى من قِبَل علي رضي الله عنه وعمرو بن العاص من قبل معاوية رضي الله عنه اعترضت السبئية الخوارج، وكان أول من أعلن ذلك -كما يقال: عروة بن جرير حيث قال: أتحكِّمون في دين الله الرجال؟ ثم تلقب هذه الكلمة طوائف من بعض القراء الجهلة والأعراب وقتلة عثمان، وغيرهم من أصحاب علي، وقالوا: لا حكم إلا لله؛ فكان هذا شعارهم الذي فارقوا به الإمام وجماعة المسلمين، ونتجت عن هذه المقولة مقولة أخرى هي التكفير بالمعاصي.

### المسألة الثانية: مسألة التكفير:

تكفير علي ومعاوية والحكمين، ومن رضي بحكمهما؛ أخذًا بظاهر قول الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57] ورتبوا على ذلك جميع لوازم الكفر، والتي منها أن عليًّا رضي الله عنه حين حكَّم الرجال فلا إمامة له؛ فاعتقدوا بذلك أنهم في حل من إمامته وبيعته، وأنه يجب عليهم أن يؤمروا عليهم أميرًا للمؤمنين منهم دون بقية المسلمين الذين صاروا في رأيهم كفارًا ما لم يلحقوا بهم، وأن كل من حكَّم الرجال أو رضي بالتحكيم فهو كافر.

فكان أن بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي في العاشر من شهر شوال سنة سبع وثلاثين من الهجرة النبوية الشريفة، وهذا هو تاريخ أول افتراق فعلي معلن في الأمة؛ وعليه أقول: "إن افتراق الخوارج هو أول افتراق في تاريخ المسلمين؛ فكل الحوادث والنزعات والاختلافات

التي حصلت في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لم ينتج عنها افتراق ولا فِرَق، وكان كل نزاع ينتهي إما بالإجماع أو الأخذ بقول الأغلب، أو العمل بما عليه الإمام أو الأكابر، أو كل يذهب إلى ما أدى إليه اجتهاد ويعذر كل فريق من المختلفين الآخر، ولم يصل الأمر إلى الافتراق، ولا الخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم".

وحتى أولئك الذين قدموا المدينة ناقمين على عثمان > كانوا أول أمرهم لم يظهروا المنازعة ولا الفرقة، ولم يطالبوا لأنفسهم، ولا لأحد بعينه بالإمامة؛ إنما كانوا يطالبون بأن يُخلع الإمام، أو يَخلع الإمام نفسه، أو يَخلعه أهل الحل والعقد، على أن يختار المسلمون لهم إمامًا يرضونه، وكانوا يزعمون أنهم إنما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بذلك.

ولما قتل عثمان رضي الله عنه وحصلت الفتنة، وصارت وقعة الجمل وصفين برزت من خلال ذلك أول فرقة عن جماعة المسلمين وإمامهم، وكانت بظهور الخوارج والشيعة، وذلك في عام سبع وثلاثين للهجرة وما بعدها، وكلا الفرقتين خرجتا من خلال الفتنة، وكلاهما من بذور السبئية رغم ما بدا بينهما من تفاوت في الأصول والمقولات والمواقف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: وهاتان الطائفتان –الخوارج، والشيعة– حدثوا بعد مقتل عثمان > وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدرًا من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعًا من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان > فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان.

ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حَكَمَيْن؛ خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء، فصار هؤلاء هم الخوارج المارقون الذين أمر الرسول ﷺ بقتالهم قاتلهم علي > واتفق أئمة الدين على قتالهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي وسعد وغيرهما؛ بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم؛ ولم يقتلهم علي حتى سفكوا الدماء الحرام، وأغاروا على المسلمين؛ قاتلهم لبغيهم لا لكفرهم؛ لذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

ثم بيَّن أنه إذا كان المسلم متأولًا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، وهذا كلام دقيق من ابن تيمية -رحمه الله- بيَّنَه وهو يتحدث عن طائفة الخوارج والشيعة، وأنهما من أوائل الطوائف التي خرجت على المسلمين. ولما ذكر أن هؤلاء الخوارج مرقوا من الدين، وكَفَّروا عموم المسلمين ذكر أنه إذا كان المسلم متأولًا في القتال أو التفكير لم يكفر بذلك.

ثم قال: "ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون".

**ب.** أصول الخوارج الأولين ومنهجهم وسماتهم العامة:

إن الدارس لحال الخوارج الأولين يخلص في تقرير منهجهم وأصولهم وسماتهم العامة إلى الأصول والسمات التالية:

**الأصل الأول:** التكفير بالمعاصي؛ يعني: أنهم يكفرون بالكبائر، والذنوب ويلحقون أصحاب الكبائر والذنوب -وهم من المسلمين- بالكفار في الأحكام والدار والمعاملة والقتال؛ فيستبيحون دماءهم وأموالهم وإذا تمكنوا من سبي نسائهم فعلوا، مع أن أهل السنة لا يكفرون بالكبائر كما هو معلوم؛ ولهذا كان هذا الأمر من الضلال الذي شاع وانتشر من الخوارج، وما زال قائمًا حتى يوم الناس هذا.

**الأصل الثاني:** الخروج على أئمة المسلمين اعتقادًا، وعملًا غالبًا أو أحدهما أحيانًا؛ فهؤلاء الخوارج ما تورعوا عن شق عصا الطاعة، وتفتيت الأمة وضعفها بخروجهم على جماعة المسلمين وأئمتهم، وكانوا في الحقيقة في هذا في ضلال مبين؛ لأن الخروج على إمام المسلمين يفرق الصف ويكون سببًا في إراقة الدماء؛ لأن ولي الأمر عندما تخرج عليه طائفة وقد بايعه الناس لا شك أنه سيتصدى لهم، وبالتالي سيقاتل من معه من المسلمين هؤلاء القوم الذين خرجوا عليه، وهم أيضًا من المسلمين؛ فسيقع تقاتل عظيم وكبير وتسيل دماء كثيرة بين أهل الإيمان.

**الأصل الثالث:** الخروج على جماعة المسلمين، ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام والبراء منهم وامتحانهم واستحلال دمائهم.

**الأصل الرابع:** صرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة، والخروج عليهم وقتال المخالفين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -كما هو معلوم- شريعة عظيمة من شرائع الإسلام، به تستقيم أحوال الأمة عندما تقوم طائفة لتأمر بالمعروف بمعروف، وتنهى عن المنكر حتى يقِل أو يزول؛ ولكن الخوارج صرفوا نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة والخروج عليهم وقتالهم بالسيف، واعتبروا أن هذا هو المعني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم أن النبي ﷺ ذكر أمورًا متعددة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في حديثه الصحيح: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).

**الأصل الخامس:** كثرة القراء الجهلة فيهم والأعراب، وأغلبهم كما وصفهم النبي ﷺ: ((حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)) فيهم قراء، ولكن هؤلاء القراء قد يكونوا قرءوا العلم أو شيئًا من العلم أو قرءوا شيئًا من القرآن؛ ولكنهم بهذا أيضًا جهلة، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم ((حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام))، وهذا في الحقيقة كلام حق وصحيح يقع على هؤلاء القوم، وقد صدق فيهم إذًا قول النبي ﷺ.

**الأصل السادس:** ظهور سيماء الصالحين عليهم وكثرة العبادة؛ كالصلاة والصيام وأثر السجود، وتشمير الثياب، وقد جاء في الحديث: ((يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم)) وهؤلاء -في الحقيقة- يكثر فيهم الورع؛ ولكن على غير فقه، وفيهم صدق وزهد، ولكن مع تشدد وتنطع في الدين.

**الأصل السابع:** ضعف الفقه في الدين وقلة الحصيلة من العلم الشرعي، وقد وصفهم النبي ﷺ بذلك في حديثه الصحيح يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يعني: لا يدخل إلى قلوبهم، ولا إلى عقولهم ولا يفقهوه ولا يعرفوا معانيه؛ ولكنه فقط يخرج من الحناجر ولا يتعداها إلى شيء بعد ذلك لا إلى قلب، ولا إلى فهم، ولا إلى عقل، ولا إلى وعي.

**الأصل الثامن:** أنه ليس فيهم من الصحابة، ولا الأئمة والعلماء وأهل الفقه في الدين أحد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وليس فيكم منهم أحد"، يعني: الصحابة، وأنا أركز على هذا الأصل العظيم؛ لأبين أن الصحابة لم يضلوا ولم ينحرفوا، ولم يقع واحد منهم في هذه الفتن العمياء التي وقعت في عصرهم رضي الله عنهم فلم يكن واحد

منهم مع الروافض، ولا مع الخوارج ولا مع القدرية ولا مع المرجئة... ولا غير ذلك من هذه الفرق الضالة.

**الأصل التاسع:** الغرور والتعالم والتعالي على العلماء، حتى زعموا أنهم أعلم من علي وابن عباس وسائر الصحابة، والتفوا على الأحداث الصغار والجهلة قليلي العلم من رءوسهم، وأنا أود أن أركز أيضًا على العصر الحديث، وأن أذكر سماتهم، وإن كانت هذه السمات قد تشترك إلا أن الوضع الآن الذي عليه الخوارج في العصر الحديث وضع خطير للغاية أدى إلى ضعف في المسلمين؛ كما أدى أيضًا إلى كلام الغرب والشرق والوقيعة في أهل الإيمان.

**الأصل العاشر:** الخلل في منهج الاستدلال؛ حيث أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد، وهذا خلل: لم يجمعوا بين الآيات، ولا بين الأحاديث؛ وإنما ظنوا أن هناك تصادمًا بين الآيات، واكتفوا بالبعض عن الكل؛ فاستدلوا بالآيات الواردة في الكفار وجعلوها في المخالفين لهم من المسلمين، وقد قال فيهم الصحابي الراشد: عبد الله بن عمر > يقول عن الخوارج: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين".

**الأصل الحادي عشر:** الجهل بالسنة واقتصارهم على الاستدلال بالقرآن غالبًا، وفي الحقيقة الدافع إلى ذلك: أنهم أنكروا كثيرًا من سنة النبي ﷺ لأن هؤلاء الخوارج لما كفروا الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء الصحابة هم الذين حملوا لنا الدين، وهم الذين سمعوا من النبي الأمين ﷺ ونقلوا العلم الذي قاله، والكلمات التي تكلم ونطق بها ﷺ الصحابة هم الذين نقلوا لنا ذلك، فلما كَفَّرهم هؤلاء الخوارج لم يأخذوا شيئًا من حديثهم، واقتصروا فقط على آيات القرآن الكريم.

**الأصل الثاني عشر:** سرعة التقلب واختلاف الرأي وتغييره، فهم عندهم عواطف بلا علم ولا فقه؛ ولذلك يكثر تنازعهم وافتراقهم فيما بينهم، وإذا اختلفوا تفاصلوا وتقاتلوا؛ بل كفَّر بعضهم بعضًا.

**الأصل الثالث عشر:** التعجل في إطلاق الأحكام والمواقف من المخالفين، وهذه سمة في الحقيقة عند الخوارج أنهم لا يتريثون، وإنما يتعجلون في سرعة إطلاق الأحكام؛ كما أن مواقفهم في الحقيقة من المخالفين مواقف سريعة، عندما يطلقون الحكم مباشرة على المخالفين دون تثبت أبدًا.

**الأصل الرابع عشر:** الحكم على القلوب واتهامها، ومنه: الحكم باللوازم والظنون؛ فهم في الحقيقة يحكمون على قلوب الناس ويتهمون الناس، وبالتالي أيضًا يلزمون الناس بما لا يلزمهم؛ فالإنسان قد يكون له قول في مسألة ما، وهذا القول له لازم، إلا أنني لا أجعل قوله هنا لازمًا له إلا إذا التزمه. وعلماء الأصول يعرفون ذلك ويقرروه.

**الأصل الخامس عشر:** القوة والخشونة والجلَد والجفاء، والغلظة في الأحكام، وفي التعامل مع المخالفين وفي القتال والجدال؛ فالخوارج عندهم قوة وعندهم عنف شديد، وفيهم جفاء بالغ في المخالفين لهم.

**الأصل السادس عشر:** قصر النظر وضيق العطن، وقلة الصبر واستعجال النتائج.

**الأصل السابع عشر:** أصل بَيَّنه أيضًا النبي ﷺ: وهو أنهم يقتلون أهل الإسلام ويخاصمونهم، ويدعون أهل الأوثان؛ كما جاء وصفهم في حديث النبي ﷺ في قوله: ((يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان)).

ولأهمية هذا الموضوع سأذكر أيضًا الكلام الذي ذكره فيهم ابن تيمية -رحمه الله- باختصار شديد: وذلك أنه فصل مناهجهم وأصولهم وسماتهم في مواضع عديدة من مصنفاته، وأنا هنا سأسوق طائفة منها:

**الأصل الأول:** جهلهم، عن الخوارج قال: "فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل".

**الأصل الثاني:** تضليلهم لأئمة الهدى وجماعة المسلمين، وقد ذكر هذا الكلام عنهم في معرض ذكره لصفات الخوارج، فقال: "فهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا، ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها".

**الأصل الثالث:** فساد منهجهم بخروجهم عن السنة وخطأ أحكامهم

وفي ذلك يقول: "ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بها جملة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، هذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل؛ فإنك لم تعدل، حتى قال له النبي ﷺ: ((ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؛ لقد خِبت

وخسرت إن لم أعدل)) فقوله: "فإنك لم تعدل" جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهًا وتـــركَ عدل، وقوله: "اعدِلْ" أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصـــلح، وهـــذا وصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة؛ فقائله لا بد أن يثبت ما نفته السنة، وينفي ما أثبتته السنة، يحسن ما لم تحسنه السنة، ويقبح ما حسنته السنة، وهذا القدر قد يقع مـــن بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل.

**الأصل الرابع:** تجويزهم على النبي ﷺ من الجور ما لا يجوز في حقه ﷺ:

فهم كانوا يجوزون على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه كالجور: يقول ابن تيمية –رحمـــه الله: "والخوارج جوَّزوا على الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبـــوا طاعته ومتابعته؛ وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخـــالف – بزعمهم– ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا؛ فإنهم يرون أن الرسول ﷺ لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه؛ كما يحكى عن عمرو بن عبيـــد في حديث الصادق المصدوق ، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول؛ فيطعنون تارة في الإسلام وتارة في المتن؛ وإلا فهم ليسوا متبعين، ولا مـــؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ بل ولا بحقيقة القرآن، وإلا فقولهم بأن الإســـناد ضعيف أو ردهم للمتن إنما هو في الحقيقة عدم تسليم للنبي ﷺ.

**الأصل الخامس:** التكفير بالذنوب، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم واعتبار دارهم دار حرب:

وفي هذا يقول ابن تيمية –رحمه الله: "والفرق الثاني في الخوارج وأهل البـــدع، أنهـــم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهـــور الرافضة، وجمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقـــه ومتكلميهم؛ فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة النبي ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرًا؛ ولهذا قال ابن تيمية –رحمه الله: "وأما التكفير بذنب أو اعتقاد سني؛ فهو مذهب الخوارج، والتكفير باعتقاد سني مـــذهب الرافضـــة والمعتزلة وكثير من غيرهم".

**الأصل السادس:** سوء فهمهم للقرآن أوقعهم في التكفير ولوازمه، وفي ذلك يقول ابـــن تيمية –رحمه الله: "وكانت البدع الأولى؛ كبدعة الخوارج إنما هي من ســـوء فهمهـــم

للقرآن، لم يقصدوا معارضته؛ لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن برًّا تقيًّا فهو كافر، وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله".

**فكانت بدعتهم لها مقدمتان:**

**الواحدة:** أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

**الثانية:** أن عثمان وعليًّا ومن والاهما كانوا كذلك؛ ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا؛ فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم.

**الأصل السابع:** أنهم لا يعملون بالسنة إذا خالفت أصولهم، وليس لهم مؤلفات مأثورة، قال -رحمه الله- في بيان ذلك: "والخوارج لا يتمسكون من السنة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم؛ فلا يرجمون الزاني، ولا يرون للسرقة نصابًا؛ وحينئذ فقد يقولون ليس في القرآن قتل المرتد، فقد يكون المرتد عندهم نوعين، وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية والسالمية، وأهل المذاهب الأربعة والظاهرية، ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية... ونحو هؤلاء.

وختامًا أذكر ما قاله الإمام الأشعري -رحمه الله-من أصول عن الخوارج، قال -رحمه الله: "أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن حَكَّم -يعني: نزل عندما طلب منه معاوية فنزل إلى حكمه ورضي بالحكمين- وهم مختلفون -أعني في كفر علي بن أبي طالب: هل كفره شرك أم لا؟ وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات؛ فإنها لا تقول بذلك، وأجمعوا على أن الله -تبارك وتعالى- يعذب أصحاب الكبائر عذابًا دائمًا إلا النجدات -أصحاب نجدة- فهؤلاء لم يقولوا بذلك.

هذه الفرقة لها ظهور بارز في هذه الأزمنة المتأخرة، ولا شك أنهم يرجعون إلى الخوارج الأولين.

## أ. أسباب ظهور سمات الخوارج في العصر الحديث:

أما ما يتعلق بالأسباب التي هيأت لبروز سمات الخوارج وخصالهم في العصر الحديث، فهي كثيرة ومتشابكة تتمثل فيما يلي:

**السبب الأول:** إعراض أكثر المسلمين عن دينهم -عقيدة وشريعة وأخلاقًا- إعراضًا لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام؛ مما أوقعهم في ضنك العيش وفي حياة الشقاء كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: 124] ويتجلى هذا الإعراض بأمور كثيرة في حياة كثير من المسلمين اليوم أفرادًا وجماعات، ودولًا وشعوبًا، وهيئات ومؤسسات، ومن مظاهر هذا الإعراض: كثرة البدع والعقائد الفاسدة، وما نتج عن ذلك من الافتراق والفرق والأهواء والتنازع، والخصومات في الدين، والإعراض عن نهج السلف الصالح وجهله أو التنكر له، والعلمنة الصريحة في أكثر بلاد المسلمين، والتي أدت إلى الإعراض عن شرع الله وإلى الحكم بغير ما أنزل الله، وإلى ظهور الزندقة والتيارات الضالة والتنكر للدين والفضيلة.

الحقيقة بأن العلمانية غزت بلاد المسلمين، والعلمانية -في الحقيقة- مصطلح قد يخدع بعض الناس، ويظن أنه يرجع إلى العلم، والأمر ليس كذلك؛ فالعلمانية تعني اللا دينية: وهي فصل الإسلام عن واقع حياة المسلمين.

وقد أدى هذا الفصل إلى ظهور هذه العلمنة في ديار المسلمين إلى مفاسد متعددة: أدى إلى شيوع الفساد وظهور الفواحش والمنكرات وحمايتها، والتعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة، وهذه الأمور لا شك أنها تندرج تحت مفهوم الإعراض عن شرع الله -تبارك وتعالى.

وهي عندما تقع في مجتمع من المجتمعات تثير غيرة الشباب المتدين، وحين لا يظهر السعي الجاد لتغيير الحال، وإنكار المنكر يلجأ إلى التصدي لهذه الانحرافات أناس ليس عندهم شيء من العلم فيضلوا بذلك.

ومن مساوئ العلمانية أيضًا: وقوع أكثر المسلمين في التقصير في حق الله تعالى، وارتكابهم للذنوب والمعاصي والمنكرات، وضعف مظاهر التقوى والورع والخشوع في حياة المسلمين.

**السبب الثاني:** شيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله: ظلم الأفراد، وظلم الشعوب، وظلم الولاة وجورهم، وظلم الناس بعضهم لبعض؛ مما ينافي أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، وما أمر به الرسول، والنبي ﷺ استقى من كتاب ربه، ومما أوحاه الله -تبارك وتعالى- إليه بيَّن لنا واستقى منه ما يدفعنا إلى تحقيق العدل ونفي الظلم، وإذا حُقِّق العدل، وانتفى الظلم لا شك أننا لن نجد من يخرج على جماعة المسلمين.

**السبب الثالث:** تحكم الكافرين من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين في مصالح المسلمين: وهؤلاء قد تدخلوا في شئون البلاد الإسلامية، ومصائر شعوبها عبر الاحتلال والغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي، وتحت ستار المصالح المشتركة أو المنظمات الدولية، ونحو ذلك مما تداعت به الأمم علينا من كل حدب وصوب ما بين طامع وكائد وحاسد، وغير ذلك من صور التحكم في مصائر المسلمين والحجر عليهم؛ مما أدى إلى تذمرهم، وشعور طوائف من شبابهم ومثقفيهم وأهل الغيرة منهم بالضيم والإذلال.

**السبب الرابع:** محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنن والتضييق على الصالحين والمتمسكين بالسنة، والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد مما يعد من أعظم الأمور التي تستفز أصحاب الغيرة والاستقامة.

وفي الحقيقة هذا السبب من الأسباب القوية التي أدت إلى خروج وبروز نجم الخوارج في العصر الحديث؛ فلما ضيق على بعض المسلمين وعذبوا بلا ذنب أو جريمة ارتكبوها؛ دفع هذا التعذيب بعضًا من الناس إلى أن يخرجوا على المجتمع بصورة عامة.

**السبب الخامس:** الجهل بالعلم الشرعي وقلة الفقه في الدين: وهذا السبب يشترك الخوارج فيه مع الخوارج السابقين، وقد ذكرت أن من سمات وأصول الخوارج الذين

خرجوا على علي بن أبي طالب > أنهم كانوا يجهلون العلوم الشرعية، و لم يكن لديهم وعي ولا فقه في دين رب العالمين ﷻ.

وخوارج العصر اليوم يتميزون أيضًا بالجهل، وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية؛ فحين يتصدرون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة.

**السبب السادس:** الجفوة بين العلماء والشباب، ففي أغلب بلاد المسلمين تجد العلماء بعلمهم وحكمتهم وفقههم، وتجاربهم في معزل عن أكثر الشباب، وربما يسيئون الظن بالكثير منهم كذلك، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، وربما تكون سمعتهم في أذهان الكثيرين على غير الحقيقة؛ وذلك بسبب انحراف مناهج التربية لدى بعض الجماعات، وبسبب وسائل الإعلام المغرضة التي تفرق بين المؤمنين؛ مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات التي لا تليق تجاه علمائهم.

**السبب السابع:** الخلل في مناهج الدعوات المعاصرة، فأغلب الدعوات المعاصرة تربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية سياسية واقتصادية ونحوها، وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصل شرعًا، والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة.

**السبب الثامن:** ضيق العطن، وقصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة: وهذا موجود لدى بعض الشباب، فإذا انضاف إلى هذه الخصال ما سبق أن ذكرته في الأسباب الأخرى من سوء الأحوال، وشيوع الفساد والإعراض عن دين الله، والظلم ومحاربة التدين... أدى ذلك إلى الغلو في الأحكام، والمواقف الذي هو من أكبر سمات الخوارج.

**السبب التاسع:** تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام وأشباههم للدعوة، ودعوة الشباب بلا علم ولا فقه؛ فاتخذ بعض الشباب منهم رءوسًا جهالًا؛ فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غيره هواه ومذهبه أو بخلاف موقفه؛ أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو بالجبن أو المداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك... ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على

العلماء، والحط من قدرهم ومن اعتبارهم... وغير ذلك؛ مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم، وهذا في الحقيقة أمر واقع؛ فكثير من هؤلاء الشباب يطعنون على أهل العلم.

**السبب العاشر:** التعالم والغرور: وأعني بذلك: أنه من أسباب ظهور سمات الخوارج في بعض فئات الأمة اليوم: ادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين؛ فيستقل بغروره عن العلماء عن مواصلة طلب العلم؛ فيهلك بغروره ويهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدَّعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

## ب. نموذج لجماعة خارجية في العصر الحديث:

وهذه الجماعة هي جماعة التكفير والهجرة: وتعد جماعة التكفير والهجرة نموذجًا لظهور الخوارج في العصر الحديث، وهي تسمي نفسها جماعة المسلمين، وقد نشأت في مصر على يد أحد الطلاب الجامعيين في كلية الزراعة بأسيوط، ويدعى شكري مصطفى، وقد تولدت لديه أفكار الخوارج إثر اعتقاله عام ألف وثلاثمائة وخمس وثمانين من الهجرة النبوية تقريبًا، وقد تأصل لديه أثناء السجن هذه الأفكار الخارجية، وأصبح يجمع حوله بعض الشباب.

وأنا هنا لن أتحدث عن هذه النشأة التاريخية بتفصيل؛ ولكن يكفي أن ذكرت مؤسس هذه الجماعة، وكيف نشأ بفكره من داخل السجن أثناء اعتقاله فيه؛ لأنتقل إلى أمرٍ مهم عند هذه الجماعة، ولا بد من الحديث عنه، وهو أنني أبين أصول الخوارج المعاصرين، والمتمثلة في جماعة التكفير والهجرة كنموذج لجماعة خارجية في العصر الحاضر.

## أصول جماعة التكفير والهجرة:

**الأصل الأول:** التكفير، ويشمل ذلك عندهم تكفير مرتكب الكبيرة، والقول بخروجه من الملة، وأنه خالد مخلد في النار -كما تقول فرق الخوارج الأولى- تكفير المخالفين لهم من

المسلمين، تكفير من يخرج عن جماعتهم ممن كان منهم أو من يخالف بعض أصولهم، فلو كان مثلًا واحد معهم ثم خرج عليهم كفروه، وإن استطاعوا قتله قتلوه.

أيضًا هذا التكفير يشمل تكفير المجتمعات المسلمة -سواهم لا شك- والحكم عليها بأنها مجتمعات جاهلية، ويشمل أيضًا تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله مطلقًا دون تفصيل، وتكفير من لم يهاجر إليهم ومن لم يهجر المجتمع ومؤسساته.

**الأصل الثاني:** وجوب الهجرة والعزلة، ويشمل ذلك عندهم: هجر مساجد المسلمين، وترك الصلاة بها، وترك الجمعة، وهجر المجتمعات المسلمة من حولهم مطلقًا، وهجر التعلم والتعليم، وتحريم الدخول في الجامعات والمدارس، وهجر الوظائف الحكومية، وهجر العمل بمؤسسات المجتمع، وتحريم مزاولة أي عمل فيما يطلقون عليه المجتمع الجاهلي، وهو كل من سوى جماعتهم.

**الأصل الثالث:** الدعوة إلى الأمية ومحاربة التعليم: وذلك بدعوى أن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنه كانوا أميين إلا النادر، وأنه لا يمكن التوفيق بين طلب العلوم الدنيوية، وبين عبادة الله تعالى بالصلاة والصوم والحج والدعاء والذكر وتلاوة كتاب الله والجهاد والبلاغ، وأنه يمكن أن يتلقى المسلم القدر الضروري من العلم الشرعي بالتلقي المباشر دون اللجوء إلى تعلم القراءة والكتابة، ونحو ذلك من التلبيسات.

**الأصل الرابع:** القول بالتوقف والتبيُّن، ويقصدون به -كما يقصد أسلافهم الخوارج الأولون: التوقف في أمر مجهول الحال من غير جماعتهم؛ فلا يحكمون عليه بالكفر ولا يحكمون له بالإسلام إلا بالبينة: وهي لزوم جماعتهم، هذه هي البينة عندهم، ومبايعة إمامهم؛ فمن أجاب فهو مسلم، ومن لم يجب فهو كافر.

**الأصل الخامس:** القول بأن زعيمهم شكري مصطفى هو المهدي الذي يخرج آخر الزمان، ويُظْهر الله به الدين على سائر الأديان في الأرض.

**الأصل السادس:** زعمهم بأن جماعتهم هي الجماعة المسلمة، وهي جماعة آخر الزمان التي تقاتل الدجال، وأن ظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام قد أوشك.

**الأصل السابع:** القول بتعارض الفرائض، ويقصدون به: جواز إسقاط بعض الواجبات والفرائض الشرعية حين لا يتم العمل بما هو أهم منها إلا بذلك؛ فزعموا سقوط الجمعة

عنهم؛ لأنهم في حالة استضعاف وشرطها التمكين، وأباحوا لأفرادهم حلق اللحية؛ لأنها تعوق حركتهم وتعرضهم للخطر.

**الأصل الثامن:** أذكر تحته بعض الأصول والسمات البدعية الأخرى بصورة سريعة، وهي كما يلي:

القول بمرحلية الأحكام، وأنهم يسعهم ترك بعض شعائر الدين وأحكامه كالجمعة والعيدين، وارتكاب بعض المحرمات كالزواج من الكافرات، وحلق اللحى وأكل ذبائح الكافرين؛ لأنهم في مرحلة الضعف كالعهد المكي.

وأيضًا من البدع التي أحدثوها في ذلك: إحداث أصول تشريعية جديدة تخالف منهج السلف، وردهم للإجماع، ومنع التقليد والاقتداء مطلقًا، وإلزام جميع الناس بالاجتهاد.

كما أن أيضًا من سماتهم البدعية: عدم اعتماد فهم الصحابة والعلماء وأئمة الهدى للقرآن والسنة؛ كما أنهم لا يعتدون بالخلافة الإسلامية من القرن الرابع، ويكفرون هذه العصور.

وأيضًا عندهم عنف وحِدَّة شديدة في التعامل مع الآخرين، وهم يتعالمون ولديهم غرور وتعالٍ وشعور بالتميز عن سائر المسلمين، وقد استحلوا دماء المسلمين وحاولوا قتل بعضهم، وقد ذكر أنهم قتلوا بعض الأئمة وعلماء المسلمين، والله أعلم بذلك.

ولكن على كل حال؛ هذه هي سمات وأصول جماعة التكفير والهجرة أردت أن أعرضها، وأنا أتحدث عن الخوارج حتى أربط حاضر الأمة بماضيها؛ ولأقول لعموم الناس: بأن الخوارج ما زالوا إلى يومنا هذا، وأنهم يسيرون في هذه الأمة، ويسلكون مسلكَ الخوارج السابقين من تكفير المسلمين واستحلال دمائهم، وغير ذلك.

(المرجئة وأصول معتقداتهم ونقضها)

عناصر الدرس

العنصر الأول : تعريف المرجئة، ومظاهر الإرجاء في العصر الحاضر

العنصر الثاني : أصول عقيدة المرجئة وفرقهم والرد عليهم

## تعريف المرجئة، ومظاهر الإرجاء في العصر

### أ. معنى الإرجاء وأول مَن أسس هذه الطائفة:

جاء في (القاموس): أرجأ الأمر: أخره، وترك الهمز لغةٌ، قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: 106] أي: مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد، ومنه سميت المرجئة، وقال الشهرستاني -رحمه الله: الإرجاء على معنيين... ثم ذكر -رحمه الله- المعنى الأول: وهو التأخير؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [الأعراف: 111] أي: أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء

أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول؛ فصحيح، وذلك لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقل، وأما بالمعنى الثاني؛ فظاهر أيضًا -وأعني بالمعنى الثاني إعطاء الرجاء-وذلك لأنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وقيل: الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار؛ فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان.

ولذلك نجد بأن الشهرستاني -رحمه الله-يرى أن المرجئة إنما لزمهم هذا اللقب لأمرين:

**الأمر الأول:** تأخيرهم العمل عن النية والقصد.

**الأمر الثاني:** إعطاؤهم المؤمن العاصي الرجاء في عفو الله بإرجائهم العمل عن الاعتبار في مجال الإيمان؛ لأن المهم عنده هو العقد القلبي.

وذكر إرجاءً آخر لا ضير فيه: وهو تأخير حكم العاصي إلى يوم القيامة؛ ليكون تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له دون جزم بأحد الأمرين.

هذا، وقد درج أهل السنة على تسمية كل من أخر العمل عن الركنية في الإيمان مرجئًا؛ وكذلك فعل بعض مؤرخي الفرق، فعلوا ذلك -أعني: أنهم أطلقوا على كل من أخر العمل عن الإيمان اسم مرجئ.

وقد اختلف العلماء في أول من أسس هذا المذهب -أي: أفصح عنه وأعلنه ودعا إليه- وإلا فبذُورُه متقدمة، وقيل: بأن أول من أسسه ذر بن عبد الله الهمداني وهو تابعي متعبد، توفي قبل نهاية القرن الأول روى حديثه الجماعة.

قال إسحاق بن إبراهيم: قلت لأبي عبد الله -يعني: الإمام أحمد: أول من تكلم في الإيمان من هو؟ قال: يقولون: أول من تكلم فيه ذر، وهكذا نقل الذهبي في (الميزان) عن الإمام.

ويبدو أن ذرًّا قد عرضت له شبهة وكان شاكًّا فيها، ثم جزم بها وأصر عليها لما لاقت رواجًا، وهكذا شأن أصحاب البدع، قال سلمة بن كهين: وُصِف ذر بالإرجاء وهو أول من تكلم فيه، ثم قال: إني أخاف أن يتخذ هذا دينًا، فلما أتته الكتب في الآفاق؛ قال: فسمعته يقول: وهل أمر غير هذا؟! وهو يعني بذلك: أن هذا الأمر لما تكلم فيه ذر لا يستبعد بعد ذلك أن يتخذه الناس دينًا في الآفاق.

وعن الحسن بن عبيد الله قال: سمعت إبراهيم النخعي يقول لذر: ويحك يا ذر؛ ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال ذر: ما هو إلا رأي رأيته، قال: ثم سمعت ذرًّا يقول: إنه لدين الله الذي بعث به نوح.

وقد تعرض ذر لنقد العلماء المعاصرين؛ فقد ذمه إبراهيم النخعي بما سبق، وكان يعيبه ولا يرد عليه إذا سلم.

وكان سعيد بن جبير -رحمه الله-شديدًا عليه؛ حتى إن ذرًّا أتاه يومًا في حاجة فقال: لا حتى تخبرني على أي دين أنت اليوم؟ أو رأي أنت اليوم؟ فإنك لا تزال تلتمس دينًا قد أضللته؛ ألا تستحي من رأي أنت أكبر منه؟!.

وشكا ذر إلى أبي البختري الطائي أنه لا يرد عليه إذا سلم؛ فقال سعيد: إن هذا يحدث أو يجدد كل يوم دينًا، والله لا كلمته أبدًا، وهذا قد نقله الحافظ أيضًا -رحمه الله-وقد ذكر أن ذرًّا شهد مع ابن الأشعث قتاله للحجاج وذلك سنة ثمانين.

وقيل: إن أول من أحدثه: هو قيس الماصر، نقل ذلك الحافظ عن الأوزاعي فقال: إن أول من تكلم في الإرجاء من أهل الكوفة يقال له: قيس الماصر، وقد ذكر ذلك الحافظ -رحمه الله-في كتابه (تهذيب التهذيب) في ترجمة عمر بن قيس الماصر.

وقيل: إن أول من أحدثه: حماد بن أبي سليمان المتوفى سنة مائة وعشرين هجرية، شيخ أبي حنيفة وتلميذ إبراهيم النخعي، ثم تبعه أهل الكوفة وغيرهم، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله.

ولا شك أن حمادًا كان مرجئًا وأنه كان معاصرًا لذر؛ فقد روى عبد الله بن أحمد أن إبراهيم النخعي شيخ حماد قال: لا تدعوا هذا الملعون يدخل عليَّ بعد ما تكلم في الإرجاء -يعني: حمادًا-ومع ذلك فقد ادعى حماد غير هذا إلا أن يقال: إنه كان مستترًا خائفًا ثم أظهر وأعلن.

قال أبو هاشم: أتيت حماد بن أبي سليمان فقلت: ما هذا الرأي الذي أحدثت لم يكن على عهد إبراهيم النخعي؟! فقال: لو كان حيًّا لتابعني عليه. يعني: تابعه على قوله في الإرجاء، وفي هذا يدل على أولية حماد؛ لكن النص الآتي بعد يدل على أنه اتبع غيره، وقد ذكر الذهبي عن معمر، قال: كنا نأتي أبا إسحاق -يعني: السبيعي-فيقول: من أين جئتم؟ فنقول: من عند حماد. فيقول: ما قال لكم أخو المرجئة؟ قال معمر: قلت لحماد: كنت رأسًا وكنت إمامًا في أصحابك فخالفتهم فصرت تابعًا. قال: إني أن أكون تابعًا في الحق خير من أن أكون رأسًا في الباطل.

قال الذهبي: قلت: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئًا إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي -إن شاء الله-وإنما غلو الإرجاء من قال: لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض -نسأل الله العافية.

وقول الذهبي -رحمه الله-فيما سبق بأن الكلام في الإرجاء والقول بأن النزاع لفظي بين مرجئة الفقهاء وغيرهم من أهل السنة والجماعة: هذا قد يكون صحيحًا في حق من يقول: الإيمان يشمل عمل القلب كله؛ أما من خصصه بالتصديق فقط وهو المشهور عن مرجئة الفقهاء، وأخرج سائر الأعمال؛ فلا يمكن في هذه الحالة أن يكون النزاع لفظيًّا.

## مقالات المرجئة في العصر الحاضر:

رغبةً مني في تحذير أهل الإيمان من مقالات المرجئة الذين تلاعب بهم الشيطان؛ فقد رأيت أن أسرد هنا من مقالاتهم ما هو موجود في هذه الأزمنة مما جزم أهل العلم بأنه

من كلام المرجئة الذي خالفت به أهل السنة والجماعة، وأنا أريد من وراء هذا أيضًا أن أبين أن مذهب الإرجاء ما زال موجودًا في الناس إلى هذا اليوم، وأن له مـــن الآثـــار السلبية ما له.

## أما الأقوال في مسألة الإيمان فهي كما يلي:

1. الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الذي كان يزعم أن الإيمان هو معرفة القلب، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فيه أهله.
2. الأشاعرة والماتريدية: قالوا إن الإيمان هو التصديق القلبي، ومنهم من قال إنه لا يزيد ولا ينقص كالباقلاني والجويني والرازي وعليه أكثر الماتريدية. ومنهم من قال: إن التصديق القلبي يقبل الزيادة والنقصان من حيث القوة والضعف لوضوح الأدلة والبراهين عليه وقال بهذا الإيجي والغزالي.
3. أبو حنيفة وأصحابه: قالوا الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان وهو لا يزيد ولا ينقص. ووافقهم في هذا بعض الماتريدية.
4. الكرامية: قالوا إن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب.
5. قول أهل الحديث: الإيمان القول باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

## أ. أصول عقيدتهم:

### تكاد فرق المرجئة تتفق في أصولها على مسائل هامة هي:

**أولًا:** تعريف الإيمان بأنه: التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار، وأن العمل ليس داخلًا في حقيقة الإيمان ولا هو جزء منه؛ مع أنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تمامًا إلا عند الجهل ومن تبعه في غلوه.

**ثانيًا:** أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان.

**ثالثًا:** أن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملو الإيمان بتمام تصديقهم، وأنهم حتمًا لا يدخلون النار في الآخرة.

**رابعًا:** لهم أيضًا إلى جانب هذه الأصول اعتقادات أخرى؛ كالقول بأن الإنسان يخلق فعله، وأن الله -تبارك وتعالى- لا يرى في الآخرة وقد تأثروا في هذه الآراء بالمعتزلة وكذا رأيهم في أن الإمامة ليست واجبة؛ فإن كان ولا بد فمن أي جنس كان ولو كان غير قرشي، وقد تأثروا بهذا الرأي من الخوارج الذين كانوا ينادون به و لم يطبقوه.

**خامسا:** أن الكفر بالله هو الجهل به، وهو قول جهم، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الإيمان لا يتبعض، وقد ذهب الجهم ومن تابعه إلى أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما ولا خلود لأحد فيهما.

**سادسًا:** بعضهم ذهب إلى أن كل معصية فهي كبيرة.

**سابعًا:** بعضهم يذهب إلى أن غفران الله للذنوب بالتوبة تفَضُّل من الله -تبارك وتعالى- وبعضهم ذهب إلى أنه باستحقاق.

**ثامنًا:** بعضهم جوّز على الأنبياء فعل الكبائر.

**تاسعًا:** بعضهم ذهب في إثبات التوحيد إلى قول المعتزلة، وبعضهم إلى قول المشبهة.

**عاشرًا:** منهم من أثبت رؤية الله تعالى في الدار الآخرة، ومنهم من نفاها كالمعتزلة.

**الحادي عشر:** اختلفوا في القول بخلق القرآن؛ فمنهم من قال: إنه مخلوق، ومنهم من قال: إنه غير مخلوق، ومنهم من توقف.

**الثاني عشر:** اختلفوا في القدر، وذهب بعضهم إلى نفي القدر وقال بأقوال المعتزلة، وبعضهم أثبته.

**الثالث عشر:** اختلفوا في أسماء الله وصفاته فبعضهم قال بأقوال عبد الله بن كُلَّاب، ومنهم من قال بأقوال المعتزلة.

هذه هي أصول المرجئة إجمالًا، وقد ذكرت إلى جانب قولهم في الإيمان ما ذكرته من معتقدات أخرى حتى أن هذه الفرق لما خالفت منهج أهل السنة الجماعة وقعوا في إشكالات كثيرة عُدُّوا بها من المبتدعة.

وهذا يظهر لنا أن التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فيهما نجاة للعبد من أن يضل أو ينحرف عن صراط ربه ﷻ المستقيم؛ فهؤلاء لما قالوا بهذه المعتقدات الفاسدة ضلوا في معنى الإيمان كما ضلوا في القدر كما ضلوا في أسماء الله وصفاته... وغير ذلك.

### ب. فرق االمرجئة:

المرجئة تشتت وتشعبت إلى فرق شتى، وقد ذكر الشهرستاني -رحمه الله-مقالات ست طوائف من المرجئة:

**الفرقة الأولى: اليونسية:** أصحاب يونس بن عمرو النميري، وقد زعم أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه، والمحبة بالقلب؛ فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن؛ وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان ولا يضر ترك شيء من ذلك حقيقة، لا يضر الإيمان بحال من الأحوال إذا ترك غير ما ذكره من المعرفة لله والخضوع وترك الاستكبار وغير ذلك.

**الفرقة الثانية: العبيدية:** وهؤلاء أصحاب عبيد المكتئب؛ حكي عنه أنه قال: ما دون الشرك مغفور لا محالة، وأن العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات.

**الفرقة الثالثة: الغسانية:** أصحاب غسان الكوفي، وقد زعم أن الإيمان: هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله ﷺ والإقرار بما أنزل الله وبما جاء به الرسول ﷺ في الجملة دون التفصيل، وقال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

**الفرقة الرابعة: الثوبانية:** أصحاب أبي ثوبان المرجئ الذين زعموا أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبرسله -عليهم الصلاة والسلام، وأخروا العمل كله على الإيمان.

**الفرقة الخامسة: التومانية:** أصحاب أبي معاذ التومني: وقد زعم أن الإيمان هو ما عصم من الكفر، وهو اسم لخصال إذا تركها العبد أو ترك خصلة منها كفر، وهي المعرفة والتصديق والمحبة والإخلاص، والإقرار بما جاء به الرسول ﷺ. قال: وكل معصية لم يجمع عليه المسلمون بأنها كفر لا يقال لصاحبها "فاسق"؛ ولكن يقال: فسق وعصى.

**الفرقة السادسة: الصالحية:** أصحاب صالح بن عمر، قال: إن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى على الإطلاق، وأن للعالم صانعًا فقط والكفر هو الجهل به على الإطلاق، ومعرفة الله: هي المحبة والخضوع له ولا عبادة لله إلا الإيمان به، وهو معرفته.

هكذا ذكر الشهرستاني -رحمه الله- للمرجئة وقال مقالاتهم في ذلك.

أما الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- فيبلغ في المرجئة في كتابه (مقالات الإسلاميين) إلى اثنتي عشرة فرقة:

**الفرقة الأولى:** الجهمية، أصحاب الجهم بن صفوان الترمذي الذين يزعمون أن الإيمان هو معرفة القلب وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكون إلا في القلب دون الجوارح.

**الفرقة الثانية:** النجارية، أتباع الحسين بن محمد النجار، وهؤلاء يرون أن الناس يتفاضلون في إيمانهم ويكون بعضهم أكثر تصديقًا من بعض، وأن الإيمان يزيد ولا ينقص.

**الفرقة الثالثة:** الغيلانية، أصحاب غيلان، وهؤلاء يزعمون أن الإيمان: هو المعرفة الثانية بالله والمحبة والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول ﷺ وبما جاء به من عند الله، وأما المعرفة الأولى فهي اضطرار؛ فلذلك لم يجعلها من الإيمان.

**الفرقة الرابعة:** هم أصحاب محمد بن شبيب، وهؤلاء يذهبون إلى أن الإيمان هو الإقرار بالله والمعرفة بأنبيائه ورسله ﷺ وبجميع ما جاءت به من عند الله ﷻ مما نص عليه المسلمون ونقلوه عن النبي ﷺ ويقولون: إن الإيمان يتبعض ويتفاضل أهله فيه.

**الفرقة الخامسة:** هم أبو حنيفة وأصحابه، وهؤلاء يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله وبالرسول ﷺ والإقرار بما جاء به من عند الله في الجملة دون التفصيل.

**الفرقة السادسة:** الكَرَّامية، أتباع محمد بن كَرَّام، وهؤلاء يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانًا.

ولعلنا نلاحظ أن هؤلاء جميعًا اشتركوا في إخراج العمل عن الإيمان؛ فبعضهم ذهب وزعم أن الإيمان هو مجرد المعرفة، وبعضهم قال بأن الإيمان هو الخضوع والمحبة، وبعضهم ذكر بأن الإيمان هو التصديق مع القول.

# (التعريف بالرافضة ونشأتهم وفرقهم)

## عناصر الدرس

العنصر الأول : التعريف بالرافضة ونشأتهم

العنصر الثاني : فرق الشيعة الرافضة وألقابهم

## أ. التعريف بالرافضة:

لقد رجعت إلى أحد أئمة أهل السنة والجماعة ممن كتبوا في المقالات وعرفوا لنا الرافضة بتعريف دقيق -وهذا الذي أعنيه هو الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله-قال في تعريف الرافضة: إنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ثم ذكر بعض أقوالهم، وهو يعرِّف بهذه الطائفة فقال: وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة } ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قَرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: إنه ليس بإمام.

وأبطلوا جميعًا الاجتهادَ في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن عليًّا > كان مصيبًا في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين، إلا الكاملية أصحاب أبي كامل؛ فإنهم أكفروا الناس بترك الاقتداء به، وأكفروا عليًّا بترك الطلب، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته، وهم -سوى الكاملية- أربع وعشرون فرقة، ويذكر بعد ذلك الإمام أسماء بعض هذه الفرق.

## ب. مؤسس مذهب الرافضة:

مؤسس مذهب الرافضة: هو عبد الله بن سبأ، الملقب بابن السوداء، وهو يهودي، والأصل اليهودي لابن سبأ لم يكن محل خلاف في الروايات التاريخية أو لدى كتب الفرق وفي آراء المتقدمين أمثال الطبري، وابن عساكر، وابن الأثير، وابن حزم، أو أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية -عليهم رحمة الله- هذا فضلًا عن مراجع الشيعة أنفسهم.

وأذكر هنا بعض الأقوال التي ذكرها كتب التاريخ في التعريف بعبد الله بن سبأ هذا الذي أسس مذهب الرافضة، وقد ذكروا جميعًا ونصوا على أنه كان يهوديًّا؛ فهذا الإمام الطبري -رحمه الله- يقول في "تاريخه": كان عبد الله بن سبأ يهوديًّا من أهل صنعاء،

وقال البغدادي: وكان ابن السوداء في الأصل يهوديًّا، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ؛ فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولس النصراني الذي كان يهوديًّا في إفساد دين النصارى.

والراجح من الروايات: أن نشأة ابن سبأ اليهودي كانت في اليمن من صنعاء، كما روى الطبري، وأيده ابن عساكر فقال: عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية أصله من أهل اليمن؛ حيث كان لليهود وجود فيها، ويرجع ذلك في بعض الآراء إلى سنة سبعين ميلادية، وذلك حينما نزح اليهود من فلسطين بعد أن دمرها الإمبراطور الروماني فيتوس وحطم هيكل أورشليم.

وعلى إثر ذلك تفرق اليهود في الأمصار ووجد بعضهم في اليمن بلدًا آمنًا والتجئوا إليه وفيه انتشرت اليهودية.

وبعد أن استولى الأحباش على اليمن سنة 525 ميلادية بدأت النصرانية تدخل اليمن؛ ولكن اليهودية وإن ضعفت في اليمن بدخول الأحباش فيها؛ فإنها بقيت –مع ذلك– محافظة على كيانها فلم تنهزم ولم تُجتث من أصولها؛ فنشأة ابن سبأ كانت في بيئة يهودية، واليهودية التي عاشها كانت تمتزج بتعاليم المسيحية.

ونستطيع بعد هذا أن نفهم الازدواجية في التأثير في الآراء التي نادى بها ابن سبأ وخاصة في عقيدة الرجعة والوصية حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذِّب بأن محمدًا يرجع، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]؛ فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ﷺ.

هذا من أقوال النصارى، وقد ذهب إليه عبد الله بن سبأ، وهو يهودي في الأصل؛ ولكن اليهودية هناك في اليمن قد امتزجت بالنصرانية، وهذا الرجل لعله وقف على هذا وذاك.

ومما يؤكد ما ذكرته من أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًّا: ما ذكره البغدادي –رحمه الله– حيث قال: وكان ابن سبأ في الأصل يهوديًّا. إلا أنه قال: من أهل الحيرة.

والإمام أبو زهرة –رحمه الله– تابع البغدادي في ذلك، فقال: السبئية، وهم أتباع عبد الله بن سبأ، وكان يهوديًّا من أهل الحيرة، أظهر الإسلام، وأمه سوداء، وكذلك يقال عنه:

ابن السوداء، وقد أشرنا أنه كان من أشد الدعاة ضد سيدنا عثمان وولاته. هكذا ذكر الإمام أبو زهرة –رحمه الله.

ولا تعارض بين كون ابن سبأ يمنيًّا في الأصل من أهل صنعاء، وكانت صنعاء عاصمة سبأ –كما هو معلوم– وبين ما ذكره البغدادي وتابعه عليه أبو زهرة من أنه من أهل الحيرة؛ وذلك إذا نظرنا إلى أنه أقام في منطقة الكوفة والمدائن وكوَّن له عيونًا وأعوانًا في جمعيته السرية، فلما أقام فترة طويلة هناك؛ أضافه بعض العلماء إلى أهل الحيرة.

وإذا نظرنا إلى أن قبيلة حمير من القبائل التي سكنت الكوفة، وكان أصلها من القبائل النازحة من الجنوب، وهؤلاء يذكرون أن عاصمتهم كانت ظفار، وأن ابن حزم نسب ابن سبأ إلى حمير، فقال: والقسم الثاني من فرق الغالية يقولون بالإلهية لغير الله ﷻ فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري.

فإذًا هؤلاء لاحظوا أيضًا إلى قبيلة حمير، وأن هذه القبيلة قد ذهب منها قوم وسكنوا في الكوفة كما أن عبد الله بن سبأ قد ذهب إلى الكوفة والمدائن وأقام هناك فترة؛ فنسب إليها، ولكنه في الأصل كان يهوديًّا من أهل صنعاء.

وقد تمكن ابن سبأ أيضًا من تنظيم جناح كوفي فعال في تنظيمه السري من الموتورين الحاقدين الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم.

قال ابن تيمية: وأما أهل الكوفة؛ فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم؛ ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب؛ لا سيما الشيعة؛ فإنهم أكثر الطوائف كذبًا باتفاق أهل العلم.

هذا فضلًا عن إجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليهود فدك وتيماء ووادي القرى إلى الكوفة؛ حيث أقطعهم أرضًا قريبًا من الكوفة؛ تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ في وجعه الذي قُبض فيه: ((لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان)) فهؤلاء اليهود الذين سكنوا الكوفة كانوا أنشط أعوان ابن سبأ في تنفيذ مخططاته.

وابن سبأ هذا الذي أسس مذهب الرافضة كان مجهول النسب؛ كدأب زعماء التنظيمات السرية اليهودية على مر التاريخ؛ كان ابن سبأ مجهول النسب من جهتين: من جهة أبيه، ومن جهة أمه، وحينما سأله عبد الله بن عامر والي البصرة من قبل عثمان >

مستفسرًا عن هويته: ما أنت؟ أجاب بأنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك دون أن يصرح باسمه. وقد نقل وذكر ذلك الإمام الطبري -رحمه الله- في "تاريخه".

أما نسب ابن سبأ لأمه فهو من أم حبشية؛ ولذلك كثيرًا ما أطلقوا عليه ابن السوداء -كما رأينا- ففي (البيان والتبيين) عبارة تفيد ذلك وهي: فلقِيَني ابن السوداء، وفي (الطبري): نزل ابن السوداء على حكيم بن جبلة في البصرة، وفي (تاريخ الإسلام) للحافظ الذهبي -رحمه الله- قال: ولما خرج ابن السوداء إلى مصر. فهؤلاء جميعًا قد نسبوه لأمه وهي -كما ذكرت- كانت من الحبشة.

## فِرَق الشيعة الرافضة وألقابهم

### أ. فرق الشيعة الرافضة:

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم، والملفت للنظر هو كثرة هذه الفرق وتعددها بدرجة كبيرة؛ حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة -أو قل بهذا البلاء- فبعد وفاة كل إمام من الأئمة عند الشيعة تظهر فرق جديدة، وكل طائفة تذهب في تعيين الإمام مذهبًا خاصًّا بها، وتنفرد ببعض العقائد والآراء عن الطوائف الأخرى، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة.

وهذا الاختلاف والتفرق كان محل شكوى وتذمر من الشيعة نفسها، قال أحد الشيعة لإمامه -كما في (رجال الكشف): جعلني الله فداك؛ ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ فقال: وأي الاختلاف؟ فقال: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة؛ فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، فقال أبو عبد الله: أجل هو -كما ذكرت- أن الناس أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث؛ فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله؛ وإنما يطلبون الدنيا، وكلٌّ يحب أن يدعى رأسًا.

هذا النص يدل على أن حب الرياسة وحب متاع الدنيا الزائل كان وراء تشيع الكثيرين، وأن هؤلاء أولعوا بالكذب على آل البيت؛ ولهذا كثر عندهم الخلاف والتفرق.

وحقيقة أذكرها هنا: أن فرق الشيعة واختلافاتهم كثيرة للغاية، وربما هم من أكثر الفرق تفرقًا واختلافًا.

وقد ذكر المسعودي -وهو شيعي: أن فرق الشيعة بلغت ثلاثًا وسبعين فرقة، وكل فرقة تكفر الأخرى؛ ولهذا زعم الرافضي ميرباقر الداماد: أن الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشيعة، وأن الناجية منها هي طائفة الإمامية، وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق؛ فجعلهم من أمة الدعوة، أي: ليسوا من أمة الإجابة؛ فهم -في اعتقاده- لم يدخلوا في الإسلام، وهذه المقالة قد قالها الشيعة من قبل، وأشار إلى ذلك الشهرستاني والرازي -رحمهم الله تبارك وتعالى.

ولا شك أنني لا أناقش هؤلاء اليوم أو الآن في معتقداتهم الباطلة، ولكني فقط أريد أن أذكر كيف أن بعضهم -ومنهم أنفسهم- ذكروا أن فرق الشيعة تستوعب الحديثَ الوارد عن النبي ﷺ في افتراق الأمة. أما عن تكفيرهم لأهل السنة وأنهم لم يدخلوهم -أو لم يدخلهم البعض منهم- في أمة الإجابة؛ فهذا له مواطن أخرى -إن شاء الله تبارك وتعالى.

وقد ورد في (دائرة المعارف) أنه ظهر من فروع فرق الشيعة ما يزيد كثيرًا عن الفرق الاثنين والسبعين فرقة المشهورة؛ بينما يذكر المقريزي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة.

ومرد هذا الاختلاف -في الغالب: هو اختلافهم حول الأئمة من آل البيت؛ فيذهبون مذاهب شتى في أعيان الأئمة وفي عددهم، وفي الوقف على أحدهم وانتظاره، أو المضي إلى آخر والقول بإمامته؛ فضلًا عما تباينوا فيه من التفريع أو تنازعوا فيه من التأويل، ولهذا قال العلامة ابن خلدون بعد ما ساق اختلافهم في تعيين الأئمة: وهذا الاختلاف العظيم يدل على عدم النص، أي: يدل على أنهم ليسوا على شيء فيما ذهبوا إليه من دعوى أن الرسول ﷺ نص على عليٍّ والأئمة الآخرين؛ إذ لو كان من عند الله لما كان هذا الاختلاف والتباين... ولكن لما وجدوا فيه اختلافًا كثيرًا كان من أعظم الأئمة على عدم وجود نص صحيح؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وأمر الإمامة عندهم هو أصل الدين؛ فلا يقبل فيها الخلاف كما يقبل في الفروع، وقد عد شيخ الشيعة الزيدية في زمنه أحمد بن يحيى المرتضى، المتوفى سنة ثمانمائة

وأربعين من الهجرة النبوية؛ عد اختلاف الشيعة عند موت كل إمام في القائم بعده أوضح دليل على إبطال ما يدعون من النص.

وإذا رجعنا إلى كتب الفرق أو غيرها التي ذكرت طوائف الشيعة؛ فإننا نجد بينها اختلافًا في الأصول التي انبثقت منها صنوف الفرق الشيعية الكثيرة والمختلفة؛ فالجاحظ يرى أن الشيعة فرقتان: الزيدية، والرافضة، وفي ذلك يقول: اعلم -رحمك الله- أن الشيعة رجلان زيدي ورافضي، وبقيتهم بدد لا نظام لهم، ويأخذ بهذا التقسيم شيخ الشيعة المفيد ويقول: بأن الشيعة رجلان: إمامي، وزيدي.

أما الإمام الأشعري -رحمه الله- فيجعل أصول فرق الشيعة ثلاث فرق: الغالية، والرافضة، والزيدية، ويبلغ مجموع الفرق الشيعية عنده خمسًا وأربعين فرقة، كلهم يندرجون تحت هذه الثلاث؛ لأنه جعل الغالية خمس عشرة فرقة، والرافضة أربعًا وعشرين فرقة، والزيدية ست فرق، وهو يعتبر الاثنا عشرية من فرق الرافضة الإمامية، ويسميها بالقطعية، ويصفهم بأنهم جمهور الشيعة. وسأبين -إن شاء الله، تبارك وتعالى- هذه الألقاب.

وقد سار على منهج الأشعري في تقسيم فرق الشيعة الرئيسة إلى ثلاث: طائفة من كتاب الفرق وغيرهم، مثل: الرازي؛ حيث سماها زيدية، وإمامية، وكيسانية، ومثل الإسفراييني، وكذلك ابن المرتضى؛ حيث قال: والشيعة ثلاث: زيدية، وإمامية، وباطنية، وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي صنف الشيعة إلى ثلاث درجات، وذكر أن شرها الغالية، وهم الذين يجعلون لعلي شيئًا من الألوهية، أو يصفونه بالنبوة، والدرجة الثانية وهم الرافضة، أما الثالثة المفضلة من الزيدية وغيرهم، وهؤلاء هم الذين يفضلون عليًّا على أبي بكر وعمر؛ ولكن يعتقدون إمامتهما وعدالتهما ويتولونهما.

أما عبد القاهر البغدادي؛ فيُرجع فرق الشيعة إلى أربع فرق: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة، ويلقب الجميع بالرافضة، ويصل عدد فرق الشيعة عندهم باستثناء الفرق الغالية إلى عشرين فرقة، ويعتبر الاثنا عشرية من فرق الإمامية، ويسميهم بالقطعية؛ كما يسميهم بالاثنا عشرية، وإن كان قبل ذلك ذكر القطعية والاثنا عشرية كاسمين لفرقتين مختلفتين من فرق الإمامية لا فرقة واحدة.

أما الشهرستاني فيرى أن الشيعة فرق كثيرة؛ لأنه يقول لهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط؛ ولكنه يرجعهم إلى خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية.

أما صاحب (الحور العين)؛ فيرجع الفرق الشيعية الكثيرة إلى ست فرق، ويصل عدد فرق الشيعة عند ابن قتيبة إلى ثمان، وأبو الحسين الملطي يرى أن الشيعة ثماني عشرة فرقة ويلقبهم جميعًا بالرافضة، ويشايعه في هذا الرأي السكسكي في كتابه (البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان)؛ ولكن الغريب أن الملطي يسمي الاثنا عشرية بالإسماعيلية، وابن الجوزي -رحمه الله- يعتبر الشيعة اثنتي عشرة فرقة ويسميها بالرافضة، ويوافقه على هذا التقسيم الإمام القرطبي.

والذي يلاحَظ على إطلاق اسم الرافضة على كل فرق الشيعة: هو أنه ينبغي استثناء الزيدية، أو بعبارة أدق استثناء الزيدية ما عدا فرقة الجارودية منها؛ لأن الجارودية سلكت مسلك الروافض؛ ولذلك فإن شيخ الشيعة المفيد اعتبر الجارودية هي الشيعة، وما عداها من فرق الزيدية فليسوا بشيعة؛ وذلك لأن طائفة الجارودية هي التي تشاركه في أساس مذهبه في الرفض.

أما كتب الفرق عند الشيعة الاثنا عشرية؛ فإنها تأخذ بمنهج آخر في ذكر الفرق؛ فهي تذكر فرق الشيعة حسب الأئمة؛ حيث تجد أن الشيعة تفترق إلى فرق كثيرة بعد وفاة كل إمام، وقد وصل عدد فرق الشيعة في (المقالات والفرق) للقمي و(فرق الشيعة) للنوبختي إلى ما يربو على ستين فرقة، ويلاحظ أن الاثنا عشرية كانت عند النوبختي والقمي فرقة من أربع عشرة أو خمس عشرة فرقة افترقت إليها الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري.

أما كتب الرواية عندهم؛ فإن الكليني في (الكافي) يذكر رواية تجعل فرق الشيعة ثلاث عشرة فرقة كلها في النار إلا واحدة.

وأنا أردت بذكر أقوال الشيعة وأقوال أهل السنة في تعدد فرق الشيعة أن أبين أن هؤلاء هم أهل الخلاف والشقاق والنزاع، وأن تفرقهم واختلافهم كان بسبب الباطل الذي هم عليه فهم ليسو على الحق أو مع الحق في شيء.

### ب. ألقاب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية:

من الألقاب التي يطلقها بعض كتاب الفرق والمقالات وغيرهم على الاثنا عشرية ما يلي:

### اللقب الأول: الشيعة:

وهو يطلق -كما ذكرت-على فرق الشيعة كلها؛ ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أُطلق في نظر جمع من الشيعة وغيرهم لا ينصرف إلا إلى طائفة الاثنا عشرية، وممن قال بهذا الرأي شطرتمان، والطبرسي، وأمير علي، وكاشف الغطا، ومحمد حسين العامري، وغيرهم.

### اللقب الثاني: الإمامية:

وهذا اللقب عند كثير من أصحاب الفرق والمقالات يطلق على مجموعة من الفرق الشيعية، ولكن تخصص فيما بعد عند جمع من المؤلفين وغيرهم بالاثنا عشرية، ولعل من أول من ذهب إلى ذلك: شيخ الاثنا عشرية في زمنه المفيد في كتابه: (أوائل المقالات)، وأشار السمعاني إلى أن ذلك هو المعروف في عصره فقال: وعلى هذه الطائفة يشير إلى الاثنا عشرية التي يطلق الآن عليها الإمامية.

وقال ابن خلدون: وأما الاثنا عشرية؛ فربما خصوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم، وأشار صاحب (مختصر التحفة الاثنا عشرية) إلى أن الاثنا عشرية هي المتبادرة عند إطلاق لفظ الإمامية، ويقول الشيخ زاهد الكوثري أيضًا: والمعروف أن الإمامية هم الاثنا عشرية.

ويلاحظ أن كاشف الغطا من شيوخ الشيعة المعاصرين يستعمل لقب الإمامية بإطلاق على الاثنا عشرية، ومن شيوخ الشيعة الآخرين من يرى أن الإمامية فرق منهم الاثنا عشرية والكيسانية والزيدية والإسماعيلية.

وبعد ما عرفنا أن الإمامية صار لقبًا من ألقاب الاثنا عشرية نعرِّج على ما قيل في تعريف الإمامية.

### تعريف أحد مشايخ الشيعة في زمنه -وهو المفيد:

عرف الإمامية بقوله: الإمامية هم القائلون بوجوب الإمامة والعصمة وجوب النص؛ وإنما حصل لهم هذا الاسم في الأصل لجمعها في المقالة هذه الأصول؛ فكل من جمعها فهو إمامي وإن ضم إليها حقًّا في المذهب كان أم باطلًا، ثم إن من شمله هذا الاسم واستحقه لمعناه قد افترقت كلمتهم في أعيان الأئمة وفي فروع ترجع إلى هذه الأصول وغير ذلك؛ فأول من شذ من فرق الإمامية الكيسانية.

### اللقب الثالث: الاثنا عشرية:

هذا المصطلح لا نجده في كتب الفرق والمقالات المتقدمة؛ فلم يذكره القمي المتوفى سنة مائتان وتسعة وتسعون وقيل: ثلاثمائة وواحد في (المقالات والفرق) ولا النوبختي وهو متوفى في عام ثلاثمائة وعشرة، ولا الأشعري -رحمه الله- في (مقالات الإسلاميين).

ولعل من أول من ذكره المسعودي وهو متوفى سنة ثلاثمائة وتسعة وأربعين، وهو من الشيعة، أما من غير الشيعة؛ فلعل عبد القاهر البغدادي -رحمه الله- هو من أوائل من ذكر أنهم سموا بالاثنا عشرية؛ وسموا بذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر ويتصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

### بعض أقوال الرافضة الذين أطلقوا على الرافضة وعلى الشيعة لقب الاثنا عشرية:

قال الرافضي المعاصر محمد جواد: الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إمامًا تعينهم بأسمائهم، وظهور هذا الاسم كان -بلا شك- بعد ميلاد فكرة الأئمة الاثنا عشر والتي حدثت بعد وفاة الحسن العسكري، وقد توفي في عام مائتين وستين من الهجرة النبوية؛ حيث إنه قبل وفاة الحسن لم يكن أحد يقول بإمامة المنتظر إمامهم الثاني عشر، ولا عرف من زمن علي ودولة بني أمية أحد ادعى إمامة الإثنا عشر.

ولكن يرى صاحب (مختصر التحفة الاثنا عشرية) أن زمن ظهور الإمامية الاثنا عشرية سنة مائتين وخمس وخمسين، ويبدو أنه عين هذا التاريخ بالذات؛ لأن تلك السنة هي

التي زعمت الاثنا عشرية أنه ولد فيها إمامهم الثاني عشر، والذين يزعمون حياتـــه إلى اليوم وينتظرون خروجه؛ فإذا كان الأمر كذلك؛ فينبغي أن يحدد التاريخ بسنة ســـتين ومائتين؛ لأن دعوى الإمام الثاني عشر المنتظر إنما ظهرت بعد وفاة الحسن العســـكري، والذي توفي سنة ستين ومائتين.

أما الاثنا عشر الذي تقول الجعفرية بأنهم أئمتها؛ فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب > والحسن والحسين وذرية الحسين، وفيما يلي بيان بأسمائهم وألقابهم وكنية كل واحـــد منهم... أذكرهم هنا ليعرف عموم المسلمين ما ذهب إليه هؤلاء الناس، ولماذا أطلـــق عليهم لقب الاثنا عشرية لقولهم باثني عشر إمامًا:

**الأئمة الذين حصرت الشيعة الإمامة فيهم:**

**الإمام الأول:** علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكنيته أبو الحسن، أمـــا لقبـــه فهـــو المرتضى.

**الإمام الثاني:** الحسن بن علي وكنيته أبو محمد؛ أما لقبه فهو الزكي.

**الإمام الثالث:** الحسين بن علي وكنيته أبو عبد الله، ولقبه الشهيد.

**الإمام الرابع:** علي بن الحسين وكنيته أبو محمد، ولقبه زين العابدين.

**الإمام الخامس:** محمد بن علي كنيته أبو جعفر، ولقبه الباقر.

**الإمام السادس:** جعفر بن محمد، وكنيته أبو عبد الله، ولقبه الصادق.

**الإمام السابع:** موسى بن جعفر، كنيته أبو إبراهيم، ولقبه الكاظم.

**الإمام الثامن:** علي بن موسى، كنيته أبو الحسن، وأما لقبه فهو الرضا.

**الإمام التاسع:** محمد بن علي، وكنيته أبو جعفر، ولقبه الجواد.

**الإمام العاشر:** علي بن محمد، كنيته أبو الحسن، ولقبه الهادي.

**الإمام الحادي عشر:** الحسن بن علي، كنيته أبو محمد، ولقبه العسكري.

**الإمام الثاني عشر:** محمد بن الحسن، كنيته أبو القاسم، ولقبه المهدي... وهو إمام مزعوم ليس له في الحقيقة وجود -كما ذهبوا وزعموا- والأنكى من كل ذلك أنهم يقولون بحياته إلى اليوم.

## اللقب الرابع: القطعية:

وهو من ألقاب الاثنا عشرية عند طائفة من أصحاب الفرق كالأشعري والشهرستاني والإسفراييني وغيرهم، وهم يسمون بالقطعية؛ لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق، وهذا هو ما تذهب إليه الاثنا عشرية.

يقول المسعودي: وفي سنة ستين ومائتين قُبض أبو محمد الحسن بن علي، وهو أبو المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر عند القطعية من الإمامية، ومنهم من يعتبر القطعية فرقة من فرق الإمامية وليس من ألقاب الاثنا عشرية.

## اللقب الخامس: أصحاب الانتظار:

وقد لقبهم الرازي بذلك، وقال: أن هؤلاء يلقبون بأصحاب الانتظار؛ لأنهم يقولون بأن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري وهو غائب وسيحضر، ويقول: وهذا المذهب هو الذي عليه إمامية زماننا، والانتظار للإمام مما يشترك في القول به جمع من فرق الشيعة؛ على اختلاف بينهم في تعيينه، ولا يختص به طائفة الاثنا عشرية.

## اللقب السادس: الرافضة:

وهذا اللقب في الحقيقة من أشهر الألقاب التي تطلق عليه، وقد ذهب جمع من العلماء إلى إطلاق اسم الرافضة على الاثنا عشرية؛ كالأشعري في (المقالات) وابن حزم في (الفصل)، وقد ذكرت أن الإمام الأشعري ذكر أن الرافضة سُموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يلاحظ أن كتب الاثنا عشرية تنص على أن هذا اللقب من ألقابها.

وقد أورد شيخهم المجلسي في كتابه (البحار) -وهو أحد مراجعهم في الحديث- أربعةَ أحاديث من أحاديثهم في مدح التسمية بالرافضة؛ وكأنهم أرادوا تطييب نفوس أتباعهم

بتحسين هذا الاسم لهم؛ ولكن في هذه الأحاديث ما يفيد أن الناس بدءوا يسموهم بالرافضة من باب الذم لا المدح، وهذا هو الصحيح؛ فهذا اللقب فيه ذم لهم؛ لأنهم رفضوا إمامة أفضل رجلين بعد النبي ﷺ.

ولا تجيب هذه المصادر الشيعية عن سبب تسمية الناس لهم بهذا الاسم على سبيل الذم والسبِّ لهم؛ ولكن المصادر الأخرى تذكر أن ذلك لأسباب تتعلق بموقفهم من خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

## اللقب السابع: الجعفرية:

وتسمى الاثنا عشرية بالجعفرية، نسبة إلى جعفر الصادق، إمامهم السادس -كما يزعمون- وهو من باب التسمية للعام باسم الخاص.

روى الكشفي: أن شيعة جعفر في الكوفة أو من يدعون التشيع لجعفر سموا بالجعفرية، وأن هذه التسمية نقلت إلى جعفر؛ فغضب ثم قال: إن أصحاب جعفر منكم لقليل؛ إنما أصحاب جعفرٍ من اشتد ورعه وعمل لخالقه.

ويهمني هنا فعلًا أن أذكر وأؤكد وأقول: بأن الإمام جعفر الصادق -رحمه الله- كان إمام هدى، ولم يكن على منهج هؤلاء الروافض الذين انتسبوا إليه وقالوا بأنهم جعفرية؛ لأنهم سموا بذلك -كما قلت- نسبة إلى جعفر الصادق > وجعفر > بريء من أقوال هؤلاء الناس، بريء منهم غاية البراءة، ولعل النص الذي ذكرته قبل قليل وهو قوله: بأن أصحاب جعفر منكم لقليل، يؤيد ويؤكد أن جعفر > كان لا يرضى عن هؤلاء الرافضة ولا الإمامية ولا الاثنا عشرية، ولا يمكن لعاقل أبدًا صادق في إيمانه ودينه أن يرضى بذلك.

وقد جاء في (الكافي) ما يدل أيضًا على أن الناس كانوا يطلقون على من يدعي التشيع لجعفر الصادق: جعفري خبيث، وأن بعض الشيعة اشتكى من ذلك لجعفر؛ فأجابه جعفر: ما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم، يقول هذا للإمامية الرافضة الاثنا عشرية؛ فهو بهذا يتبرأ منهم، ثم يقول -رحمه الله: إنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه؛ فهؤلاء أصحابي.

وهذه الرواية في الحقيقة في (أصول الكافي) وهو من كتب الشيعة الرافضة، وهو يدل -إن صحت الرواية- على أن اسم الجعفرية كان شائعًا في زمن جعفر، وأن جعفرًا لا

يرضى عن الكثيرين منهم، كما يدل على أن لقب الجعفري كان يطلق على الإسماعيلية والاثنا عشرية؛ لأن الافتراق بين الطائفتين تم بعد وفاة جعفر.

وقد أُطلق اسم الجعفرية على طائفة من الشيعة انقرضت كانت تقول بأن الإمام بعد الحسن العسكري أخوه جعفر.

وهناك ألقاب أخرى للإثنى عشرية تطلق عليهم في بعض البلدان، والسبب في ذكر هذه الألقاب: أن طالب العلم عندما يسمع كلمة الشيعة أو الإمامية أو القطعية أو الرافضة أو الجعفرية إذا سمع شيئًا من هذه الألقاب؛ عليه أن يعرف أن هؤلاء جميعًا يشتركون في معتقدات واحدة باطلة فاسدة، وهم وإن كانوا يتفاوتون أحيانًا في بعض المعتقدات؛ إلا أن الأمور التي ذكرتها سابقًا وأجمعوا عليها، وقد ذكرها الإمام الأشعري -رحمه الله- تجمع هؤلاء جميعًا.

الرافضة يطلقون على أنفسهم لقب: الخاصة، وهذا اللقب أطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم، ويلقبون أهل السنة والجماعة بالعامة، وهم أرادوا من وراء ذلك أن يخصوا أنفسهم بلقب يتميزون به عن غيرهم من جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة؛ وكأني بهذا اللقب أرى بأنهم أرادوا من ورائه أنهم اختصوا بعلوم ما جاء من عند رب العالمين ﷻ؛ لأن لقب العامة فيه غمز ولمز لمن لقبوهم به، ولكن شيوخ الشيعة آثروا أن يكون لهم هذا اللقب: ألا وهو الخاصة؛ لكي يتميزوا به عن غيرهم، وهو لقب اتخذوه لأنفسهم، وهو مذكور في بعض كتبهم؛ بل جاء في (دائرة المعارف الشيعية) ما نصه: الخاصة -في اصطلاح بعض أهل الدراية: الإمامية الاثنا عشرية، والعامة: أهل السنة والجماعة، ويجري كثيرًا استعمال هذا اللقب في رواياتهم للأحاديث؛ فيقولون: هذا من طريق العامة، وهذا من طريق الخاصة، وهم أرادوا بذلك أن ينبذوا أهل السنة بلقب العامة وكأنهم لا يعرفون شيئًا؛ لأن العامة كلمة تقال على عامة الناس الذين ليس عندهم دراية، وليس عندهم علم، وليس عندهم فقه.

ولا شك أن أهل السنة والجماعة هم -والله- أئمة الدنيا؛ أما هؤلاء الرافضة؛ فقد أدخلوا في دين الله ﷻ ما ليس منه، ولا شك أنني لا أدعي عليهم ذلك؛ وسأبين أنهم بما لديهم من معتقدات فاسدة خالفوا منهج المسلمين بصورة عامة، وهم في الحقيقة يزعمون أنهم يوالون آل بيت النبي ﷺ ولكن آل البيت يتبرءون منهم؛ لأن هذه

المعتقدات لا يقول بها أحد من آل البيت؛ بل آل البيت هم من أئمـــة أهـــل الســـنة والجماعة؛ أما ضلال الشيعة الرافضة الإمامية الاثنا عشرية في هذا الباب فواضح وبين.

## (قول الرافضة في الإمامة)

### عناصر الدرس

العنصر الأول : مفهوم الإمامة ومنزلتها عند الرافضة

العنصر الثاني : موقف الرافضة من خلفاء المسلمين

## أ. مفهوم الإمامة عند الرافضة:

إن أول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ﷺ ومحصورة بالوصـي، وإذا تولَّاهـا سواه يجب البراءة منه وتكفيره، وقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول مـن أشهر القول بفرض إمامة عليّ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفَّـرهم؛ وذلك لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى، فلما أسـلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا ما تواضع عليه شيوخ الشيعة واعترفوا به، وذكروه؛ فهذا ابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع فيقول: بأنهم يعتقدون بأن لكل نبيٍّ وصيًّا أوصى إليه بأمر الله تعالى، ويذكر أن عدد الأوصياء مائة ألف وصي، وأربعة وعشرون ألف وصي، كما يذكر المجلسي في أخباره أن عليًّا > هو آخر الأوصياء، وجاء في بعض عناوين الأبواب في (الكافي) باب أن الإمام عهد من الله ﷻ معهود من واحد إلى واحد، وجاء أيضًا في (الكافي) باب آخر بعنوان باب: ما نص الله ﷻ ورسوله ﷺ على الأئمة واحدًا فواحدًا.

وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدُّونها من الأدلة التي لا يرقى إليها الشك، ولهذا قال شيخهم مقداد الحلي –وقد توفي عام ثمانية وواحد وعشرين: "بأن مستحق الإمامة عندهم لا بدَّ أن يكون شخصًا معهودًا من الله تعـالى ورسـوله ﷺ، ولا تكـون لأي شخص هكذا".

ويقرِّر محمد حسين الكاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة في هذا العصـر يقـول: "إن الإمامة منصب إلهيّ كالنبوة، فكما أن الله –سبحانه– يختار من يشاء من عباده للنبـوة والرسالة، ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه ﷺ بالنص عليه، وأن ينصِّبه إمامًا للناس من بعده".

وهكذا نرى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله ﷻ من خلقه أنبياء، كذلك يختار سبحانه أئمة وينص عليهم، ويُعلم الخلق بهم، ويُقيم بهـم الحجـة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحي إليهم، وهكذا يستمرون في كـلام كثير بعيد عن الحقيقة في معنى أو في مفهوم الإمامة.

### ب. منزلة الإمامة عند الروافض:

الإمامة لها منزلة عظيمة عند الروافض، وذلك للأمور التالية:

**الأمر الأول:** الإمامة عندهم كالنبوة يقول محمد المظفر: "نعتقد أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ أو على لسان الإمام المنصوب بالنص" هكذا يقولون، إذا أراد أن ينص على الإمام -يعني: إذا أراد أن ينص الإمام السابق على الإمام- الذي يليه، وحكم الإمامة في ذلك عندهم -كما يذكر محمد المظفر- كحكم النبوة بلا فرق.

وقد ذكر أيضًا ذلك محمد حسين الكاشف الغطاء -وهو أحد مراجع الشيعة- أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، وذكر أن الله -تبارك وتعالى- كما أنه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيد بالمعجزة، كذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه ﷺ بالنص عليه.

ولذلك افترى المجلسي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: من لم يُقر بولايتي لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد ﷺ! ولذلك لعلَّ الناظر في هذا يرى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، وأنه كما يصطفي رب العباد من خلقه أنبياء يختار أيضًا أئمة وينص عليهم، ويذكر المجلسي أيضًا كلامًا يؤكّد ما أشرت إليه يقول فيه: "إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال"، ثم يقول: "ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الأنبياء، ولا يصل إلى عقولنا فرق بين النبوة والرسالة". يعني: بعد ما يتشكك شيئًا أو يتحير فيما ذهبوا إليه، يرجع بعد ذلك فيذكر، وينص على أن عقولهم لا ترى فرقًا بين النبوة وبين الإمامة.

**الأمر الثاني:** هي أن الإمامة عندهم أعظم وأجلُّ من النبوة، يقول في ذلك إمامهم زين الدين البياضي: وأكثر شيوخنا يفضلونه أي: علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أولي العزم لعموم رئاسته، وانتفاع جميع أهل الدنيا بخلافته، ويقول هادي الطهراني: الإمامة أجلُّ من النبوة فإنها مرتبة ثالثة شرَّف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلَّة، ويقول: نعمة الله الجزائري: "الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة"، كما عقد المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) بابًا عنون له بقوله: باب تفضيلهم -عليهم السلام- على الأنبياء، وعلى جميع الخلق، وأخذ ميثاقهم عنه، وعن الملائكة، وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم -صلوات الله عليهم.

وقد ذكر ثمانية وثمانين حديثًا يؤكد ما ذكره تحت هذا الباب ثم قال: "والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى، وإنما أوردنا في هذا الباب قليلًا منها"، كما بوب أيضًا محمد الشهري في كتابه (ميزان الحكمة) بابًا سماه "تقدم الإمامة على النبوة"، ثم أورد الآية الكريمة وهي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124] ثم نقل عن الكافي قوله: "إن الله -تبارك وتعالى- اتخذ إبراهيم عبدًا قبل أن يتخذه نبيًّا، وإن الله تعالى اتخذه نبيًّا قبل أن يتخذه رسولًا، وإن الله اتخذه رسولًا قبل أن يتخذه خليلًا، وإن الله اتخذه خليلًا قبل أن يجعله إمامًا، فلما جمع له الأشياء قال: إني جاعلك للناس إمامًا"، وهكذا استنبط هذا العبقري الفذّ من الآية، وبهذا التسلسل العجيب الذي يُضحك العقلاء أن الإمامة فوق النبوة، وأن تعيُّن الإمام أمر يفوق الرسالة، ويتعدى إرسال الرسل بمراحل، ولا عجب في ذلك؛ فهذا الاستنباط على بطلانه أهون من تحريف آيات الله -تبارك وتعالى- وتأويلها على غير وجهها الصحيح، وأقل بكثير من الكذب على النبي ﷺ، وهل بعد هذا يحتاج ذو بصيرة في دينه إلى أن أسوق له أدلَّة لأُبين له فساد هذا المعتقد.

**الأمر الثالث:** أن الإمامة عندهم أعظم ما بعث الله به نبيه ﷺ وفي ذلك يقول شيخهم هادي الطهراني: "إن أعظم ما بعث الله تعالى نبيه ﷺ من الدين إنما هو أمر الإمامة".

**الأمر الرابع:** كون الإمامة عندهم ركنًا من أركان الإسلام، بل أعظم أركان الإسلام؛ جعلهم بذلك يفضلون الإمامة على غيرها، وفي ذلك يروي الكليني عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمس على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم ينادِ بشيء كما نودي بالولاية؛ فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه" يعني: الولاية.

وعن زرارة عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زرارة: قلت: وأيُّ شيء من ذلك أفضل فقال: الولاية لأنها مفتاحهنَّ"، وعن جعفر الصادق أنه قال: "أثافي الإسلام ثلاث -والأثافي جمع الأثفية بالضم أو بالكسر، وهي الأحجار التي تُوضع عليها القدر وأقلها ثلاثة، وهذه الثلاثة عنده- هي الصلاة، والزكاة، والولاية"، ثم قال: "لا تصح واحدة منهنّ إلا بصاحبتها"؛ فالولاية تأتي عندهم في الركن الخامس، وأحيانًا تأتي في الركن الثالث، وهم قد كذبوا على هؤلاء الأئمة الذين ذكروا أقوالًا ونسبوها إليهم.

كما أن الولاية عندهم لا رُخصة فيها، فعن أبي عبد الله قال: "إن الله افترض على أمة محمد ﷺ خمس فرائض: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وولايتنا؛ فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة".

وفي رواية: "بني الإسلام على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج إلى البيت، والجهاد، وولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ".

ومن خلال كتبهم أذكر أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ليس لها من الأهمية شيء عندهم إلى جانب الولاية، وقد رَوَوا عن الصادق في ذلك أنه قال: "عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله ﷻ فيها النبي ﷺ بالولاية لعلي والأئمة –عليهم السلام– أكثر مما أوصاه بالفرائض". وقد ذُكر هذا في كتاب (بصائر الدرجات) و(بحار الأنوار) وغير ذلك من كتبهم، وقد فضحهم الكاشف الغطاء فقال: "ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركنًا خامسًا، وهو: الاعتقاد بالإمام".

قلت: كلمة التوحيد التي أهملوها وخالفوها، ووقعوا في الشرك عندما لم يلتزموا بها، هذه الكلمة لا يصح بدونها صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حج، ولا جهاد، ولا رجاء، ولا خوف، ولا توكل، ولا إنابة، ولا استعانة، ولا استغاثة، ولا نذر، ولا ذبح، ولا يدخل الإنسان الإسلام أصلًا إلا بها، هذه الكلمة العظيمة ليس لها من الأهمية شيء عند هؤلاء، ولذلك يعجب الإنسان من ذلك.

ثم إن جعل الرافضة الإمامة ركنًا من أركان الإسلام مخالفٌ لقول علي بن أبي طالب >، وقد جاء في (نهج البلاغة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها"، وجاء أيضًا قوله: "دعوني والتمسوا غيري، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا"، وجاء في تفسير فرات قال علي بن أبي طالب >: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لما نزلت الآية: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى: 23] قال جبرائيل عليه السلام: يا محمد إن لكل دين أصلًا ودعامة، وفرعًا وبنيانًا، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت، وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه)). هكذا

يذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذه النصوص عنه تبين مدى مخالفة هؤلاء الناس لإمامهم الذي ينتسبون إليه.

## حكم من أنكر أحدًا من أئمة الرافضة:

الإمامة صنو النبوة أو أعظم عند الرافضة، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، ولهذا جاء حكم الشيعة الرافضة الاثنا عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثنا عشر مكملًا لهذا الغلو؛ حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار.

قال ابن بابويه: "واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقرَّ بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء، ثم أنكر نبوة محمد ﷺ".

وهذا النص يقتضي أن الاثنا عشرية إذًا تُكفّر كل فرق المسلمين، حتى فرق الشيعة التي وجدت على مدار التاريخ، مع أنها تتلقى عنهم دينها؛ لأن رواتهم من رجالها، وهم – أعني: وربما البعض منهم– لا يقولون بتكفير من لم يؤمن بإمامة أحد من الأئمة الذين اتخذهم الشيعة.

وقال شيخهم الطوسي: "ودفع الإمامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر؛ لأن الجهل بهما على حدٍّ واحد، وهذا –فيما يبدو– لم يُقنع ابن المطهر الحلّي؛ فرأى أن إنكار إمامة الاثنا عشر أعظم من إنكار النبوة، وهذا من الغلوّ بمكان، يعني: عندما يأتي إنسان ليقرّ، وليذكر بأن إنكار إمام واحد من أئمة الرافضة يكون أعظم من إنكار النبوة، هذا غلوٌّ زائدٌ كما هو واضح، ويقول ابن المطهر في هذا المعتقد الذي يعتقده هو، وهو فاسد يقول: "الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص؛ لإمكان خلو الزمان من نبي حيّ بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شرٌّ من إنكار اللطف الخاص".

فهو إذًا يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشدُّ كفرًا من اليهود والنصارى، وقد بنى ذلك على أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره بعض طوائف من الشيعة، وقرَّر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يُولد أصلًا، ولكن شيخ الشيعة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر.

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: "اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة؛ فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار"، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يُعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: "لم نجتمع معهم على إله، ولا نبي، ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيِّه أبو بكر ليس هو ربنا، ولا ذلك النبي نبينا".

وبعد هذا التكفير العام خصَّصوا باللعن والحكم بالرّدّة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنا عشرية، فتناول تكفيرهم على هذا الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم خير هذه الأمة بعد خاتم الأنبياء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، كما كفروا أيضًا سائر أهل البيت الذين لا يقولون بقولهم، كما كفروا خلفاء المسلمين وحكوماتهم، وسائر الأمصار الإسلامية، وأئمة المسلمين وعامتهم.

## موقف الرافضة من خلفاء

### أ. تكفيرهم للصحابة:

لأن خلفاء المسلمين الأُول كانوا من صحابة النبي ﷺ وقد كفَّرهم الشيعة؛ فقد ذُكر في كتب الشيعة أن اللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة رضي الله عنهم ولم تستثنِ كتبهم من هذا اللعن والتكفير إلا النَّزْرَ اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، ولا شك أن أبا بكر وعمر وعثمان يدخلون في هذا التكفير عندهم دخولًا أوليًّا.

ولا شك أن بعض أهل العلم اطَّلع على هذا الأمر عند الإمامية -أعني: تكفيرهم ولعنهم لصحابة النبي ﷺ ولعنهم أيضًا لأبي بكر، وغيره من الخلفاء، والأئمة الراشدين عدا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقف على ذلك مثلًا القاضي عبد الجبار فقال: "وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثنا عشر النص الجلي، الذي يكفر من أنكره، ويجب تكفيره؛ فكفروا لذلك

صحابة النبي صلى الله عليه وسلم"، وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق)، وابن تيمية –رحمه الله– في كتابه (منهاج السنة النبوية).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: "إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلًا" هكذا يقول: "كفروا إلا نفرًا قليلًا" إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: "إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين"، وقد يقولون: "بل آمنوا ثم كفروا". وستجد أن العدد الذي تستثنيه الاثنا عشرية أقل مما يذكرون؛ لأني ذكرت ما جاء في كتب أهل السنة وغيرهم حول مذهب الشيعة في الصحابة، وفي الخلفاء الراشدين.

أما كتب الاثنا عشرية فقد جاء فيها بأن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر > قد ارتدُّوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة، أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي؛ ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون على ذلك.

ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه الأسطورة في المعتمد من كتبها، فسجَّلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم، وهو كتاب سليم بن قيس، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته، وعلى رأسها (الكافي) أوثق كتبهم الأربعة، وكذلك في كتاب (رجال الكشف)، وهو عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم كـ(تفسير العياشي) و(البرهان) و(الصافي) و(نور الثقلين) و(الاختصاص) وغير ذلك.

وليست هذه مجرد آراء لبعض شيوخهم، ولكنها روايات عن معصوميهم تحمل صفة العصمة والقدسية عندهم، أما السبب لذلك أن هذا الجيل القرآني الفريد قد نال حقدًا كبيرًا عند هؤلاء الناس، ولو ذهبت أسرد للقارئ ما قد وقف عليه العلماء، وما رأيته من كلامهم عن صحابة النبي ﷺ، وعن أبي بكر وعمر؛ لطال بي المقام.

لكن لا بد من أن أوقف طالب العلم على بعض أقوالهم في تكفير صحابة النبي ﷺ:

فقد روى الكليني في (الكافي) في كتاب الإيمان والكفر تحت باب قلة عدد المؤمنين، كما روى ذلك غيره ماذا قال؟ قال: "عن الحمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر: جعلت فداك ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك. المهاجرون والأنصار ذهبوا وأشار بيده إلا ثلاثة"، فالتكفير كما ترى يتناول أفضل صحابة الرسول ﷺ وهم المهاجرون والأنصار، ويبيّن أن الشيعة في عصر أبي جعفر لا

يرون أحدًا من المسلمين على الإسلام إلا قلة شاذَّة تقول برأيهم، ولا شك أنهم كانوا في ذلك يفترون على هؤلاء الأئمة الكذبَ، والنصُّ إليه يبين أن الرافضة أيضًا إلى عهد أبي جعفر وهو محمد الباقر كانوا قلة شاذة بالنسبة للمسلمين، وأن دعوتهم لم تجد القبول ولم تحظَ بالانتشار، وكانت تعيش في سراديب التقية والكتمان، وكان رؤساؤهم يعزُّون أتباعهم بما يفترونه على أهل البيت من أمثال هذه المفتريات.

ولم تكشف رواية (الكافي) أسماء الثلاثة الذين سلموا من الرّدّة؛ حيث قالوا بمذهب الرافضة، لكن مذهب الرفض لم يذهب أصله إلا بعد مقتل عثمان، فهؤلاء إذًا ليسوا بصحابة، ولا يبعد أن يكون هؤلاء من السبئيين الذين بدأ النشاط الرافضي على أكتافهم، ولا يستبعد أن هؤلاء السبئيين يتخذون أسماء مستعارة، وقد تكون أسماء صحابة لها مكانتها؛ لأنهم كانوا يفترون على الله الكذب، فهل نستبعد أن يفتروا على الأئمة الكذب.

وقد جاء في رجال (الكشف) عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر أنه قال: "كان الناس أهل الردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرَّحى وأَبَوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايعوا" فهذا النص بالإضافة إلى تكفيره لصحابة رسول الله ﷺ، وطعنه الصريح على أبي بكر الصديق > قد يُشير إلى الخلية الأولى لمذهب الرفض، وأنها تتقنَّع بهذه الأسماء المستعارة، وحتى هؤلاء الثلاثة الذين تستثنيهم أخبار الشيعة؛ لم يسلموا من شكٍّ في معرفة الإمام التي هي أصل الإيمان باستثناء واحد منهم؛ ولذلك حينما قال أبو جعفر: "ارتدَّ الناس إلا ثلاثة –أردف قائلًا– إن أردت الذي لم يشكّ ولم يدخله شيء؛ فالمقداد، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين رضي الله عنه اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض، وأما أبو ذرّ فأمره أمير المؤمنين رضي الله عنه بالسكوت ولم يأخذه في الله لومة لائم".

وهؤلاء الثلاثة الذين نجوا من الردة لم يسلموا أيضًا من قدح الشيعة وعيبهم، فتذكر أخبارهم بأن العلاقة بين هؤلاء الثلاثة طيبة في الظاهر، ولكن لو علم كل واحد منهم بما في قلب الآخر؛ لقتله أو ترحَّم على قاتله.

إنها نصوص من كتب هؤلاء القوم؛ لأبين فساد معتقدهم في الإمامة، وفساد موقفهم من خلفاء المسلمين الذين وُجدوا وكانوا، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، والثلاثة الأول منهم ليسو من آل بيت النبي ﷺ.

## ب. تكفيرهم لخلفاء المسلمين ولحكوماتهم:

في دين الاثنا عشرية أن كل حكومة غير حكومة الاثنا عشر باطلة، وصاحبها ظالم، وطاغوت يُعبد من دون الله تبارك وتعالى، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وهذا ليس افتراء من أحد عليهم، وإنما هذا الكلام الذي أذكره الآن مثبت في كتبهم، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدَّة أبواب مثل: باب من ادَّعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثني عشر حديثًا عن أئمتهم، وباب فيمن دان الله ﷻ بغير إمام من الله -جل جلاله- وفيه خمسة أحاديث.

وفي كتاب (بحار الأنوار) عقد صاحبه بابًا قال فيه: باب عقاب من ادَّعى الإمامة بغير حق، أو رفع راية جَوْر، أو أطاع إمامًا جائرًا، وكل خلفاء المسلمين، ما عدا عليًّا والحسن طواغيت حسب اعتقادهم، وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويُحسنون لأهل البيت، ويُقيمون دين الله؛ ذلك أنهم يقولون: "كل راية تُرفع قبل راية القائم > صاحبها طاغوت" قال شارح الكافي: "وإن كان رافعها يدعو إلى الحق". وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة حسب مقاييسهم الباطلة.

أما شيخهم المجلسي فيذكر عن الخلفاء الراشدين، وعن حكومتهم هذا القول يقول: "إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين، مرتدِّين عن الدين -لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم- في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين"، وهذا الكلام ذكره المجلسي في (بحار الأنوار).

## جـ. الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

بعد أن بيَّنت أن هؤلاء يُكفِّرون الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان، كما أنهم يُكفِّرون جميع خلفاء المسلمين وحكوماتهم، ولا يعترفون بها؛ لأنها حكومات لم تَقُم على أساس، أو لم يكن القائم فيها هو الإمام المنصوص عليه عندهم من

الأئمة الاثنا عشر، الذين يبدءون بعلي بن أبي طالب > وينتهون بإمامهم الغائب المزعوم محمد بن الحسن العسكري.

فإذا كان هؤلاء يكفِّرون الصحابة رضي الله عنهم وأبا بكر وعمر وعثمان، ويكفرون خلفاءَ المسلمين السابقين الناصحين بعد هؤلاء، ويكفرون حكوماتهم؛ فلا شك أن تكفيرهم لسائر الأمصار الإسلامية، وحكمهم عليها بالكفر، وبأن ديارهم ديار كفر؛ أمرٌ لا شك سهل ميسور عند هؤلاء، وقد جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسبِّ وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصُّون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنة؛ فقد صرَّحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شرٌّ من أهل الروم -يعني: شرٌّ من النصارى- وأهل المدينة شرٌّ من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة".

وعن أبي بصير عن أحدهما -عليهما السلام- قال: "إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفًا، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا ولا سيما في القرون المفضلة يتأسَّون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة، وهذا يُبيِّن صلاح أهل المدينة.

وقد اشتهر عن الإمام مالك -رحمه الله تعالى- وعن أصحابه أن إجماع أهل المدينة حجة، وإن كان بقية الأئمة يُنازعونهم في ذلك، ولكني أذكر عن هذا الإمام هذا لأُبين أن أهل القرون الفاضلة الذين وجدوا في أفضل البقاع وأحبها إلى الله، في مكة والمدينة كانوا خيار الناس يومئذ، ومع ذلك فالرافضة يحكمون على ديارهم بالكفر ويلعنونهم.

وقد ظل أهل المدينة متمسّكين بمذهبهم القديم، منتسبين إلى مذهب الإمام مالك، إلى أوائل المائة السادسة، أو قبل ذلك، أو بعد ذلك، وهذا يدل على صلاح حالهم، وأنهم ليس كما ذهب إليه الرافضة، ولكن الإسلام الذي التزم به أهل السنة والجماعة في ديار المسلمين، وسائر الأمصار الذين قاموا بالحق؛ هذا الالتزام بالإسلام والسنة قد أغاظ هؤلاء الزنادقة، فعبَّروا عن حقدهم بهذه الكلمات، ولا شكَّ أن التاريخ يُعيد نفسه؛ ففي هذا العصر خطب خطيبهم وقال: "بأن مكة يحكمها شرذمة من اليهود"، وقد جاء هذا الكلام بنصه في فصل من كتاب (دولة الآيات).

وقد كشف شيخهم المعاصر، والذي علق على نصوص (الكافي) عن وجه هذه الكلمات، وأبان عن فحوى هذه النصوص، وهو علي أكبر الغفاري يقول: "لعل هذا الكلام في زمن بني أمية وأتباعهم كانوا منافقين يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، والمنافقون شرٌّ من الكفار، وهم في الدرك الأسفل من النار، -ثم ذكر قوله فقال- ويحتمل أن يكون هذا مبنيًّا على أن المخالفين غير المستضعفين مطلقًا، وأنهم شرّ من سائر الكفار كما يظهر من كثير من الأخبار".

فهو يرى أن التكفير حق، ويخرج الحكم عليهم بأنهم شرّ من الكفار بأحد أمرين، إما باتباعهم للأمويين أي: بمقتضى مبايعتهم لخلفاء المسلمين من الأمويين، وهذا نفاق أكبر عندهم، أو لأن المخالف شرٌّ من الكافر، وبهذا التخريج الأخير يشمل التكفير ديار المسلمين في كل الأزمان.

أما عند ديار مصر وعن أهلها فقد قالوا: أبناء مصر لُعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة والخنازير، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها، ثم يقولون: "بئس البلاد مصر؛ أما إنها سجن من سَخِطَ الله عليه من بني إسرائيل".

كما جاءت عندهم عدة روايات في ذمّ مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات كذبًا وزورًا إلى رسول الله ﷺ وإلى محمد الباقر، وإلى عليٍّ الرضا، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة.

وقد عقَّب المجلسي على هذه النصوص بقوله: "بأن مصر صارت من شرّ البلاد في تلك الأزمنة؛ لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم"، قالوا كل ذلك، لأن مصر، ولأن أهلها لم يأخذوا بنهج الروافض. ويُحتمل أن هذه الروايات قبل أو بعد الحقبة الإسماعيلية من تاريخ مصر؛ لأن من يُشاركهم في رفضهم ويقيم دولة تسمح بكفرهم؛ لا ينالون منه بمثل هذا.

ولا يبعد أن تكون هذه النصوص نصوصٌ تعبّر عن حقدهم وغيظهم على مصر وأهلها، بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين على يد القائد العظيم صلاح الدين، الذي طهَّر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة التي ذكروها، وقالوها في حقِّ مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه، وهو بعنوان باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، هكذا عقد الإمام مسلم -رحمه الله- بابًا بهذا العنوان، وذكر تحته ما ذكر -رحمه الله- كما جاء عندهم ذمٌّ كثير من بلدان المسلمين وأهلها، و لم يُستثنَ

من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم، وهي قليلة في كل الأزمان؛ حتى جاء عندهم – يعني: أنهم ذكروا إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة.

وعلى كلٍّ فموقفهم من الإمامة وما ذكروه فيها في منزلتها من الدين، ثم بعد ذلك، أو يتبع ذلك ما ذكروه من مواقف سيئة للغاية عن الصحابة وتكفيرهم، وعن خلفاء المسلمين وحكوماتهم، وعن حكمهم عن سائر أمصار المسلمين بأنها دار كفر، كل ذلك قالوه؛ لأن هذه الأمصار، ولأن هؤلاء الخلفاء، وتلك الحكومات لم تذهب إلى ما ذهبوا إليه، ولما خالفوهم كفَّروهم، وسبوهم، ولعنوهم، وكان كل ذلك مبنيٌّ عندهم على مسألة الإمامة.

(قول الرافضة في عصمة الأئمة)

عناصر الدرس

العنصر الأول : تعريف العصمة في اللغة والاصطلاح

العنصر الثاني : أقوال الرافضة في عصمة الأئمة، وأدلتهم، والمفاسد المترتبة على ذلك

## تعريف العصمة في اللغة

### أ. العصمة في اللغة:

جاء في (لسان العرب) لابن منظور: أن العصمة في كلام العرب بمعنى المنع، يقال: عصم الله عبده أي: يعصمه مما يُوبقه، وعصمه يعصمه عصمًا منعه ووقاه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، وتقول: اعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية؛ فالعصمة إذًا بمعنى المنعة، والعاصم: المانع الحامي، والاعتصام الاستمساك بالشيء، والعصمة: الحفظ يقال: عصمه الطعام: منعه من الجوع، وهذا طعام يعصم أي: يمنع من الجوع، واعتصم به، واستعصم امتنع وأبى، قال الله ﷻ حكاية عن امرأة العزيز حين راودت يوسف عليه السلام عن نفسه فاستعصم يعني: تأبَّى عليها، و لم يجبها إلى ما طلبت له.

وقال الزجاج في معنى العصمة قال في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: 43] أي: يمنعني من الماء، والمعنى من تغريق الماء، قال: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود: 43] المعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم.

قال الأزهري والحُذَّاق من اللغويين اتفقوا على أن قوله: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمعنى: لا مانع، وفي الحديث: ((فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم))، وفي حديث الإفك الذي ورد في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفيه أن أم المؤمنين رضي الله عنها قالت عن زينب بن جحش قالت فيها: ((فعصمها الله بالورع)) يعني: منعها ورعها من أن تخوض في هذا الإثم.

ويقال: أعصمه يعني: هيَّأ له شيئًا يعتصم به، وأما قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: 101] فمعناه أي: تمسَّكوا بعهد الله، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾ أي: من يتمسك بحبله وعهده، وقال الزجاج كذلك: أصل العصمة الحبل، وكل ما أمسك شيئًا فقد عصمه، وعصام القربة والدلو حبل تشدُّ به، وعصم القربة وأعصمها جعل لها عصامًا، وكل شيء عُصم به شيء عصام، والجمع عصم، ويعني من خلال هذه المعاني يظهر لنا أن العصمة في اللغة -بالكسر- تعني: المنع، والحفظ، والاستمساك، والوقاية، والحماية، والالتجاء، وجامع هذه المعاني هو المنع.

## ب. تعريف العصمة في اصطلاح أهل السنة والجماعة:

إذا أردنا أن نعرف تعريف العصمة في اصطلاح أهل السنة والجماعة؛ لا بد أن أستعرض بعض تعريفاتهم التي تؤدِّي إلى فهم اصطلاح العصمة عندهم، وقد قيل فيها معانٍ وكلمات متعددة، منها أن العصمة اجتناب المعاصي مع التمكن منها، أو بعبارة أخرى قوة من الله تعالى في عبده تمنعه عن ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات، مع بقاء الاختيار للابتلاء والامتحان.

وقال المناوي -رحمه الله- في تعريف العصمة اصطلاحًا: العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها.

وحول هذا المعنى عرفها التفتازاني في شرحه للعقائد النسفية فقال: "حقيقة العصمة ألا يخلق الله تعالى الذنب في العبد مع بقاء قدرته واختياره"، وهذا هو معنى قولهم: "هي لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير" يعني: لطف من الله للعبد يحمله على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء. ولهذا قال الشيخ أبو منصور الماتريدي -رحمه الله: "العصمة لا تزيل المحنة" وبهذا يظهر فساد قول من قال: "إنها خاصية في نفس الشخص أو في بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب عنه" كيف لو كان الذنب ممتنعًا، لما صح تكليفه بترك الذنب، ولما كان مثابًا عليه.

وعلى هامش الشرح المذكور جاء قولهم: "هي لطف من الله" لا يخفى عليك أنه أنسب بتفسيرها بالمَلَكة، ومعنى كلمة الملكة: حللها الأصبهاني -رحمه الله- فقال: "اعلم أن الهيئة النفسانية إن لم تكن راسخة سُميت حالًا، وإن كانت راسخة سميت ملكة، والهيئة النفسانية التي تمنع صاحبها عن الفجور، الذي هو ارتكاب المعاصي واجتناب الطاعات؛ إنما تصير ملكة بأن يعلم صاحبها مثالب المعاصي -أي: معايبها- ومناقب الطاعات؛ لأن الهيئة المانعة من الفجور إذا تحققت في النفس، وعلم صاحبها ما يترتب على المعاصي من المضار، وعلى الطاعات من المنافع؛ تصير راسخة، لأنه إذا علم مثالب المعاصي ومناقب الطاعات يرغب في الطاعة ويرغب عن المعاصي، فيطيع ولا يعصي، فتصير هذه الهيئة راسخة".

هذه بعض الأقوال في ماهية أو تعريف العصمة في اصطلاح أهل السنة والجماعة، ويظهر منها أنها لطف من الله -تبارك وتعالى- يحمل العبد على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر؛ لأن العبد إذا قام في قلبه وتحقق علمه بمضار المعاصي، والآثام، والذنوب، ومنافع الطاعات والصالحات أقبل على الطاعات، وترك المعاصي والسيئات، أما العصمة عند الشيعة الرافضة فلها معنًى آخر.

### جـ. تعريف العصمة في اصطلاح الشيعة الرافضة:

إن الشيعة الرافضة الإمامية الاثنا عشرية منهم والإسماعيلية سواء، دون الزيدية قد خالفوا الأمة خلافًا جوهريًّا في تعريف العصمة، وجعلوا أئمتهم مع الأنبياء والمرسلين في أمر العصمة، وأشركوهم في ذلك، وجعلوهم معصومين تمامًا كالأنبياء والمرسلين، وهذا هو الخلاف الجوهري الأول في تعريف العصمة الاصطلاحي بين أهل السنة والشيعة؛ فأهل السنة يقولون بأن العصمة ملَكة تحمل العبد وتدفعه بلطف من رب العباد ﷻ تدفعه إلى فعل الطاعات وترك السيئات والمعاصي، أما الرافضة فيجعلون أئمتهم معصومين كالأنبياء والمرسلين تمامًا.

وأما الخلاف الجوهري الثاني فهو في مدى وحدود العصمة، الشيعة جعلوا العصمة مطلقة للأنبياء والمرسلين والأئمة، وتؤدِّي إلى رفعهم عن صفات البشرية، وقد خالفوا في ذلك أهل السنة الذين قيَّدوا العصمة في الأنبياء والمرسلين، وذكروا في ذلك ضوابط تضعهم -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- في مكانهم الصحيح الذي أراده الله -تبارك وتعالى- لهم، والله ﷻ قد قال في شأنهم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: 110]، وهذا في النبي ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، فهو بشر كسائر البشر ولكن الله ﷻ أوحى إليه. والشيعة اختلسوا العصمة التي أثبتها أهل السنة والجماعة للأنبياء والمرسلين، وجعلوها مطلقةً للأئمة؛ وقد خالفوا بذلك ما تعارف عليه المسلمون في شأن العصمة، حيث أقحموا أئمتهم مع الأنبياء والمرسلين، وألبسوهم ثوب العصمة النبوية حتى انصرف اللفظ في عُرفهم إلى الأئمة دون الأنبياء؛ لكثرة وصفهم الأئمة بلفظ العصمة، حتى رفعوا الأئمة فوق الأنبياء.

وإذا نظرنا في بعض تعاريفهم من خلال كتبهم تبين لنا خلافهم الجوهري مع أهل السنة والجماعة.

وأنا قبل أن أذكر بعض التعريفات ذكرت الفوارق والاختلافات الجوهرية بين رؤية أهل السنة والجماعة للعصمة، وبين رؤية هؤلاء الرافضة لعصمة الأئمة.

أما عن أقوالهم في عصمة أئمتهم فمنها ما قاله الزنجاني وهو شيعي معروف في مسألة عصمة الأئمة قال: "ونعتقد أن الإمام كالنبي ﷺ يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان؛ لأن الأئمة حَفَظَة الشرع، والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي ﷺ".

ثم قال: "والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة لا فرق"، وقد قال الزنجاني ذلك تحت عنوان: عقيدة الإمامية في عصمة الأئمة الاثنا عشر، وقال كذلك بذات الصيغة الشيعي رضا المظفر، وهو كان عميدًا لكلية الفقه بالنجف الأشرف بالعراق قال في كتابه (عقائد الإمامية) تحت عنوان "عقيدتنا في عصمة الإمام" قال كلامًا يشبه ويقرُبُ من كلام الزنجاني هذا.

وتحت عنوان "عقيدتنا في عصمة الأنبياء" أيضًا لمحمد رضا المظفر قال في كتابه (عقائد الإمامية): "ونعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة، وكذلك الأئمة عليهم جميعًا التحيات الزاكيات، وخالفنا في ذلك بعض المسلمين؛ فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء فضلًا عن الأئمة، والعصمة هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع فعلًا على النبي أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزهًا حتى عمَّا ينافي المروءة، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق، أو ضحك عالٍ، وكل فعل يستهجن فعله عند العرف العام"، هذا كلام محمد رضا المظفر في قوله بعصمة الأئمة، وهو واضح وصريح في أنهم جعلوا الأئمة معصومين تمامًا كما هو الحال عند الأنبياء.

## أ. ذكرُ أقوال بعضهم في عصمة الأئمة:

ذهب الرافضة إلى أن الإمام كالنبي، وكلاهما حافظ للشرع وحجة لله على عباده، فإذا ما ثبت أن الأنبياء معصومون فإن الأئمة أيضًا معصومون لاشتراكهم في العلة التي من أجلها خلقهم الله، وهذه بعض الأقوال:

يقول ابن المطهر الحلي: "إن الأئمة -عليهم السلام- معصومون كالأنبياء -عليهم السلام، ويتحدث الشيخ أحمد الإحسائي عن وجوب عصمة الأنبياء، ثم بعد ذلك يبيّن أهمية وجود الإمام المعصوم، وأنه يعتبر فيه ما يعتبر في النبي؛ لأن الإمام يأخذ من الجهة التي يأخذ منها النبي عن الله تعالى فيقول هذا الشيخ أحمد الإحسائي وهو رافضي يقول: ثم لما كان مقتضى القدر والقضاء الإلهيين الجاريين على مقتضى الحكمة وقت التكليف؛ لسبب يطول ببيانه الكلام، وكانت الأوامر والنواهي المتعلقتان بأفعال المكلفين غير محصورة؛ لكثرتها لتجدد الحوادث، والوقائع ما دام التكليف باقيًا؛ وجب في الحكمة أن يكون لها حافظ عن التغيير والتبديل والتلف بسهو أو نسيان، أو جهل أو موت، أو غير ذلك، ومن كان كذلك؛ وجب أن يعتبر فيه ما يعتبر في الترجمان من الحفظ والفهم، وقوة الباطن في التحمل والتلقي عنه؛ لأنه يأخذ عن الجهة التي أخذ منها الترجمان عن الله تعالى، وفي قوة الظاهر أيضًا يكون كذلك من حيث إنه عند الأداء وعند الكلام يكون معصومًا من الخطأ والإخلال بالواجب كالترجمان تمامًا؛ لأن الترجمان لما وجب عليه أن يلقيها إلى الحافظ لئلا يضيع من في الأصلاب والأرحام، ويرتفع التكليف، وكانت لا تنحصر بالعد، ولا يضبطها حد؛ وجب عليه أن يلقيها أصولًا وقواعد كما أُلقيت إليه كذلك في جوامع الكلم إلى الحافظ، وقد فعل".

وهذا في الحقيقة تلبيس وتدليس، وهذه الكلمات ربما لا يفهمها كثير من الناس، والذي يقصد من ورائه هذا الرجل: أن رب العالمين ﷻ لما كلَّف النبي ﷺ بالنبوة والرسالة، وفيها أوامر ونواهي؛ وجب أن يلقيها النبي ﷺ وقد كان حافظًا معصومًا من التغيير والتبديل، ومن السهو والنسيان، وغير ذلك كما ذكروا، وجب أن يعطيها أيضًا لرجل

تتحقق فيه صفات هذا النبي، وهم قد بالغوا حتى في صفات الأنبياء قد نزهوا الأنبياء عن السهو والخطأ، وهذا قد وقع حتى من النبي ﷺ.

أنقل قولًا آخر لبعض علماء الشيعة الرافضة في عصمة الأئمة، وهذا القول قاله محمد رضا المظفر، ذكر عقيدة الشيعة في عصمة الإمام، وأنه لا فرق بين القول بهذا، والقول بعصمة الأنبياء، ونصُّ كلامه هو: "ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا -ثم يعلِّل محمد رضا المظفر هذا الاعتقاد الذي ذكره في الإمام بقوله- يجب أن يكون معصومًا -أي: الإمام- من السهو والخطأ والنسيان؛ لأن الأئمة حفظة للشرع، والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي ﷺ".

ثم يصرح بأن الدليل الذي اقتضاه واقتضى جماعته من الرافضة أن يعتقدوا بعصمة الأنبياء هو نفس الدليل الذي دفعهم إلى أن يعتقدوا عصمة الأئمة بلا فرق.

وبعد هذه الأقوال نستنتج منها مدى نظرة الشيعة إلى الإمام وعصمته؛ فالإمام أو الخليفة عندهم لا بد أن يكون معصومًا كالنبي بلا فرق؛ لأنه حسب عقيدتهم فيه حافظ للشرع، والمنفرد بالتبليغ عن الله ﷻ، وأنه وحده مصدر الأحكام والفتاوى كما تبين لنا من الأقوال التي ذكرتها قبل قليل.

وعن عصمة الأئمة أيضًا من الكبائر والصغائر يقول ابن أبي الحديد -وهو شيعي رافضي متعصب- يقول عن أئمتهم: "لا تجوز عليهم الكبائر ولا الصغائر، لا عمدًا، ولا خطأ، ولا سهوًا، ولا على سبيل التأويل والشبهة مثل الأنبياء" وهذا غلو واضح في عبارات هؤلاء عن عصمة هؤلاء الأئمة.

أود أن أذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية التي استدلَّ بها هؤلاء على عصمة الأئمة -كما ذكروا- من الخطأ والسهو والنسيان، ومن الكبائر ومن الصغائر، وغير ذلك، وأنهم كالأنبياء تمامًا سواء بسواء، لا فرق في ذلك، ما هي أدلة هؤلاء القوم على هذا المعتقد الباطل؟ للأسف الشديد استدلوا ببعض الأدلة من القرآن والسنة.

هنا دليل من القرآن الكريم استدلوا به على عصمة الأئمة، وهو ما جاء في قول الله -تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:

33] استدلوا بهذا الدليل، وقد تفلسف أحدهم وهو علي البحراني وبيَّن وجه استفادة العصمة من الآية، وبيَّن المعنيَّ منها كما ذكر، وذلك في قولين كما ذكر، أما القول الأول قال: "إن إرادة الله إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم من الذنوب، إما أن يكون المراد بها الإرادة التي يتعقّبها الفعل ويصدر عنها إذهاب الرجس والتطهير منه، وإما أن يكون المراد إرادة الله منهم أن يطهروا أنفسهم من الرجس التي هي بمعنى الأمر، كما هو ظاهر اختصاص أهل البيت بهذا الأمر دون الناس.

وإذا كان المراد منها الأمر بتطهير أنفسهم من الذنوب؛ زال الاختصاص، فإن اجتناب الذنوب مطلوب من جميع المكلفين فلا خصوصية في هذا لأهل البيت، فوجب لموضع الاختصاص أن يكون المراد هو الأول ومنه تثبت العصمة.

أما الوجه الثاني أو المعنى الثاني الذي ذكره في إفادة هذه الآية للعصمة: أن الآية وردت مورد المدح، ولا مدح في مطلوبية اجتناب الذنوب، وإنما المدح في إذهابها عن المكلف وتطهيره من مقارفتها، وهو المعنى الأول فوجب أن يكون هو المراد؛ لئلا يخرج ما هو مدح عن كونه مدحًا، فثبت بذلك العصمة لمن عناهم الله بهذه الآية.

وبهذا القول الذي ذكره البحراني قال أبو جعفر الطوسي والطبرسي كما استدل بهذه الآية أيضًا على عصمة الأئمة كثيرون غير البحراني، كابن المطهر الحلي، وحسن موسى الصفار، والشيخ علي منصور.

**ونرد على هذا الدليل بما يلي:**

أولًا: بيان معنى الإرادة في الآية: تأتي الإرادة مضافة إلى الله ﷻ بمعنيين في القرآن الكريم شرعية تتضمن محبة الله -تبارك وتعالى- ورضاه، وكونية قدرية تتضمن خلقه ﷻ وتقديره؛ فالإرادة الشرعية كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وكما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 27]؛ فإرادته ﷻ في هاتين الآيتين متضمنة لذلك المراد، وأن هذا هو شرع رب العالمين ﷻ، وليس في ذلك أنه خلق هذا المراد، وأنه ﷻ وقد قدَّره وأوجده بمعنى: أن الإرادة الشرعية قد يوجد مرادها وقد لا يوجد مرادها، وهذه هي الإرادة المتضمنة للمحبة والرضا.

أما الإرادة الكونية القدرية: فهذه الإرادة مستلزمة لوقوع المراد بمعنى أنه لا بد من أن يقع مرادها؛ سواء أحبه الله ﷻ ورضيه أم لم يحبه و لم يرضه، وقد استدل أهل العلم على هذه الإرادة الكونية القدرية بقول الله -تبارك وتعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: 125] واستدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: 253]؛ وبناء على ذلك أقول إن الإرادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: 33] هي من النوع الأول المتضمنة لمحبة الله -تبارك وتعالى- لذلك، وليس كما توهَّم البحراني بأنها هي التي يقع عندها المراد، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ بعد نزول الآية قال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي، فَأَذْهِب عنهم الرجس)) فطلب من الله ذلك، فلو كانت الآيات تتضمن الوقوع ولا بد؛ لم يحتج إلى الدعاء، كما أنه لو أريد بها التي يتحقق عندها الفعل؛ لكان كل واحد من أهل البيت إلى يوم القيامة محفوظًا من كل ذنب، والواقع غير هذا.

ثم من وجوه الرّدّ عليه أيضًا أن أبين المراد بأهل البيت: وقبل بيان المراد بأهل البيت أشير إشارة يسيرة إلى معنى لفظة "أهل" في اللغة، وبالتالي سيظهر لنا عند الإضافة من المعنيون بأهل بيت النبي ﷺ.

قال ابن منظور: أهل المذهب من يدين به، وأهل الأمر ولاته، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره -أعني: عليًّا- وقيل: نساء النبي ﷺ إلى أن قال ابن منظور: "وأهل الرجل وأهلته زوجه، وأهل الرجل يأهل أهلًا وأهولًا، وتأهل تزوج وفي باب الدعاء، أهَّلك الله في الجنة إيهالًا أي: زوجك فيها وأدخلكها.

وفي (القاموس) أيضًا جاء: أهل الرجل عشيرته وذو قرباه، وأهل الأمر ولاته، وللبيت سكانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته، وللنبي ﷺ أزواجه، وبناته، وصهره علي > أو نساؤه والرجال الذين هم آله.

ومما سبق يتبين أن أهل البيت يُطلق أيضًا على الأزواج خاصة، ثم يستعمل في الأولاد والأقارب تجاوزًا، وقد اختلف في أهل البيت المذكورين في الآية بعد ذكري لمعنى كلمة "أهل" عند علماء اللغة، وقد ذكر القرطبي -رحمه الله- هذا فقال: وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم؟ فقال عطاء: وعكرمة وابن عباس هم زوجاته خاصة لا رجل

معهن ذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: 34]، وقالت فرقة منهم الكلبي هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33] بالميم ويطهركم ولو كان للنساء خاصة لقال: "عنكنّ" و"يطهركنّ"، إلا أنه يحتمل أن يكون على لفظ الأهل كما يقول الرجل لصاحبه كيف أهلك؟ أي امرأتك، ونساؤك فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: ﴿ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [هود: 73].

ثم قال القرطبي -رحمه الله: "والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال "ويطهركم"؛ لأن رسول الله ﷺ وعليًّا وحسنًا وحسينًا كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام، وهذا ما ذهب إليه الرازي ورجحه كما رجحه القرطبي.

وفي ذلك يقول الرازي: "إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ ﴾ [الأحزاب: 33] ليدخل فيه نساء أهل البيت، كما يدخل فيه الرجال"، ثم قال: "واختلفت الأقوال في أهل البيت والأولى أن يقال: هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم، وعلي منهم؛ لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته لبنت النبي ﷺ وملازمته للنبي -عليه الصلاة والسلام.

كما ذكر الشوكاني -رحمه الله- أن ابن عباس، وعكرمة، وعطاء، والكلبي، ومقاتلًا، وسعيد بن جبير قالوا: "إن أهل البيت المذكورين في الآية هنَّ زوجات النبي ﷺ خاصة، وأن المراد من البيت بيت النبي ﷺ ومساكن زوجاته لقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: 34]" وأيضًا السياق في الزوجات قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾ [الأحزاب: 28] إلى قوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾.

.

وقد ذهب الشيخ الشنقيطي -رحمه الله- إلى ما قاله العلماء ممن نقلنا قولهم، مؤكدًا دخول زوجات النبي ﷺ في الآية فقال: "والتحقيق -إن شاء الله- أنهن داخلات في

الآية، وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت أما الدليل على دخولهن في الآيـــة، فهو أن سياق الآية صريح في أنها نازلة فيهن، والتحقيق أن صورة سبب النزول قطعيـــة الدخول، كما هو مقرر في علم الأصول، ونظير ذلك من دخول الزوجات في اسم أهل البيت قوله تعالى في زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾..

وإذا كان أزواج النبي ﷺ يَدْخُلْنَ في دعائه، وأيضًا فاطمة –رضي الله عنهنّ– أجمعين عُلم أن هذه الآية لا تدلّ على العصمة باعتبار أنها شملت غير الأئمة الاثنا عشر عند الإمامية، والكلام طويل في معنى الآية عند أهل السنة والجماعة.

والخلاصة في الرّدّ عليهم وعلى استدلالهم بهذه الآية: أن الآية لا تدل علـــى عصـــمة مـــن تناولته، أو أي أحد من أهل البيت كما تبيَّن لنا، وأن الاستدلال بها على عصمة الأئمة يبطله دخول الزوجات، وفاطمة –رضي الله عنهنّ– في آل بيت النبي ﷺ.

وهناك أدلة أخرى استدلوا بها من القرآن الكريم على العصمة.

ودليل آخر واحد من السنة النبوية المطهرة، وهذا الدليل هو حديث الثقلين والذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا كتاب الله، وعتـــرتي أهل بيتي؛ فإنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض))، وعن وجه دلالة الحـــديث علـــى العصمة يقول علي البحراني: "وهذا الحديث دالٌّ على عصمة العترة من وجهين:

**الأول:** شهادة النبي ﷺ بعصمة المتمسك بهم من الضلال دائمًا، ولو جاز عليهم الخطأ، وارتكاب المعاصي، لما كان اتباعهم عاصمًا من الضلال مطلقًا؛ فوجـــب أن يكونـــوا مأمونين من الخطأ، منزهين عن مقارفة الخطايا، وتلك هي العصمة.

**الثاني:** شهادة النبي ﷺ لهم بأنهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم، والمراد من ذلـــك أنهم ملازمون لأحكامه، والقرآن حق لا ريب فيه، والملازم له دائمًا على الحق في كـــل أحواله، لا يجوز عليه الخطأ؛ إذ لو جاز عليه لم يكن ملازمًا للقرآن، ولزوم الصـــواب دائمًا هو العصمة".

هكذا ذكروا هذا الحديث، وهكذا استنبط علي البحراني، وهو من شـــيوخهم وجـــه الاستدلال بهذا الحديث على عصمة الأئمة.

ونَرُدُّ عليه، وعلى هذا الدليل بردود مختلفة، فنقول فيها:

**أولًا:** هذا الحديث رواه أحمد في المسند من حديث عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد بزيادة يسيرة، وعطية هذا ضعيف، ضعَّفه أحمد بن حنبل وغيره، وذكره ابن حبان في (المجروحين)، وقال: "سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث، فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبي، ويحضر قصصه، ويروي عنه، فإذا قيل له من حدَّثك بهذا فيقول: حدثني أبو سعيد، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري، وإنما أراد به الكلبي".

ثم قال -رحمه الله: "فلا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه، إلا على وجه التعجب" وقد روى هذا أيضًا الحديث العقيلي في (الضعفاء) من رواية عبد الله بن داهر، عن عبد الله بن عبد القدوس، وقال في عبد الله بن داهر: "رافضي خبيث". وقال في عبد الله بن عبد القدوس: "أشرّ منه، كلاهما رافضيان".

وقال الذهبي -رحمه الله- في كتابه (ميزن الاعتدال) في ترجمة عبد الله بن داهر هذا: "قال ابن عدي: عامة ما يرويه في فضائل علي، وهو متهم في ذلك، ثم قال الذهبي: قد أغنى الله عليًّا عن أن تُقرَّر مناقبه بالأكاذيب والأباطيل".

والحديث أورده كذلك ابن الجوزي في (العلل المتناهية) وقال: "هذا حديث لا يصح"، ثم نقل كلام الأئمة في ابن داهر وابن عبد القدوس، وعلى هذا فالحديث الذي استدل به هؤلاء لا تقوم به حجة؛ لوجود هذين الراويين في سنده، وهما رافضيان، وقد تقرر في الأصول أن صاحب البدعة إذا روى ما يوافق بدعته؛ فإنه تردّ روايته على الصحيح.

**ثانيًا:** لو سلمنا جدلًا بصحة الحديث، فيمكن أن نردّ على هؤلاء الرافضة، وعلى استدلالهم بعصمة الأئمة بهذا الحديث من وجوه كثيرة، منها أن الرسول ﷺ على ما يدل عليه الحديث أمرنا بالتمسك بالكتاب والعترة، والرجوع إليهما في كل أمر؛ فمن كان مذهبه مخالفًا لهما في الأمور الشرعية اعتقادًا وعملًا فهو ضال، ومذهبه باطل وفاسد لا يُعبأ به، ومن جحد بهما؛ فقد غوى ووقع في مهاوي الرّدى، وليس المتمسك بهذين الحبلين إلا أهل السنة؛ لأن كتاب الله ساقط عند الشيعة عند درجة الاعتبار.

والدليل على ذلك أن الكليني روى عن سالم بن سلمة قال: "قرأ رجل على عبد الله # وأنا أسمع حروفًا من القرآن ليس مما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله #: كُفّ عن هذه

القراءة واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم قرأ كتاب الله على حده، وأخرج المصحف الذي كتبه علي رضي الله عنه". وهذه الرواية وغيرها كثير تدلّ على أن القرآن الموجود الآن محرف ومبدل، وهذا هو موقف الشيعة من الثقل الأول، وهو كتاب الله ﷻ وهو يدل على أنهم بعيدون كل البعد عن القرآن الكريم، وتعاليمه، وأحكامه؛ فالحديث إذًا حجة عليهم، لا لهم.

أما عن الثقل الثاني: والذي حثَّ عليه الرسول ﷺ وذكر به، فأقول: إن هذا التذكير والتمسك لا يُفهم منه أنهم معصومون، بل غاية ما يدل عليه الحديث هو التمسك بمحبتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاهتداء بهديهم وسيرتهم إذا لم يكن مخالفًا للدين، وقد مر بنا أن أهل البيت أو العترة أعمّ من أن يُراد بهم الأئمة الاثنا عشر المعصومون عند الرافضة؛ فأهل البيت يطلق عليهم وعلى غيرهم، فتخصيصهم ذلك باثني عشر إمامًا دعوى تحتاج إلى دليل، ولا دليل عندهم؛ فبطل الاحتجاج بالحديث على الأئمة، ومن ثَمَّ فهم كغيرهم من بقية أهل البيت غير معصومين، وإذا كان الشيعة لا يقولون بعصمة جميع أهل البيت؛ فالتخصيص إذًا يحتاج إلى دليل أيضًا، ولا دليل عندهم فبطل قولهم بعصمة الأئمة.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي)) وأشار إلى بكر وعمر، وتمسكوا بعهد عمار، كما روى مثله الترمذي في (السنن)، وذكره الحاكم في (المستدرك) وصححه، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين مِن بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ)) وهذا ثابت صحيح عن النبي ﷺ وهذا في غير أئمة الرافضة، وهو أيضًا لا يدل على عصمتهم كما ذكر الروافض؛ فأهل السنة والجماعة كان موقفهم في ذلك صحيحًا.

### جـ. المفاسد المترتبة على القول بعصمة الأئمة:

القول بعصمة الأئمة يتضمَّن، ويلزم منه مفاسد كثيرة، منها:

**أولًا:** الغلو في الأئمة، وقد غلا الرافضة في الأئمة غلوًّا شديدًا، وكان هذا الغلو مترتبًا على القول بعصمة الأئمة، وإليك بعض النصوص التي قالوها في ذلك، فالكليني مثلًا

يروي في أصوله عن جعفر الصادق أنه قال: "إن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله"، وإننا نعتقد بكذب هذه الرواية عن الصادق، وحاشاه أن يقول هذا، ولقد ذكر أبو المظفر الإسفراييني حال الشيعة مع الصادق فقال: "إنهم لما رأوا الجاحظ يتوسَّع في التصانيف، ويصنف لكل فريق قالت له الروافض -يعني: قالت الروافض لجعفر الصادق: صنف لنا كتابًا فقال لهم: لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها، وأتصرف فيها. فقالوا له: إذًا دللتنا على شيء نتمسك به. فقال: لا أدري لكم وجهًا إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئًا مما تزعمونه تقولون: إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سببًا تستندون إليه غير هذا الكلام"، فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوأة التي دلهم عليها، وكلما أرادوا أن يخترقوا بدعة، أو يخترعوا كذبة نسبوها إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزه.

وهذا يقال فيما نُسب إلى الصادق وغيره من باقي الأئمة مما لا يُوافق الكتاب والسنة، وما عليه إجماع الأمة.

**ثانيًا:** مساواة الأئمة بالأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- مرَّ بنا أن الشيعة قد أثبتوا العصمة للأئمة على نحو ثبوتها للأنبياء -عليهم السلام- حيث قالوا: "إن دليلنا على عصمة الأنبياء هو نفس الدليل على عصمة الأئمة"، وعباراتهم يستشف منها مساواة الأئمة بالأنبياء -عليهم السلام- ومن هنا فقد جرهم القول بالعصمة -أعني: بعصمة الأئمة- إلى مضاهاة الأنبياء والرسل -عليهم السلام- وهذا مما لا تقره الشريعة.

يقول ابن تيمية -رحمه الله: فمن أوجب طاعة أحد غير رسول الله ﷺ في كل ما يأمر، وأوجب تصديقه في كل ما يُخبر به، وأثبت عصمته، أو حفظه في كل ما يأمر به ويخبر من الدين؛ فقد جعل فيه من المكافأة لرسول الله ﷺ والمضاهاة له في خصائص الرسالة بحسب ذلك، سواء جعل ذلك المضاهي لرسول الله ﷺ بعض الصحابة، أو بعض القرابة، أو بعض الأئمة، والقول بالمساواة هذه ليس ادِّعاء من جانبنا، أو فهمًا للنصوص بما لا تحتمله، وإنما نلمس هذا بأدنى نظرة في أقوالهم، نجد ذلك في جميع الكتب الشيعية التي تتعرَّض للإمامة، وبخاصة كتب الإمامية، وقد صرَّح بهذا الدكتور مصطفى غالب الشيعي فقال: "وإذا أمعنا في دراسة مصنفات الشيعة التي تتناول العصمة بالبحث والمناقشة؛ نلاحظ أن الشيعة يعتبرون أن الإمام بمثابة النبي ﷺ المعصوم من جميع الرذائل

والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا". هذه الحقيقة يقف عليها كل باحث في عقيدة الشيعة تجاه الأئمة.

**ثالثًا:** بطلان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ذلك أن الرافضة -كما ذكر الرازي- قالوا: "بأن وجوب العصمة شرط للخلافة، ولذلك اعتبروا الأئمة من أهل البيت هم وحدهم المعصومون" كما تقول كتب الشيعة، وبالتالي فهم أولى بالخلافة، وأحق بالإمامة، ويشير إلى ذلك أحمد بن إبراهيم النيسابوري فيقول: "الإمامة أصل من أصول الدين، وأن وجود الإمام ضروري، وأن جميع الشرائع والأحكام منوطة به، ولما كان الأئمة الطاهرون من آل طه وياسين معصومين عن الفسق والفجور، والطغيان والانفلات، والعدوان؛ لأنه تعالى طهرهم من كل دنس وعيب يكفي للدلالة على أنهم أحق الناس بها شرعًا وأصولًا"، هكذا حكم النيسابوري بشرعية إمامة الأئمة من آل البيت بناء على عقيدة العصمة المثبتة لهم.

أما ابن المطهر الحلِّي عندما تكلم عن إمامة علي > قال: "إن الإمام يجب أن يكون معصومًا، ومتى كان ذلك كان الإمام هو عليًّا رضي الله عنه لأن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين اتفاقًا، وعلي رضي الله عنه معصوم فيكون هو الإمام".

ونجد ذلك أيضًا من ابن الحلي صراحة عندما يستدل بقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 119] يستدلُّ بها على إمامة علي رضي الله عنه ويقول: "أوجب الله علينا الكون مع المعلوم منهم الصدق، وليس إلا المعصوم" لتجويز الكذب في غيره فيكون هو عليًّا رضي الله عنه إذ لا معصوم من الأربعة سواه، وبالتالي جاءت هذه المفسدة العظيمة المترتبة على القول بالعصمة، وهذه المفسدة هي بطلان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهم بهذا قد خالفوا جمهور المسلمين في هذا المعتقد الباطل.

# (قول الرافضة في الرجعة)

## عناصر الدرس

العنصر الأول : معنى الرجعة وأثر الفكر اليهودي فيها

العنصر الثاني : أدلة الرافضة على الرجعة ونقضها

## معنى الرجعة، وأثر الفكر اليهودي

### أ. معنى الرجعة:

الرجعة الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، ويُشير ابن الأثير –رحمه الله– أن هذا مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، وقد ذهبت فرق شيعيّة كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يُقرُّ بموتهم ثم رجعتهم بعد ذلك، ومنهم من ينكر موتهم ويقول: بأنهم غابوا وسيرجعون.

وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ إلا أنه قال: إنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وهذا في الإمام علي بن أبي طالب > وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، وهم أتباع عبد الله بن سبأ والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثنا عشرية عامة للإمام، وكثير من الناس يعني: أنهم توسّعوا فيها، ولم يقتصروا على قولهم بأن الرجعة تتعلق بعلي بن أبي طالب > بل هذه الرجعة لجميع الأئمة الاثنا عشرية، ولكثير من الناس أيضًا.

ويشير الألوسي –رحمه الله– إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث، وقد اشتهرت بعض الفرق الشيعية باسم الرجعية لقولهم بالرجعة واهتمامهم بها.

أما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثنا عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

**الأول:** الأئمة الاثنا عشر؛ حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يَحْيَوْن بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

**الثاني:** ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة في نظرهم من أصحابها الشرعيين، ويقصدون بأصحابها الشرعيين الأئمة الاثنا عشر، وعليه فقد ذهبوا إلى أن خلفاء المسلمين سيُبعثون ويرجعون، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان يرجعون من قبورهم لهذه الدنيا للاقتصاص منهم؛ لأنهم أخذوا الخلافة من أهلها، ومن هنا قالوا: بأن عمليات

التعذيب والقتل والصلب ستجري عليهم بعد رجعتهم؛ لأنهم اغتصبوا الخلافة وليسوا لها بأهل.

**الثالث:** عامة الناس ويُخَصُّ منهم من محض الإيمان محضًا، وهم الشيعة عمومًا؛ لأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم، ومن محض الكفر محضًا وهم كل الناس ما عدا المستضعفين، والمستضعفون في مصطلح الشيعة، وهذا المصطلح يرد كثيرًا في مصادرهم وعلى ألسنة شيوخهم القدامى والمعاصرين، ويقصدون به ضعفاء العقول كالنساء العاجزات والبُلد، وأمثالهم، ومن لم يتم عليهم الحجة ممن يموت في زمن الفترة، أو كان في موضع لم يأتِ إليه خبر الحجة فهم المرجون لأمر الله، إما يعذبهم، وإما يتوب عليهم؛ فيرجى لهم النجاة من النار.

هذا هو معنى المستضعفين عند هؤلاء، ولهذا قالوا في تعريف الرجعة -أعني: الرافضة- بأنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها، والراجعون إلى الدنيا هم النبي الخاتم، وسائر الأنبياء، والأئمة المعصومون، ومن محض في الكفر دون الطبقة الجاهلية المعبر عنها بالمستضعفين، أو بعبارة شيخهم المفيد من علت درجته في الإيمان، ومن بلغ الغاية في الفساد، كلهم يرجعون بعد موتهم، وكذا من كان له قصاص وإن لم يكن ماحضًا، فيرجع ويُقتصُّ من قاتله.

وزمن الرجعة العامة هو -كما يذكر شيخهم المفيد وغيره- عند قيام مهدي آل محمد -عليهم السلام- ورجوعه من غيبته، ولكن بعض شيوخهم يقول: إن رجعة العامة غير مرتبطة بأمر ظهور المهدي، ذلك أن الرجعة -كما يقول- غير الظهور؛ لأن الإمام # حي غائب وسيظهر إن شاء الله، ولم يُسلب الملك فيرجع إليه، فمبدأ الرجعة من رجوع الحسين إلى الدنيا، وهذا قد يتفق مع رواياتهم التي تقول: "أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي رضي الله عنه.

وقد ذكرت بعض رواياتهم أن الرجعة تبدأ بعد هدم الحجرة النبوية، وإخراج الجسدين الطاهرين للخليفتين الراشدين، كما يزعم الشيعة ذلك، وبئس ما زعموا، وقد جاء في أخبارهم أن منتظرهم -وهو المهدي المنتظر- يقول: "وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة، وأُخرج من بها وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يُصلبان عليهما، فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشدُّ من الأولى، فينادي مناد الفتنة من السماء: يا

سماء انبذي، ويا أرض خذي؛ فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن -يعني: إلا شيعي- ثم يكون بعد ذلك الكرة والرجعة".

والغرض من الرجعة هو انتقام الأئمة والشيعة من أعدائهم، وأعداؤهم هم سائر المسلمين من غير الشيعة ما عدا المستضعفين، ولذلك فإن سيوف الشيعة تقطر دمًا من كثرة القتل للمسلمين، حتى قال أبو عبد الله: "كأني بحمران بن أعين، وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة"، ولا شك بأن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام يدلُّ دلالة أكيدة أن المقصود بالقتل هم المسلمون، وأن هذا ما تَحْلم به الإمامية الرافضة.

وهذا الخبر وأمثاله يعطينا -بغض النظر عن العنصر الخرافي فيه- صورة لتفكير تلك الزمرة الشيعية التي وضعت تلك الروايات، وتبين أهدافها ومخططاتها؛ فهي إسقاطات لرغبات مكبوتة، ونوازع مقهورة لفرقة تتربّص بالأمة الدوائر. ولذلك، لماذا قال الرافضة بالرجعة؟ لأن غرضهم هو الانتقام من أمة الإسلام -أعني: أهل السنة والجماعة- بصورة عامة، وهذا مبدأ خطير، وقول -والعياذ بالله- كبير، ونظرة تمتلئ بالحقد الدفين على صحابة النبي الأمين ﷺ ومن تبعهم بإحسان دون الأئمة الإثنا عشر، وسائر الشيعة الذين أَتَوا بهذا البهتان، وهذا الضلال العظيم.

## ب. أثر الفكر اليهودي في القول بالرجعة:

من المعلوم أن لليهود بصمات قوية في الفكر الرافضي بصورة عامة، ومن ذلك الرجعة.

**أولًا:** الحقد اليهودي الدفين ضدّ العرب، وهنا جاء عن ابن سبأ اليهودي في كتب الشيعة وكتب السنة من فقرات حول الرجعة الشيعية، والتي أوحت إلى الشيعة عقيدتهم، وأول ما أذكره هنا الحقد السبئي الدفين ضد العرب؛ ففرقة ابن سبأ قالت: "إن عليًّا لم يقتل، ولم يمت، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه"، وأصحاب عبد الله بن سبأ، وهو نفسه أيضًا كان ممن أظهر الطعن على عمر وعثمان والصحابة، وتبرَّأ منهم؛ وواضح أن دافع استنكار موت الإمام والقول برجعته هو الحقد الدفين في صدر ابن سبأ ضد العرب، ولم يشفِ صدره ما سال من دمائهم الزكية في وقعة الجمل، ووقعة صفين بعد إراقة دماء ذي النورين الطاهرة، التي كان هو وتنظيمه وفرقته خلف فتنة إراقتها وإسالتها.

لم يشفِ ذلك غلّه، فتمنى مزيدًا من الفتن بين العرب بعصا الإمام التي استتر في ظلها، وراح يؤكد وينشر عدم موته حتى يملك الأرض، ولمَّا بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: "كذبت ولو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلًا؛ لعلمنا أنه لم يمت، و لم يقتل حتى يملك الأرض"، ولماذا يا ابن سبأ تؤكد وتصر على موت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد سكن قلبه ومات، وصعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية؟ يجيب ابن سبأ وفرقته عن ذلك قائلين: "إنا نعلم أنه لن يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه وسيفه كما قادهم بحجته".

هذا هو التعليل الذي ذكروه، ونلمس منه كما يظهر رغبة هؤلاء من الانتقام من العرب بالعصا والصوت والسيف، هذه هي رغبة اليهود التاريخية التي لا تَفْتُرُ ضد العرب المبعوث منهم النبي الكريم العربي ﷺ ورغبة ضرب العرب بعضهم ببعض هي أمنية عند هؤلاء القوم، وقد توهَّموا فكرة رجعة أموات العرب ليسوقهم أحدهم، وهو علي بن أبي طالب العربي بعصاه وسوطه وسيفه، تلك الفكرة العدوانية التي تعجب منها ابن عباس > كما قرر ابن أبي الحديد قائلًا: فلما قُتل أمير المؤمنين رضي الله عنه أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة، وفرقة يصدقونه ويتبعونه، وقال لما بلغه قتل علي: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة لعلمنا أنه لم يمت، كما ذكرت قوله سابقًا. ولما بلغ ابن عباس ذلك قال: "لو علمنا أنه يرجع لما تزوجنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه".

**ثانيًا:** الاعتقاد الصحيح بحياة المسيح ونزوله في آخر الزمان، من المعلوم في عقيدة الإسلام أن نزول عيسى عليه السلام من علامات الساعة الكبرى، وقد أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، قال تعالى: : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 159] أي: ما من أهل الكتاب إنسان إلا سيؤمن بعيسى قبل موته ويوم القيامة سيشهد عيسى عليه، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: 61] أي: أن عيسى علامة على قرب الساعة وهو الآن حي في السماء رفعه الله –تبارك وتعالى– بروحه وجسده؛ خلافًا لزعم أهل الكتاب بقتله وصلبه بدليل قول الله –تبارك وتعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 157، 158].

ونزول عيسى عليه السلام قد تواترت به الأخبار، ينزل إلى الأرض حكمًا عدلًا يحكم بشريعة سيد المرسلين محمد ﷺ كما صحت بذلك الأحاديث، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة > أن الرسول ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)).

ومعنى: أنه يضع الجزية أي: يبطلها، فلا يقبل من أحد إلا الإسلام، وفي الحديث: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم، وقد ثبت في الصحاح أيضًا أن عيسى عليه السلام هو الذي سيقتل الدجال، وبعد أن تنتهي مهمة المسيح يموت، فيصلي عليه المسلمون في مدينة النبي ﷺ.

هذه هي العقيدة الصحيحة التي كان يعتقدها السلف، وأن عيسى عليه السلام لم يمت، وأنه رُفع إلى السماء، وأنه سيرجع وينزل إلى الدنيا، وقد حرَّف ابن سبأ هذه العقيدة الصحيحة، وذكر رجعة الأموات ضاربًا بالأحاديث الصحيحة التي بيَّنت نزول عيسى عليه السلام، وابن سبأ أراد بذلك إفساد عقائد المسلمين، ولذلك قال الإمام الحافظ ابن كثير –رحمه الله– عنه، وعن ما أدخله على المسلمين بالقول بالرجعة قال: "كان يهوديًّا –يعني: ابن سبأ– فأظهر الإسلام، وسار إلى مصر؛ فأوحى إلى طائفة من الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه مضمونه: أنه كان يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا فيقول له الرجل: نعم. فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم" فافتتن بَشَر كثير من أهل مصر بهذه العقيدة الباطلة.

ونحن نقول: بأن عقيدة المسلمين التي أثبتت نزول عيسى عليه السلام عقيدة جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ولا اجتهاد فيها لبشر، ولا نستطيع أن نتدخل لنُدخل على هذه العقيدة الصحيحة أقوالًا من عقولنا؛ إذ إن نبينا ﷺ بيَّن لنا كل ما نحتاج إليه، ولا قياس، ولا إضافة، بعد أن بيَّن النبي ﷺ ما بيَّن، إلى جانب أن النبي ﷺ قد مات، وصعدت روحه إلى بارئها، وهو آمن على فراشه، ودُفن جسده الشريف ﷺ في الحجرة النبوية الشريفة.

أما المسيح عليه السلام فلم يمت و لم يقتل، وكان اليهود يطاردونه لصلبه، فأخفاه الله تعالى عنهم، ورفعه إليه بروحه وجسده، واختصَّه بالنزول إلى الأرض بين يدي الساعة في رجعة خاصة به وحده دون سائر البشر، وشتان بين عقيدة المسلمين في نزول عيسى عليه السلام بين يدي الساعة وبين عقيدة اليهود والنصارى بأن النبي إيليا قد رفع إلى السماء، وأنه لا بد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان؛ لإقامة دعائم الحق والعدل، دون عيسى الكاذب في نظر اليهود، وابن الله المصلوب لتكفير خطايا البشر في زعم النصارى.

وإذا كان اليهودي ابن سبأ إمام أهل الالتواء قد برَّر قوله في أدمغة البسطاء بأن محمدًا ﷺ ليس أقل من عيسى؛ فإن أشرف المرسلين ﷺ غني عن التواء تبريره، ويكفيه ﷺ أنه صاحب الكوثر، وأنه أول من تنشق عنه الأرض يوم نفخة البعث. ثم إن الراجح في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85] وهي من الآيات التي استدل بها ابن سبأ على القول بالرجعة، وقال: "عجبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا ﷺ يرجع والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾". ومعنى هذه الآية الصحيح: أن الذي أنزل عليك يا محمد ﷺ القرآن، وفرض عليك العمل به لرادّك إلى مكة، كما أخرجك منها في الموعد الذي قدَّره، وفي الوقت الذي فرضه في يوم فتح مكة.

## أدلة الرافضة على الرجعة

### أ. أدلة الرافضة على الرجعة:

اتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله ﷻ ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي ينفردون بالقول بها عن سائر المسلمين، ولَّما لم يجدوا بغيتهم تعلَّقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيّما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلًا على زيف معتقدهم، وبرهانًا على بطلان مذهبهم، وأقوى أدلتهم وأشهرها حسب نظرهم.

ويرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة ما جاء في قول الحق – تبارك وتعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: 95] قال القمي وهو شيخ المفسرين عندهم، وقد وضع عنوانًا لهذه الآية عندما استدل بها قال فيه: "أعظم آية دالة على الرجعة" لأن أحدًا من أهل الإسلام لا يُنكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك.

وفي الحقيقة نقول لهم: هذه الآية حُجة عليكم؛ لأنها تدل على نفي الرجعة إلى الدنيا؛ إذ معناها كما صرح به ابن عباس > وأبو جعفر الباقر، وقتادة، وغير واحد، قالوا في معناها: "حرام على أهل كل قرية أُهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة"، وهذا كقوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: 31]، وكقوله: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: 50].

وزيادة "لا" هنا لتأكيد معنى النفي من حرام، وهذا من أساليب التنزيل البديعة، البالغة النهاية في الدقة، وسر الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم من الهلاك المؤبد، وفوات أمنياتهم الكبرى، وهي حياتهم الدنيا، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فهي رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب أي: ممتنع ألبتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء يعني: أن عدم رجوعهم إلى الله ﷻ للجزاء والوقوف بين يديه للحساب، هذا أمر ممتنع، ولا يليق بحكمة الحكيم ﷻ.

ولذلك يذهب بعض المفسرين في هذه الآية التي استدل بها هؤلاء وهي ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } يذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تُقرّر الإيمان بالبعث، وهي تتمة وتقرير لما قبلها، وهو قول الحق –تبارك وتعالى: ﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: 93] فتكون "لا" فيها على بابها، وهي مع "حرام" من قبيل نفي النفي؛ فتدل على الإثبات، والمعنى: وحرام على القرية المهلكة عدم رجوعها إلى الآخرة، بل واجب رجوعها للجزاء، فيكون الغرض إبطال قول من ينكر البعث.

ومن أشهر الآيات التي يستدل بها الإمامية على الرجعة –كما يذكر ذلك الألوسي، رحمه الله– ما جاء في قول الحق –تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ﴾ [النمل: 83] والآية كما يقول المفسرون في يوم الجزاء، يوم يقوم الناس لرب العالمين، إلا أن هؤلاء يجعلونها في عقيدتهم في الرجعة، ولذلك قال شيخهم شبر: بأنها فسرت في أخبارهم بالرجعة، وقال الطبرسي: "استدل الشيعة الرافضة بهذه الآية على

صحة الرجعة" قالوا: إن دخول "من" في الكلام يوجب التبعيض، فدل بذلك على أنه يُحشر قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة، الذي يقول فيه سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

أما كون "من" الأولى للتبعيض، فهذا شائع؛ لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب أي: ويوم يجمع من كل أمة من أمم الأنبياء، أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة مكذبة بآياتنا، وهذا لا يدل أبدًا على مسألة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت بحال من الأحوال، ولكن الشيعة تتعلَّق بكل آيات اليوم الآخر المتضمنة لرجوع الناس لربهم؛ لتجعلها في عقيدتهم في الرجعة، كما هو دأبهم الباطل في تأويل الآيات، وصرفها عن ظاهرها الصحيح. وتخصيص المكذبين بهذا الحشر لا يدل أبدًا على ما يزعمون، لأن هذا حشر للمكذبين للتوبيخ والعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق.

أما "من" الثانية فهي بيانية، جيء بها لبيان فوجًا، ولهذا فإن بعض مفسري الشيعة المعاصرين أدرك ضلال قومه في هذا التأويل فقال في تفسير الآية: "من" هنا بيانية وليست للتبعيض تمامًا، كخاتم من حديد، والمعنى: أن في الأمم مصدقين ومكذبين بآيات الله وبيناته، وهو يحشر للحساب والجزاء جميع المكذبين بلا استثناء، وخصَّهم بالحشر مع أنه يعُمّ الجميع؛ لأنه تعالى قصد التهديد والوعيد. هذا كلام لبعضهم وهو يبين أن استدلالهم إذًا بهذه الآية استدلال باطل، وأن بعضهم عَرَف ذلك، فأراد ألا يدع مجالًا – كما يزعمون– لأهل الحق في انتقادهم لهذه الأدلة.

ومن الآيات التي يتأوّلونها في الرجعة ما جاء في قول الله –تبارك وتعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: 17] الآيات، وقد جاء في تفسير القمي: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾} قال: هو أمير المؤمنين قال: ما أكفره أي: ماذا فعل وأذنب حتى قتلوه: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: 21، 22] قال في الرجعة ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾} [عبس: 23] أي: لم يقض أمير المؤمنين ما قد أمره الله به، وسيرجع حتى يقضي ما أمره"..

## ويلاحظ على هذا القول الذي قاله القمي عدَّة أمور:

**أولها:** أن شيخهم القمي هذا أوَّل الإنسان في قوله سبحانه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ بعلي بن أبي طالب > مع أن الآية تدل بنصها وسياقها على أن المراد بالإنسان هنا الكافر، ولهذا

قال السلف في تفسيرها: "لعن الإنسان الكافر ما أكفره"، وقد ذكر ذلك الإمام الطبري -رحمه الله- فهل يا ترى وُضع مثل هذا التأويل للإساءة بأمير المؤمنين من طرف خفي، أو أنه أثر من آثار طائفة الكاملية من الشيعة التي تذهب إلى تكفير المؤمنين وبقية الصحابة }، والرافضة والاثنا عشرية تكون في هذه الحالة قد تلقَّفت منهم هذا التفسير، وغيَّرت فيه، أو أن مخترع هذا النص أعجمي جاهل بلغة القرآن، وإنما كتب ما أملاه عليه تعصّبه وزندقته.

على أيَّة حال فهذا التأويل يدل على مدى إفلاس أصحاب هذا الاعتقاد في العثور على ما يدل على مبدئهم، أما تأويله لقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ وهي نصٌّ صريح في البعث والنشور، وقد أوَّله بالرجعة، وهذا فضلًا عن أنه تحريف لمعاني القرآن الكريم؛ فإنه يصرف من يصدق بهذه الروايات عن الإيمان باليوم الآخر إلى هذه العقيدة المبتدعة، ولذلك يلاحظ أن طوائف من غلاة الشيعة أنكرت الإيمان باليوم الآخر وقالت بالتناسخ.

ويلاحظ أن الاثنا عشرية قد عمدت إلى كل نصٍّ في اليوم الآخر فجعلته في الرجعة، وقد مرَّ بنا أن هذا قد أصبح قاعدة عامة عندهم، وجعلهم الروايات والآيات الواردة في اليوم الآخر جعلهم إيَّاها في الرجعة؛ ظلمٌ كبير، كما أن قولهم بأن المقصود بالإنسان في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أمير المؤمنين> بهتانٌ كبير عليه، وإساءة بالغة في حقه؛ لأنها كما يظهر منها تُبيّن أن أمير المؤمنين > قد تخلَّى عن أوامر الله ﷻ وأنه سيرجع ليقضي ما أمر الله -تبارك وتعالى- به.

وهم بهذا يشبهونه > بالمشركين الكافرين الذين ابتعدوا عن شرع الله سبحانه، فإذا عاينوا العذاب تمنَّوا الرجعة، فكم أساء هؤلاء إلى أهل البيت وهم يزعمون أنهم يحبون آل بيت النبي ﷺ.

ومن الآيات التي جعلوها في الرجعة ما جاء في قول الحق -تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185] حيث قالوا في تأويلها لم يذق الموت من قبل، ولا بد أن يرجع حتى يذوق الموت، وقصدوا بذلك أمير المؤمنين > وهذه الرواية وردت في بعض كتبهم أن أمير المؤمنين لم يذق الموت، وأنه لم يُقتل، ولا بد إذًا أن يرجع حتى يذوق الموت، وقد ذكر ذلك العياشي في تفسيره، وهذه الرواية تجعل الرجعة لجميع

الناس حتى يتحقق لكل أحد منهم موتٌ وقتل، كما يعتقدون؛ بينما هم قالوا بأن الرجعة خاصة بمن محَّض الإيمان ومحَّض الكفر -كما سلف- كما أن هذا التأويل الباطل يحمل جهلًا بلغة العرب التي نزل بها القرآن؛ حيث عدَّ القتل ونحوه ليس من قبيل الموت التي تنص عليه الآية، وهذا مبلغ علمهم.

ويتعلق الشيعة بآيات كثيرة يئوّلونها بمثل هذا التأويل الباطني الباطل، وقد تسابق شيوخهم كعادتهم في الإكثار من هذه التأويلات، والتي أسندوها للآل حتى تكتسب الرواج عند الأتباع؛ فقد بلغ مثلًا عدد الآيات التي أولوها بالرجعة حسب ما جمعه شيخهم الحرّ العامري، بلغ عدد الآيات اثنان وسبعون آية، وصل فيها التأويل الباطني المتعسّف الغاية القصوى، مع أن العامري لم يذكر كل ما عندهم، وقد اعتذر عن ذلك في نهاية استدلاله بالآيات التي ذكرها بعدم حضور الكتب عنده، وكأنه يودُّ أن يقول: بأن الآيات في القول بالرجعة كثيرة، وهذا ضرب من الخيال وزعم باطل.

كما يستدل الشيعة ببعض ما أخبر الله -تبارك وتعالى- به من معجزات الأنبياء، كإحياء الموتى لعيسى عليه السلام أو بما أخبر الله به سبحانه في كتابه من إحياء الموتى، يستدلون بهذه المعجزات التي فيها إحياء بعض الناس في الدار الدنيا، وهذه معجزات تكون خاصة بأنبياء الله -تبارك وتعالى- ورسله، ومن ذلك ما جاء في قول الحق -تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ [البقرة: 243]، وكأنهم بهذا النهج يستدلُّون على قدرة الله سبحانه التي ليست هي موضع الخلاف بالقول بالرجعة، ولا شكَّ أنه لا ينكر أحد ما وقع مما ورد به الخبر الثابت القطعي المتواتر، ولكن الذي يُنكر هو دعوى الرجعة إلى الدنيا بعد الموت للحساب والجزاء قبل يوم الحساب والجزاء، هذا هو المنكر الأعظم الذي ليس عليه دليل، والذي أُريدَ به إضعاف جانب اليوم الآخر في النفوس، وإلا فمعجزات الأنبياء وآيات الله في خلقه ليست محلّ خلاف،وهذه المعجزات كانت وقتية وفي عصرها، وانتهت بمن أجراها الله -تبارك وتعالى- على أيديهم، وليس فيها شيء من الباطل.

ويأخذ الشذوذ في الاستدلال على صحة الرجعة مداه الأكبر حينما يقرّرون أن أوضح دليل على صحة الرجعة، وأظهر برهان على ثبوتها هو أنه لا قائل بها من غير الشيعة الإمامية، هذا من أوضح الأدلة على أن هؤلاء قد كذبوا في ذلك، والشيعة الإمامية هم الذين قالوا فقط بهذه الرجعة. والزيدية قد يقول بعضهم بهذا، خاصة من مال منهم إلى الرفض، ولكن

الشيعة الزيدية في حقيقة الأمر قد نقلوا روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت تُبيّن براءتهم من عقيدة الرجعة، وتُعارض روايات الإمامية في ذلك، ولذلك فإن الزيدية الحقَّة يُنكرون هذه الدعوى إنكارًا شديدًا، ولا يتفقون مع الإمامية الذين ذهبوا وأجمعوا على القول برجعة الأموات بعد ذلك في الحياة الدنيا، وما ذهبوا إلى هذا القول إلا لكي تشفى قلوبهم من الغلّ الذي فيها بقولهم بأنهم سينتقمون من الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

## ب. نقد مقالة الرجعة وبيان بطلانها:

أقول في هذه المسألة: فكرة القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت فكرةٌ مخالفةٌ بنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله –تبارك وتعالى– قال الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99، 100]، فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقًا.

وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ [إبراهيم: 44]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 12]، ولا يُستجاب لهم في ذلك، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 27، 28]، فهؤلاء جميعًا كما جاء في الآيات يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار؛ فلا يُجابون لما سبق في قضاء الله ﷻ أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عَدَّ أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشدِّ مراحل الغلو في بدعة التشيع.

قال ابن حجر: "التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه، ويطلق عليه رافضي، وإلا فشيعي، فإذا انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو"، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن

بن علي: "إن الشيعة يزعمون أن عليًّا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه"، والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين يُنافي طبيعة هذه الدنيا، وأنها ليست دار جزاء قال تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: 185].

كما أن القول بالرجعة يضعف جانب الإيمان بيوم البعث والجزاء، ويبدو أن هذا من أهداف واضعي هذا المبدأ، وقد تمثل هذا عمليًّا في تأويلات الاثنا عشرية لآيات اليوم الآخر بالرجعة، وفي تأثير هذه التأويلات وهذا المذهب على بعض الفرق المنتسبة للتشيع وإنكارها لليوم الآخر، واعتقادها بالتناسخ الذي ربما تكون عقيدة الرجعة هي البوابة إليه، كما أن تأويلاتهم تدعو له.

ويرى بعض الباحثين أن عقيدة الرجعة تسرَّبت عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية، ودخلت التشيع بتأثير أتباع تلك الديانات، وقد استنتج شيخهم الصادقي –وهو من شيوخهم المعاصرين– أن مبدأ الرجعة عند قومه يرجع في أصله إلى ما ورد في كتب اليهود، واعتبر ذلك بشارة للشيعة.

وقد كان لابن سبأ اليهودي –كما تنقل ذلك كتب الشيعة والسنة على السواء– دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي رضي الله عنه كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلًا كحال الاثنا عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، لكن يبدو أن الذي تحمل كبر نشره وتعميم مفهومه وتأويل آيات القرآن فيه هو جابر الجعفي بعد ابن سبأ، حتى امتدحته روايات الشيعة بفقهه في أمر الرجعة؛ حيث جاء في تفسير القمي أن أبا جعفر قال: "رحم الله جابرًا بلغ فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾" " يعني: الرجعة، وعقيدة الرجعة عند الإمامية هي كما قال السويدي –رحمه الله: "خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله تعالى كلما توعَّد كافرًا أو ظالمًا، إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع للدنيا قبل يوم القيامة".

# (قول الرافضة في التقية)

## عناصر الدرس

العنصـــــر الأول : تعريف التقية عند الرافضة، وبيان مكانتها، وأسباب الغلو فيها

العنصر الثـــاني : استعمال الرافضة للتقية مع أهل السنة، وبيان متى يتركونها

تعريف التقية عند الرافضة، وبيان مكانتها، وأسباب الغلو

## أ. تعريف التقية وبيان مكانتها عند الرافضة:

يعرف المفيد التقية عندهم -يعني: عند الرافضة- بقوله: "التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يُعْقِب ضررًا في الدين أو الدنيا". فالمفيد يعرف التقية بأنها الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين، وهم أهل السنة، كما هو الغالب في إطلاق هذا اللفظ عندهم أي: هي إظهار مذهب أهل السنة الذي يرونه باطلًا، وكتمان مذهب الرافضة الذي يرونه هو الحق، ومن هنا يرى بعض أهل السنة أن أصحاب هذه العقيدة هم شرٌّ من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة.

والتقية في الإسلام غالبًا إنما هي مع الكفَّار قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ [آل عمران: 28] قال ابن جرير الطبري -رحمه الله: "التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم"، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام. قال معاذ بن جبل ومجاهد: "كانت التقية في أول الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منه تقاة"، ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين، ولا سيما مع أهل السنة، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرَّره شيخهم المفيد، وكما نلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة؛ لأنهم يرون أهل السنة أشدُّ كفرًا من اليهود والنصارى؛ لأن منكر إمامة الاثنا عشر أشد من منكر النبوة.

والتقية رخصة في حال الاضطرار، وليست -كما زعم هؤلاء القوم- إبطال ما لا يودُّ أن يظهره أمام أهل السنة، وهو بهذا يودّ أن يضحك على أهل السنة والجماعة بقوله الباطل معهم، التقية رخصة فقط في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها الله سبحانه من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]، فنهى الله ﷻ عن موالاة الكفار، وتوعَّد على ذلك أبلغ الوليد فقال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله،

ثم قال سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرِّهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته

وأجمع أهل العلم على أن التقية رُخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر -رحمه الله: "أجمعوا على أن من أُكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؛ أنه لا يُحكم عليه بالكفر، ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل".

قال ابن بطال: "وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل؛ أنه أعظم أجرًا عند الله"، ولكن التقية التي عند الشيعة خلاف ذلك، وأردت أن أذكر هذه الآيات وشيئًا من أهل العلم حولها لكي أقارن وأقابل بين ما قاله هؤلاء الرافضة في التقية، وما قاله أئمة أهل السنة والجماعة في الآيات، التي ورد فيها هذا اللفظ؛ فأهل السنة والجماعة يَرَون أن التقية رخصة -كما ذكرت- أما هي عند الشيعة فليست كذلك، فهي عندهم ليست رخصة؛ بل هي ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، قال ابن بابويه: "اعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها بمنزلة من ترك الصلاة".

قال الصادق: لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا، بل نسبوا كذبًا وزورًا إلى النبي ﷺ أنه قال: "تارك التقية كتارك الصلاة"، ثم زادوا في درجة التقية فجعلوها تسعة أعشار الدين، ثم لم يكفهم ذلك، فجعلوها هي الدين كله، ولا دين لمن لا تقيَّة له.

جاء في (أصول الكافي) وغيره أن جعفر بن محمد قال: "إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دينَ لمن لا تقيةَ له"، وعدُّوا ترك التقية ذنبًا لا يُغفر على حدِّ الشرك بالله؛ قالت أخبارهم: يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين"، وقالوا عن هذين الذنبين هما: ترك التقيّة، وتضييع حقوق الإخوان.

والتقية في دين الإسلام: دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجًا عامًّا في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، كما هي عند الرافضة، بل هي غالبًا حالة فردية مؤقتة مقرونة بالاضطرار، مرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه، ولكنها في المذهب الشيعي تُعدُّ طبيعة ذاتية في بنية المذهب، يقول أبو عبد الله: "إنكم على دين من كتمه أعزَّه الله، ومن أذاعه أذله الله"، وقال أيضًا: "أبى الله ﷻ لنا ولكم في دينه إلا التقيَّة".

والتقية عندهم حالة مستمرة وسلوك جماعي دائم قال ابن بابويه في كتابه (الاعتقادات) المسمى بدين الإمامية قال: "والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه؛ فقد خرج عن دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة"، وروت كتب الشيعة عن علي بن موسى الرضا # قال: "لا إيمان لمن لا تقيَّة له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية، فقيل له: يا ابن رسول الله ﷺ إلى متى؟ قال: إلى وقت اليوم المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس مِنا".

والتقية ملازمة للشيعي في كل ديار المسلمين، حتى إنهم يسمون دار الإسلام دار التقية، جاء في رواياتهم: "والتقية في دار التقية واجبة"، وهذا يبين مكانة التقية عند هؤلاء، ونظرة هؤلاء لبلاد وديار المسلمين، كما أنهم يسمّون بلاد المسلمين، ويُطلقون عليها دولة الباطل، قالوا: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقيّة".

ويسمونها أيضًا دولة الظالمين قالوا: "التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين، فمن تركها فقد خالف دين الإمامية وفارقه".

وأنا أُكثر من ذكر هذه النصوص لأبين نظرة هؤلاء لعموم المسلمين من أهل السنة والجماعة، وماذا يُطلقون على ديار أهل الإسلام، كما أن هؤلاء يُؤكِّدون على أن تكون عشرة الشيعة مع أهل السنة بالتقيَّة، ولذلك ترجم الحرُّ العاملي لهذا فقال: باب وجوب عشرة العامة –ويقصد بها أهل السنة– بالتقية، ونسبوا لأبي عبد الله أنه قال: "من صلى معهم في الصف الأول، فكأنما صلى مع رسول اللهﷺ في الصف الأول"، وقال: "من صلى خلف المنافقين بتقية كان كمن صلى خلف الأئمة"، وقال صاحب (كشف الغطاء): "التقية إذا وجبت، فمتى أتى بالعبادة على خلافها؛ بطلت"، وقد ورد فيها الحثُّ العظيم، وأنها من دين آل محمد، ومن لا تقية له لا إيمان له.

بل إن التقية عند هؤلاء تجري وإن لم يوجد ما يبررها، فأخبارهم تحثّ الشيعي على استعمال التقية مع من يأمن جانبه حتى تصبح له سجيّة وطبيعة؛ فيمكنه التعامل بها حينئذ مع من يحذره ويخافه، بدون تكلّف ولا تصنع، فقد روت كتبهم "عليكم بالتقية،

فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه؛ لتكون سجيته مع من يحـــذره"، ولأن التقية لا تعني بهذه الصورة سوى الكذب والنفاق، وهو مما تكرهه الفطرة السليمة، وتمجُّه النفوس السوية، ولا تقبله العقول، حاولت روايات الشيعة أن تُحبّبها للأتبـــاع، وتغريهم بالتزامها، فزعموا أنها عبادة لله؛ بل هي أحب العبادات إليه.

روى الكليني عن هشام الكندي قال: "سمعت أبا عبد الله يقول: والله ما عُبد الله بشيء أحبّ إليه من الخبء، فقلت: ما الخبء؟ قال: التقية".

وجاء في (الكافي) وغيره عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله > قـــال: "كـــان أبي # يقول: وأي شيء أقر لعينيَّ من التقية"، وفي رواية: "ما خلق الله شيئًا أقر لعين أبيك من التقية".

هذا هو معنى التقية عند الرافضة، وهذه هي معالم التقية ومكانتها عن الشـــيعة الاثنـــا عشرية الرافضة، وقد ذكر صاحب (الكافي) أخبارها في باب التقية، وباب الكتمـــان، وباب الإذاعة، وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم، فيها مائة وتسع روايات في بـــاب عقده بعنوان باب التقية والمدارة.

### ب. سبب غلو الرافضة في أمر التقية:

أما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود ويرجع إلى عدة أمور؛ منها:

**أولًا:** أن الشيعة تعدُّ إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مـــع أن عليًّا رضي الله عنه بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وزوّجهم، وتسرى مـــن جهادهم، ولما وُلِّي الخلافة سار على نهجهم، ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساســـه؛ فحـــاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية.

**ثانيًا:** أنهم قالوا بعصمة الأئمة، وأنهم لا يسهون، ولا يخطئون، ولا ينســـون، وهـــذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، حتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة؛ حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعتـــرف بـــذلك شيخهم الطوسي، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله، ومن هنا قالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم.

روى صاحب (الكافي) عن منصور بن حازم قال: "قلت لأبي عبد الله #: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري، فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان".

قال شارح (الكافي): "أي زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها" ولم يكن ذلك مستندًا إلى النسيان والجهل، بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم؛ إذ لو اتفقوا لعُرفوا بالتشيع، وصار ذلك سببًا لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام.

ولذلك رأى سليمان بن جرير الزيدي في مقالة التقية أنها مجرد تَستُّرٍ على الاختلاف والتناقض؛ إذ لما رأوا في أقوال الأئمة في المسألة واحدة عدَّة أجوبة مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوبة متّفقة؛ لما وقفوا على ذلك منهم قالت لهم أئمتهم: إنما أجبنا بهذه التقية، ولنا أن نجيب بما أجبنا، وكيف شئنا؛ لأن ذلك إلينا، ونحن نعلم بما يصلحكم، وبما فيه بقاؤنا وبقاؤكم، وكفّ عدوكم عنا وعنكم.

**ثالثًا:** تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة، ومحاولة التعميم على حقيقة مذهب أهل البيت؛ بحيث يُوهمون الأتباع أن ما ينقله واضعو مبدأ التقية عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين؛ لا يمثل مذهبهم، وإنما يفعلونه تقية، فيسهل عليهم بهذه الحيلة ردُّ أقوالهم، والدسّ عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق؛ فتجدهم مثلًا يردُّون كلام الإمام محمد الباقر، أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة، أمثال جابر الجعفي، بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيّه في كلامه.

وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي -وهو من أهل البيت- يروي عن علي رضي الله عنه كما تنقله كتب الاثنا عشرية نفسها، أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بشيخ الطائفة لا يأخذ بهذا الحديث، ولا يجده حُجة يحتجّ بها سوى دعوى التقيَّة، فهو يُورد الحديث في الاستبصار عن زيد بن علي عن جدِّه علي بن أبي طالب قال: ((جلستُ أتوضأ، فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء إلى أن قال: وغسلت قدمي. فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع لا تخلل في النار)).

فأنت ترى أن عليًّا كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله ﷺ أكَّد عليه بأن يُخلّل أصابعه، والشيعة تُخالف سنة رسول الله ﷺ وهدي علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات، ودراساتها؛ فلديهم هذه الحجة الجاهزة التقية؛ ولهذا قال الطوسي: "هذا خبر موافق للعامة -يعني: أهل السنة- وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا -عليهم السلام- القول بالمسح على الرجلين-ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به لا يُعمل به" وهذا في الحقيقة يجعل الإنسان يضحك على عقول هؤلاء الناس إن كانت لهم عقول، ثم ساق الطوسي رواية أخرى عن أبي عبد الله جعفر الصادق في النص على غسل الرجلين، وحملها على التقية.

وفي قسمة المواريث يقرّرون أن المرأة لا ترث من العقار، والدور، والأرضين شيئًا، وعندما أتى عندهم نص عن الأئمة يُخالف ذلك، وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: "سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته، أو أرضها من التربة شيئًا، أو يكون في ذلك بمنزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئًا؟ فقال: يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركتْ"، قال الطوسي: "نحمله على التقية -يعني: يحمل هذا القول الذي قال بأن المرأة ترث على التقية- لأن جميع من خالفنا يُخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه".

وفي النكاح جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة؛ ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه -عليهم السلام- قال: "حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحُمُر الأهلية، ونكاح المتعة"، قال شيخهم الحر العاملي: "أقول: حمله الشيخ وغيره على التقية -يعني: في الرواية- لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الأئمة".

**رابعًا:** أن مبدأ التقية وُضع لعزل الشيعة عن المسلمين، ولذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط؛ يقول إمامهم أبو عبد الله: "ما سمعتَ مني يُشبه قول الناس ففيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقيةَ فيه".

وهذا مبدأ خطير تطبيقه يُخرج بالشيعة من الإسلام رأسًا، وينظمهم في سلك الملاحدة والزنادقة؛ لأنهم جعلوا مخالفة المسلمين هي القاعدة، فتكون النتيجة أنهم يُوافقون

الكافرين، ويخالفون المسلمين، فانظر إلى أيِّ مدى لعب بهم زنادقة القرون البائدة، وكان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيُّها تقية وأيها حقيقة، ووضعوا لهم ميزانًا أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن ما يُخالف العامة -يعنون به أهل السنة- ففيه الرشاد، وقد اعترف صاحب الحدائق بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل، وأيضًا هو لم يعلم إذًا من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية، وقد قال: "فلم يُعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل؛ لامتزاج أخباره بأخبار التقية" كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام عندهم، وهو محمد بن يعقوب الكليني في جامعه (الكافي).

أما تطبيق التقية عندهم، فإنه خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة، وقد اعترف أيضًا صاحب الحدائق بأن الأئمة يُخالفون بين الأحكام، وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام؛ فتراهم يُجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين، والأمثلة في هذا الباب كثيرة:

روى الكليني عن موسى بن أشيم قال: "كنت عند أبي عبد الله، فسأله رجل عن آية من كتاب الله ﷻ فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول، قال: فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين، فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يُخطئ في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يُخطئ هذا الخطأ كله؛ فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي؛ فعلمت أن ذلك منه تقية. قال: ثم التفت إليَّ فقال: يا ابن أشيم إن الله فوَّض إلى نبيه فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: 7]، فما فوض إلى رسول الله ﷺ فقد فوضه إلينا".

فانظر كيف نسبوا إلى جعفر أنه يضل الناس بتأويل القرآن على غير تأويله، بل وإشاعة التأويلات المختلفة المتناقضة بين الأمة، ثم يزعمون أنه قد فُوِّض له أمر الدين يفعل فيه ما يشاء، فهذه والله ليست بتقية، بل هذا إلحاد في كتاب الله، وصدٌّ عن دينه، ثم هل هناك حاجة للتقية في تفسير القرآن، وفي القرون المفضلة، ومن عالم أهل البيت في عصره، كما أنهم يزعمون أن أئمتهم كانوا يُفتون بتحريم الحلال، وتحليل الحرام بموجب التقية بلا مبرر.

ففي (الكافي) عن أبان بن تغلب قال: "سمعت أبا عبد الله يقول: كان أبي # يُفتي في زمن بني أمية أن ما قتل البازي والصقر فهو حلال، وكان يتقيهم، وأنا لا أتقيهم، وهو حرام ما قتل"، وممّا يدل صراحة على أن التقية ليست إلا الكذب الصريح بلا مبرر؛ ما رواه شيخهم الكليني عن محمد بن مسلم قال: "دخلت على أبي عبد الله -جعفر الصادق- وعنده أبو حنيفة، فقلت له: جُعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي: يا ابن مسلم هاتها إن العالم بها جالس، وأَوْمَأ بيده إلى أبي حنيفة، فعرض الراوي الرؤيا على أبي حنيفة، فأجابه أبو حنيفة عليها كما يزعمون، فقال أبو عبد الله #: أصبت والله يا أبا حنيفة، قال الراوي: ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت له: جُعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب -يعنون بالناصب الإمام أبا حنيفة رحمه الله تبارك وتعالى، وهو إمام من أئمة أهل السنة-

قال له: يا ابن مسلم لا يسوؤك الله فما يُواطئ تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبَّر. قال فقلت له: جُعلت فداك، فقولك أصبتَ، وتحلف عليه وهو مخطئ. قال: نعم، حلفت عليه أنه أصاب الخطأ".

تبيَّنوا الكذب والتزوير على جعفر نفسه، ثم هل الذين يقولون هذا الكلام يحبون أهل البيت، إنهم يظهرونهم أمام الناس على أنهم قومٌ من كبار الكذابين؛ لأن استعمال التقية في هذا النص لا مسوغ له، لأن أبا حنيفة -رحمه الله- لم تكن له سلطة وقوة حتى يُخشى منه ويُتقى، وهل من ضرورة لمدحه والقسم على صواب إجابته، وهو ليس بمصيب عند جعفر الصادق كما يزعمون، إن هذا كذب وافتراء، ونحن نبرّئ جعفر الصادق من هذا الافتراء ونقول: إن هذا سب وطعن في جعفر -رحمه الله- وهو بريء من ذلك.

وكلما كان الرافضي أبرع في الكذب والخداع كلما كان أعظم مكانة عند الرافضة، ونال أعلى الشهادة عندهم، ولذلك أثنى محمد باقر الصدر على الحسين بن روح وقال: بأنه قام بمهمة البابية خير قيام؛ لأنه كان من مسلكه الالتزام بالتقيّة المضاعفة بنحو ملفتٍ للنظر بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنة.

وجاء في (الغيبة) للطوسي عن عبد الله بن غالب أنه قال: "ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يومًا في دار ابن يسار، وكان له محلّ عند السيد والمقتدر عظيم، وكانت العامة أيضًا تُعظمه، وعهدي به وقد تناظر اثنان؛ فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ثم عمر، ثم علي، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم > الذي اجتمعت الصحابة عليه: هو تقديم الصديق، ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين، ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا، فبقي من حضر المجلس متعجبًا من هذا القول، وكاد العامة الحضور يرفعونه على رءوسهم، وكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفع؛ فوقع علي الضحك، فلم أزل أتصبر، وأمنع نفسي، وأدسّ كمّي في فمي؛ فخشيت أن أفتضح، فوثبت عن المجلس، ونظر إليَّ ففطن بي، فلما حصنت في منزلي، فإذا الباب يطرق، فخرجت مبادرًا؛ فإذا بأبي القاسم الحسين بن روح راكبًا بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيّه إلى داره، فقال لي يا أبا عبد الله: أيدك الله، لم ضحكت، فأردت أن تهتف بي، كأن الذي قلته عندك ليس بحق؟! فقلت: كذلك هو عندي، فقال لي: اتّق الله أيها الشيخ، فإني لا أجعلك في حلٍّ تستعظم هذا القول مني، فقلت: يا سيدي رجلٌ يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول، يُتعجّب منه ويضحك من قوله هذا، فقال لي: -تأمَّل هذا القول- وحياتك لئن عدت لأهجرنك، وودَّعني وانصرف" هنا حلف بغير الله -تبارك وتعالى، والحلف بغير الله لا يجوز.

وهذه القصة رغم طولها تصوّر كيف يخادعون أهل السنة، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويتندَّرون فيما بينهم على تصديق بعض أهل السنة لنفاقهم وكذبهم. وعقلية شيعة هذا العصر لا تزال تُؤمن بهذا النفاق وجدواه، وقد جاءت عندهم أخبار كثيرة على هذا النهج.

### جـ. استدلال الرافضة على التقية ومناقشتهم:

يستدل الاثنا عشرية بآيتي "آل عمران" و"النحل" وغيرهما على التقية؛ آية "آل عمران": ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ أما آية "النحل": ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: 106]، وهاتان الآيتان يؤوّلهما الاثنا عشرية الرافضة بحسب المنهج الباطني عندهم، ويقولون بأنها تدل على التقية، وعلى عقيدتهم فيها، ولكن استدلالهم بالآيتين واقع في غير موقعه، كما تبيَّن أثناء توضيح معالم التقية عندهم،

ولذلك قرَّر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا، وقد تبينت لنا هذه الحقيقة من خلال النصوص الشيعية، وقد تقدم ذكر بعضها.

إن التقية عند هؤلاء هي الكذب والنفاق، وهم مع هذا يعتبرون ذلك من الدين، بل يعتبرونها هي الدين بأكمله، وحال هؤلاء إذًا من جنس حال المنافقين، لا من جنس حال المُكْرَه الذي أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- موضحًا الفرق بين تقيَّة النفاق والتقيَّة في الإسلام، وهو كلام نفيس للغاية: التقية ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي؛ فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه؛ فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه. إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يُوافقهم على دينهم كله؛ بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون؛ حيث لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه؛ بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يُبحه الله قط إلا لمن أُكره؛ بحيث أُبيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله -تبارك وتعالى- في ذلك، والمنافق والكذاب لا عذر له.

ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطرًا ويكتم إيمانه يعاملهم بمقتضى الإيمان، الذي يحمله بصدق، وأمانة، ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر، وكانوا كفارًا؛ بخلاف الرافضي الذي لا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بمن يُخالفه.

وفي الحقيقة إن الآيات التي استدلَّ بها هؤلاء على القول بالتقيَّة إنما جاء منهم كلام باطل، ووقع منهم على نمط التأويل الباطني في ذلك، وهم لا يجدون دليلًا بحالٍ من الأحوال على القول بالتقية، وأن التقية هي الكذب والنفاق، وليست من الدين في شيء، وكلام الإمام ابن تيمية -رحمه الله- وهو كلام نفيس للغاية يبين ذلك؛ فالإنسان عليه أن يقول الحق، وأن يعتقد الحق، فإن خشي على نفسه مثلًا ففي مثل هذه الحالة هو

يظهر الكلام الذي يحتاج إليه، ولكن القلب مطمئنٌّ بالإيمان ولـــيس مطمئنًـــا بـــالكفر والنفاق والزندقة، الذي قام كثير منه في قلوب هؤلاء الرافضة ضدَّ أصحاب النبي الكريم ﷺ.

## استعمال الرافضة للتقية مع أهل السنة، وبيان متى

فهؤلاء يعتبرون التقية مع أهل السنة -كما ذكرت- واجبة، ولـــذلك أود أن أضـــرب بعض الأمثلة التي وقعوا فيها وقالوا بالتقية من خلالها حتى يتبين لأهل السنة مراد هؤلاء بالتقية.

### أ. أولًا بعض الأمثلة لاستعمال التقية مع أهل السنة:

روى شيخهم الصدوق عن أبي عبد الله أنه قال: ما منكم أحد يُصلي صلاة فريضـــة في وقتها، ثم يصلي معه صلاة تقية وهو متوضئ إلا كتب الله له بها خمسًا وعشرين درجة، فارغبوا في ذلك.

كما أن الشيعة الاثنا عشرية يُطلقون على ديار أهل السنة دار التقية، ويَرَون وجـــوب التقية فيها. جاء في (بحار الأنوار) للمجلسي ما نصّه عن الرضا: "والتقية في دار التقيـــة واجبة"، وكذلك يُطلقون على ديار أهل السنة هي دولة الباطل، ودولة الظالمين، وغـــير ذلك.

كما تعتقد الشيعة الإمامية بوجوب مخالطة أهل السنة بعقيدة التقية؛ حيث أكَّد شيخهم الحر العاملي في كتابه (وسائل الشيعة) هذه العقيدة تحت باب بعنوان: وجوب عشـــرة العامة بالتقية، وجاء في كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي عن أبي عبد الله ما نصه: "مـــن صلى خلف المنافقين بتقية كان كمن صلى خلف الأئمة".

وكذلك من الدلائل المشاهدة والملموسة بين أهل السنة هو اختلاط الكثير من هـــؤلاء الروافض ببعض أهل السنة لفترات طويلة، تصل إلى عدة سنين بدون أن يظهـــر هـــذا الرافضي عقيدته الفاسدة، وكل هذا تحت عقيدة التقية التي يدينون بها.

إذًا هؤلاء يستعملون التقية مع أهل السنة، وأُحذر جميع إخواني المسلمين من هؤلاء، وألا يأخذوا ما يقولوا لهم قضية مسلَّمة؛ لأنهم يخادعونهم في ذلك، ويكذبون عليهم. ويجب على من يتعامل مع هؤلاء خاصة من أصحاب الإدارات القوية بلادهم، أو في غير بلادهم، وأعني بذلك القنصليات في سائر البلاد، عليهم أن يعلموا أن هؤلاء يعاملونهم بالتقية حتى يحذروهم، ولا يُصدقوا ما يظهرونه لهم؛ لأنهم يتمنَّون القضاء على الإسلام والمسلمين، وهم يكذبون على المسلمين حتى يخدعوهم، ويصدّوهم، ويردّوهم عن الحق الذي نزل من عند رب العالمين ﷻ جل في علاه.

## متى يترك الروافض التقية؟

التقية ملازمة لهؤلاء، وكثيرًا ما استعملوا التقية مع المسلمين وفي ديار المسلمين، والسؤال الذي يطرح نفسه هل يترك الروافض التقية في يوم من الأيام؟ أقول في الإجابة عن هذا السؤال: إن الشيعة ملتزمون بالتمسك بالتقية إلى أن يظهر المهدي الموهوم عندهم.

لقد رَوَوا عن علي بن موسى الرضا أنه قال: "من ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا"، وذلك لأن تركها يؤدِّي إلى قلة العدد الكافي من المخلصين، هكذا يزعمون، وقد رَوَوْا أيضًا عن جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى: { قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا } [الكهف: 98] قال: "رفع التقية عند الكشف، فينتقم من أعداء الله"، والمقصود بأعداء الله عند هؤلاء: أهل السنة؛ لأن الشيعة تتعامل معهم بالتقية، وعند الكشف -أي: عند قيام إمامهم الموهوم، كما ذكروا أيضًا عن جعفر الصادق أنه قال: "سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب إنَّ الناس إنما هم في هدنة، فلو قد كان ذلك كان هذا".

قال السيد علي أكبر الغفاري في حاشيته على (الكافي): "فلو قد كان ذلك" أي: ظهور القائد، وقوله كان هذا يعني: ترك التقية، وعن الحسن بن هارون قال: "كنت عند أبي عبد الله جالسًا، فسأله رجل: أيسير الإمام القائمُ بخلاف سيرة علي؟ قال: نعم". هكذا يزعم، وهو يريد بهذا أن يقول: بأن عليًّا كان يظهر التقية، فإذا قام القائم لا توجد

حاجة لهذه التقية؛ فالأئمة يخالفون عندئذٍ الإمام عليًّا كما يزعمون، وهذا من الباطـــل الذي ذهب إليه هؤلاء الناس.

# (موقف الرافضة من القرآن الكريم)

## عناصر الدرس

العنصر الأول : حُجيةُ القرآنِ عند الرافضة

العنصر الثاني : القول بتحريف القرآن الكريم عند الرافضة

## أ. اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيِّم:

لا شك أن هذه مسألة عجيبة، والباحث عندما يطالع كتب الشيعة سيرى هذه المسألة بيّنة واضحة، وسيعرف أنهم يقولون بأن القرآن الكريم ليس حجة إلا بقيم، وقد أكدوا هم ذلك وذكروا هذا في كتبهم المعتمدة عندهم في كثير من المواطن، ولا شك أنه كان لا يخطر ببال إنسان أن تذهب طائفةٌ من الطوائف التي تزعم لنفسها الإسلام إلى القول بأن القرآن ليس حجة؛ ذلك أن رب العالمين ﷻ قد أعلمنا في كتابه أن القرآن الكريم حجة الله على عباده وخلقه، وفي ذلك يقول سبحانه لمن طلب آية تدل على صدق الرسول ﷺ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: 51].

فالقرآن العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ولكن الشيعة تزعم خلاف ذلك، بل إن شيخهم ومن يسمونه عندهم بثقة الإسلام "الكليني" يروي في كتابه (أصول الكافي)، والذي هو عندهم بمثابة (صحيح البخاري) عند أهل السنة والجماعة؛ ما نصه: "إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم، وأن عليًّا كان قيمَ القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله ﷺ". هكذا يقول، ويحصر القيّم الذي يمكن أن يبين للناس القرآن الكريم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما توجد هذه المقالة أيضًا في طائفة أخرى من كتبهم المعتمدة عندهم كـ(رجال الكشي) و(علل الشرائع) و(المحاسن) و(وسائل الشيعة)، وغير ذلك من كتبهم.

وهنا نتساءل: ماذا تعني الرافضة بهذه العقيدة؟ أيعنون بذلك أن النص القرآني لا يمكن أن يُحتجّ به إلا بالرجوع لقول الإمام، وهذا يعني أن الحجة هي في قول الإمام لا في قول الرحمن، أم يعنون ويقصدون أن القرآن الكريم لا يؤخذ بنظامه إلا بقوة السلطان وهو القيم على تنفيذه؟ ولكن ورد عندهم في تتمة النص ما ينفي هذا الاحتمال وهو قولهم: "فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به، حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم".

ومعنى هذا: أن قول الإمام هو أفصح من كلام الرحمن جل في علاه، ويظهر من هـــذا أيضًا أنهم يرون أن الحجة في قول الإمام لأنه الأقدر على البيان من القرآن، ولهذا سمَّوه بالقرآن الصامت وسمّوا الإمام بالقرآن الناطق، ويروون عن علي أنه قال: "هذا كتـــاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق"، وقال أيضًا فيما نســـبوه إليـــه: "ذلـــك القـــرآن فاستنطقوه، فلن ينطق لكم أخبركم عنه".

ويقولون في رواياتهم: وعليٌّ تفسير كتاب الله، ومرة أخرى يدّعون بأن الأئمة هم القرآن نفسه، وحينًا آخر يزعمون بأن القرآن لم يفسّر إلا لرجل واحد وهو علي، وما نـــدري كيف يكون عليّ قيم القرآن وهو القرآن نفسه كما يزعمون، وإذا كان القرآن أو القيم هو عليٌّ > فلماذا يفسر له القرآن إذًا؟ وكيف يفسر له وهو تفسيره؟ إنها أقوال يضـــرب بعضها بعضًا، وهي برهانٌ أكيد على أنها من وضع زنديق أراد إفساد ديـــن المســـلمين، وكيف يقال مثل ذلك في كتاب أنزله الله ﷻ؛ ليكون هداية للناس أجمعـــين. قـــال رب العالمين في كتابه عن هذا القرآن المحكم الهادي إلى صراط مستقيم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9].

قال الخليفة الراشد علي >: "كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم مـــا بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، مَن قال به صدَقَ ومَن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دَعَا إليه هُدِيَ إلى صـــراطٍ مستقيم".

وقد روى هذا الأثر ابن كثير –رحمه الله– ثم علّق عليه بقوله: "وقد وهم بعضهم في رفعه". وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي > وقد أخرجـــه الترمـــذي مرفوعًا في ثواب القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن، وكذلك الدارمي في ســـننه في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل القرآن، كما رواه الإمام أحمد في مسنده، والحديث مرفوعًا في سنده مقال، وقد قال الترمذي بعد روايته: "هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث –وهو أحد رجال السند– مقال، وبالتالي فإننـــا نرجح أنه موقوف على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

وقال ابن عباس >: "ضمن الله لمن قرأ القرآن الكريم وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة" ثم قرأ هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123]. ومسألة أن كتاب الله هو الحجة والإمام لا تحتاج إلى بَسط الأدلة والتوسع في إقامة البراهين على أنها باطلة، ولقد آثرتُ فيما ذكرته من أدلة ذهبوا إليها- أن أرد عليهم بما أشرت إليه من بعض آيات القرآن الكريم، التي جاء فيها أن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم، وأن من اتبع القرآن الكريم لا يمكن أن يضل ولا أن يشقى، إلى جانب أيضًا ما ذكره الأصحاب رضي الله عنهم في ذلك.

ومع كل هذا، فسأنقل أيضًا هنا عن بعض أهل البيت في مصادر أهل السنة ما ذكروه أيضًا في القرآن الكريم، وهو أن القرآن الكريم هو الحجة، وكلامهم في أن القرآن الكريم لا يكون حجة إلا بقيم كلام باطل، يضاد ويناقض القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما ذكره السلف الصالح، بل ما ذُكر في بعض كتبهم من أقوالٍ مسندة إلى بعض أئمتهم؛ لأنه من المعلوم أن أئمة الشيعة من آل بيت النبي ﷺ لا يذهبون إلى ما ذهب إليه هؤلاء الروافض، بل إنهم من أهل السنة، ولذلك سأنقل لك بعض أقوالهم في القرآن الكريم، وذلك من مصادرهم المعتمدة عندهم.

فقد ذكروا عن الرضا، أنه قال يومًا في القرآن الكريم كلامًا جميلًا، وعظم الحجة فيه، ومما قال: "هو حبل الله المتين وعروته الوثقى، جعل دليل البرهان وحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد". وقد نسب هذا القول إلى الرضا المجلسي في (البحار)، وكذلك ابن بابويه في (عيون أخبار الرضا).

وفي نص آخر لهم قال: "فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل". هكذا بإطلاق على أن القرآن الكريم هو المخرج عند الفتن، وأنه كما صحت الأخبار: يشفع لمن قرأه وعمل بما فيه، وسهر لقراءته في الدنيا، يشفع له في يوم الدين، وأنه يقود من اتبعه إلى رضوان النعيم وإلى جنة عرضها السموات والأرض.

وفي (نهج البلاغة) وهو كتاب منسوب إلى علي رضي الله عنه والنقاد من المحدّثين قديمًا وحديثًا يشككون في صحة نسبة هذا الكتاب للإمام علي، وممن ذكر ذلك الإمام

الحافظ الذهبي -رحمه الله- حيث قال في (ميزان الاعتدال): "ومن طالع (نهج البلاغة) جزَمَ بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ".

المهم أنهم في هذا الكتاب -أعني: (نهج البلاغة)- نسبوا إلى الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: "فالقرآن آمر زاجر وصادق ناطق، حجة الله على خلقه".

ولهذه النصوص التي سُقتها من كتبهم وقد نسبوها إلى أئمتهم، هذه النصوص لها شواهد أخرى، وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم، فرواياتهم كما تشاهد وتسمع يعارض بعضها بعضًا، وهم في تناقض دائم لأنهم قد وضعوا لهم منهجًا خطيرًا وهو الأخذ بما خالف العامة، وهم عندهم أهل السنة والجماعة، ولذلك يأخذون بالجانب الشاذ عن الجماعة، وإن جاء نص يخالفه، وإن استيقظ شيخ من شيوخهم واستمع إلى نداء الحق وأعلن مخالفته لضلالهم، قالوا في ذلك كله: بأن هذا تقية.

ولا شك أن المتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد، أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله ويضلهم عن هدي الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثنا عشر؛ لأن القرآن الكريم فُسّر لرجل واحد كما يزعمون وهو علي، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثنا عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، والإمام الثاني عشر غائب مفقود عند الاثنا عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرنًا من الزمان، وأيضًا بعض طوائف الشيعة تذهب إلى أنه معدوم ولا وجود له، وهذا هو الحق والصواب.

ولكني أقول: ما دامت هذه المقالة -أعني: أن القرآن الكريم لا يكون حجة إلا بقيم- التي ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم، فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقفٌ لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، وهذه نتيجة حتمية لهذا المعتقد، لا يرجع إلى كتاب الله ولا يعرّج عليه في مقام الاستدلال؛ لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، ولذلك فإن طائفة إخبارية من الاثنا عشرية أنكروا، كما يعترف شيوخ الاثنا عشرية- أنكروا الأدلة الثلاثة، وهي: الإجماع

والعقل والقرآن الكريم، وخصوا الدليل بالواحد منها، أعني الأخبار التي تأتي من عند الأئمة، ولذلك سُموا بالإخبارية لهذا السبب.

وحسبك بهذا ضلالًا وانحرافًا عند هؤلاء الناس، وأيضًا إضلال عن صراط الله المستقيم، وتلك ليست هي نهاية التآمر على كتاب الله ﷻ وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، طوّحت بالشيعة بعيدًا عن جماعة المسلمين، وهي مقدمة أو إرهاص لبدء المحاولة في تفسير كتاب الله ﷻ على غير وجهه، وزعمهم أن هذا هو ما جاء عن القيم والإمام من أهل البيت، والحجة فيه لا في غيره، وهو الناطق عن القرآن والمبيّن له ولا حجة في القرآن إلا به.

### ب. اعتقاد الرافضة أن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن الكريم:

إنه قد عُلم من دين الإسلام بالضرورة أن القرآن الكريم لم يكن سرًّا تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي رضي الله عنه اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ، وأن الصحابة جميعًا رضي الله عنهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد بن عبد الله ﷺ ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله ﷻ قد اختص أئمتهم الاثنا عشر بعلم القرآن الكريم كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضلّ، يعني أنهم يحجرون فَهم القرآن الكريم ومعرفة القرآن الكريم، والاستفادة بناء على ذلك من القرآن الكريم، إلا إذا كان ذلك من طريق أئمتهم فحسب، ومعنى هذا: أنهم يذهبون في الصحابة مذهبًا بعيدًا، ويقررون بذلك أنهم لم يقفوا على فهم القرآن الكريم، ولم يعرفوا ما يدل عليه القرآن الكريم.

وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ، فهو القائل بأن القرآن الكريم جزء من تسعة أجزاء وعِلْمه عند علي، وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الاثنا عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات، فقد جاء في (أصول الكافي) في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: "إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسّرًا، وإن رسول الله ﷺ فسّره لرجل واحد وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب".

كما جاء في طائفة أخرى من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله أنزل عليّ القرآن، وهو الذي من خالفه ضلّ، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك". وهذا الكلام مأخوذ من كتبهم، فالنص الأول في (أصول الكافي)، والنص الأخير الذي ذكرته الآن في (وسائل الشيعة)، وفي (بحار الأنوار) وفي (أمالي الصدوق) وغير ذلك من كتبهم، كما زعمت الشيعة أن أبا جعفر قال: "يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر >: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم، إلى أن قال له: ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن مَن خوطب به" وهذا النص موجود في كتاب (الكافي) للكليني.

وفي تفسير فرات: "إنما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا". ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جدًّا، ولو ذهبت أنقل ما بين يدي منها لاستغرق كلامًا كثيرًا وصفحات متعددة، ففي كتاب (الكافي) وحده مجموعة من الأبواب كل باب يتضمن طائفة من أخبارهم في هذا الموضوع، وذلك مثل: باب أن الأئمة } ولاة أمر الله وخزنة علمه- باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة- باب أن من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الأئمة- باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة- باب أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم. هذه كلها أبواب ذكرها الكليني في كتابه (الكافي).

أما صاحب (البحار) فقد ضرب بسهم وافر كعادته في هذا المضمار، ومن أبوابه في ذلك: باب أنهم أهل علم القرآن، وذكر في هذا الباب أربعة وخمسين رواية تفيد أن أئمة الشيعة وهم الاثنا عشر، هؤلاء فقط هم الذين يعرفون ويعلمون القرآن، كما عقد بابًا آخر عَنون له بقوله: إن الأئمة خُزّان الله على علمه، وذكر فيه أربعة عشر رواية، كما ذكر أيضًا طائفة من روايات هذا الموضوع ضمن أبواب متعددة؛ منها باب أنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض- وباب أنهم لا يحجب عنهم شيء، وفي (وسائل الشيعة) للحر العاملي: باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن الكريم إلا بعد معرفة تفسيرها من كلام الأئمة رضي الله عنهم وقد ذكر في هذا ثمانين حديثًا من أحاديثهم.

وفي (الفصول المهمة في أصول الأئمة) للحر العاملي أيضًا عقد بابًا قال فيه: باب أنه لا يعرف تفسير القرآن إلا الأئمة، وفي (تفسير الصافي) يخصص الصافي -وهو من تفاسير الشيعة الرافضة- يخصص إحدى مقدمات تفسيره لهذه القضية وهي المقدمة الثانية، يذكر ويقول ويؤكد بأنه سيشير إلى نُبذ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت } هكذا يزعم، أما صاحب (مقدمة البرهان) فيقول: الفصل الخامس: في بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن -بل القرآن كله- عند أهل البيت -عليهم السلام، ويذكر في هذا الفصل طائفة من أخبارهم في هذه المسألة، ثم يقول: أقول: والأخبار في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

ولو ذهبنا نستقصي الكتب الشيعية التي تعرضت لهذه المسألة لطال بنا المقام؛ لأن هذا من أصولهم. قال أحد آياتهم وهو حسين البروجردي من شيوخهم المعاصرين قال: "اعلم أن علم القرآن مخزونٌ عند أهل البيت وهو مما قضت به ضرورة المذهب".

ومن العجب أنهم بدعواهم أن علم القرآن الكريم عند الأئمة نسبوا إلى الأئمة علم كل شيء، فيقول أبو عبد الله كما يزعمون: "إني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرضين، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، ثم مكث يسيرًا فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال: علمت ذلك من كتاب الله أن الله يقول: فيه تبيانُ كل شيء".

ولعلك تلاحظ أن هذا النص الذي يزعم صاحبه -ونبرئ منه جعفرًا >؛ لأن جعفر إمامته ودينه ينفيان ذلك عنه، ولكنهم افتروا عليه بذكر ذلك، وجعفر > لا يقول بهذا، وهو يعلم أن هناك أمورًا لا يعلمها > لأن علم الغيب لله ﷻ وليس هناك بشر يحيط بما كان وبما سيكون، بل علم البشر محدود، والله ﷻ قد بيَّن ذلك في القرآن الكريم للنبي ﷺ وأخبره أن فوق كل ذي علم عليم، وأمره ربه أن يستزيد من العلم، وأن يطلب ذلك من ربه: {ثٰ ثٰ ثٰ ثٰ} [طه: 114].

إذًا النبي ﷺ ليس عنده علم كل شيء، فكيف يزعمون للأئمة ذلك؟! والقرآن الكريم أخبر الله ﷻ فيه أنه تبيان لكل شيء، وليس التبيان عند هؤلاء الأئمة. هذه في الحقيقة مسألة مهمة، لأننا سنبتعد بذلك عن القرآن الكريم وعن فهم القرآن الكريم، وعن معرفة القرآن الكريم والإحاطة ببيان وتعاليم القرآن الكريم، وبالتالي لن نقوم بالقرآن

الكريم لأن الإمام ليس موجودًا، وعلى كل فما فائدة وجوده وهو غائب؟! ومن يفسر لنا القرآن إذًا وهو غائب؟!

ثم بعد ذلك نقول لعموم المسلمين: هذه كتب التفسير المأثورة عن أئمتنا الأعلام } هذه الكتب التي احتوت على التفسير بالمأثور والمنقول عن النبي ﷺ وعن صحابته وعن التابعين } هذه التفاسير التي جمعت بين الرواية والدراية هل كلها لا نستفيد منها ونرميها ولا علاقة لها بالقرآن الكريم، ولا نأخذ منها بيان معاني القرآن الكريم، وقد قام هؤلاء الأئمة بتفسير الآيات الواردة في القرآن الكريم تفسيرًا صحيحًا، راعوا في ذلك أصول مناهج المفسرين، ومن ذلك أنهم فسروا القرآن بالقرآن الكريم، ثم بأقوال النبي الكريم ﷺ ثم بأقوال الصحابة والتابعين، إلى غير ذلك مما هو معلوم في هذه العلوم الشرعية الشريفة، وبالتالي نقول للرافضة: لقد أخطأتم أيما خطأ في هذا المعتقد الباطل، وأيضًا دعوتم الناس إلى عدم العمل بكتاب رب العالمين ﷻ.

## القول بتحريف القرآن الكريم عند

الرافضة يعتقدون تحريف القرآن الكريم، ولذلك ما سبق قوله بأن القرآن ليس بحجة، وأن الحجة في أئمتهم فحسب، هذا كلام صحيح ثابت عنهم، ولكنهم أيضًا يذهبون إلى أن القرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين اليوم، والذي أجمع عليه أهلُ الإيمان، والذي جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه هذا القرآن يزعمون أنه محرف، وليس هو القرآن الذي نزل على النبي ﷺ.

### أ. بداية هذا الافتراء:

يقول الإمام أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: "لم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون شرف القرآن وعلو منزلته، حتى نبغ في زماننا هذا زائغ عن الملة هجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة، فزعمَ أن المصحف الذي جمعه عثمان > باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل لا يشتمل على جميع القرآن، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف".

ثم ذكر ابن الأنباري أن هذا الزنديق أخذ يقرأ آيات من القرآن الكريم على غير وجهها زندقةً وإلحادًا فكان يقرأ: "ولقد نصركم الله ببدر بسيف علي وأنتم أذلة"، هذا النص قاله ابن الأنباري، وقد وُلد سنة واحد وسبعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، وهو يشير إلى أن هذا الافتراء بدأ في زمنه، أي: في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، ويدل النص المذكور أيضًا على أن مصدر هذا الافتراء من طائفة الشيعة، كما تفيده تلك الزيادة المفتراة: "بسيف علي"، كما يدل على أنه لم يكن للأمة المسلمة في ماضيها كله عهد بهذه المفتريات، حتى ظهر هذا الزائغ عن الملة، وكأن ابن الأنباري -رحمه الله- بهذا يشير إلى شخصٍ بعينه إلا أنه لم يذكره باسمه، ولكن بدت هويته المذهبية من خلال افتراءاته.

بينما نجد المالطي -رحمه الله تبارك وتعالى، وقد توفي في عام سبع وسبعين وثلاثمائة- يشير إلى أن هذا الشخص صاحب هذه الفرية هو هشام بنُ الحكم؛ لأن هشام بن الحكم زعم أن القرآن الذي في أيدي الناس، ووضعه عثمان رضي الله عنه وجمعه أنه ليس هو القرآن الصحيح الذي نزل من عند الله، وقد زعم هشام بن الحكم أن القرآن صُعد به إلى السماء لردة الصحابة بزعمه، ولكن هشام بن الحكم تُوفي سنة تسعين ومائة، وهذا يعني أن هذا الافتراء أقدم مما يذكره ابن الأنباري، وإذا لاحظنا أن هذه الفرية مرتبطة أشد الارتباط بمسألة الإمامة والأئمة عند الشيعة، وذلك حينما بدأ شيوخ الشيعة في الاستدلال عليها، فلم يجدوا في كتاب الله ما يثبت مزاعمهم في ذلك، فأدى بهم هذا إلى القول بهذه الفرية وغيرها.

ونحن إذا أدركنا ذلك فإنه لا يبعد أن يكون ما يقوله المالطي في أن هشامًا هو الذي تولى كبر هذا الافتراء، لا يبعد هذا أن يكون واقعًا، لا سيما أن هشامًا كان في أول الأمر ممن تكلم في الإمامة، حتى قال ابن النديم: "إن هشام بن الحكم ممن فتق الكلام في الإمامة، وله من الكتب (كتاب الإمامة)".

أخلص من ذلك إلى أن القول بتحريف القرآن عند الرافضة بدأ أيضًا مبكرًا. وأن هذا ثابت عنهم.

### ب. شيوع هذه المقالة عندهم:

هذه المقالة -وأعني بها تحريف القرآن الكريم- شاعت وفشت في الشيعة الاثنا عشرية، وهؤلاء يلقبهم الإمام الأشعري كما يلقبهم غيره بالرافضة، وقد بينت ذلك فيما مضى، فهؤلاء الروافض زعموا أن القرآن الكريم قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غُير منه شيء عما كان عليه، فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه، والإمام يحيط به علمًا.

هذا الكلام ذكره الإمام الأشعري -رحمه الله- في كتابه (مقالات الإسلامين) والصواب: أن الأشعري -رحمه الله- توفي في عام أربع وعشرين وثلاثمائة. إذًا؛ أصبح هذا القول شائعًا عند الروافض في أوائل المائة الرابعة، وأيضًا بعض فرق الشيعة الأخرى وصفهم الإمام الأشعري -رحمه الله- بأنهم اعتزلوا القول والإمامة في القرآن الكريم، فقال عن بعض هؤلاء الشيعة: "إن القرآن ما نُقص منه ولا زيد فيه، وإنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ لم يُغير ولم يُبدل، ولا زال على ما كان عليه".

وأنا أذكر هذا من باب الأمانة، وإن كان معظم الرافضة ذهبوا إلى أن القرآن الكريم قد حُرّف وشاعت هذه المقالة عندهم، كما يشير البغدادي -رحمه الله- والبغدادي توفي في عام تسع وعشرين وأربعمائة، يشير إلى أن من الرافضة -وهذا كلام في الحقيقة غريب- مَن زعم أن الصحابة غيّروا بعض القرآن الكريم وحرّفوا بعضه، واعتبر البغدادي -رحمه الله- ذلك من موجبات الحكم بكفرهم وخروجهم عن الإسلام، ويبدو أن هذا المنكر -أعني القول بتحريف القرآن الكريم- زاد انتشاره بين هؤلاء القوم، حتى إننا نجد ابن حزم -وابن حزم رحمه الله توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة- يَنسب هذه المقالة إلى طائفة الإمامية كلها، ولم يستثنِ من أعلام الإمامية إلا ثلاثة نجوا من الوقوع في هذه الهاوية.

### جـ. التعريف بكتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب):

وأنا أتحدث عن تحريف القرآن الكريم لا بد أن أعرج على هذا الكتاب المهم عند الشيعة الرافضة، والخطير في نفس الوقت؛ لأنه اشتمل بكلام صريح وواضح وإثبات لتحريف القرآن الكريم، يعني: أن مؤلف هذا الكتاب أثبت أن القرآن محرّف، ولعلنا نلاحظ ذلك

في عنوانه لكتابه الذي عنون له بقوله: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

وهذا الكتاب ألفه الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، وقد ألفه في عام اثنين وتسعين ومائتين بعد الألف، وقد جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور، بأن القرآن الكريم قد زِيد فيه ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة تسع وثمانين ومائتين بعد الألف، وعند طبعه قامت حوله ضجة؛ ذلك لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن الكريم محصورًا بين خاصتهم فحسب، ومتفرقًا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وألا يُجمع ذلك كله في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ، ويطّلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع.

ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه – الميرزا حسين الطبرسي– وألف كتابًا آخر سماه: (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافئوه على هذا المجهود الضخم الذي قام به في إثبات أن القرآن الكريم محرّف، بأن دفنوه في مكان شريف عندهم كما يزعمون في النجف.

ومما استشهد به هذا العالم –وهو ليس بعالم في الحقيقة، ولكن حسب ما يزعمون– على وقوع النقص من القرآن الكريم بما ذكره من أن هناك سورة تسميها الشيعة بسورة الولاية، وقد ذكر فيها ولاية الإمام علي رضي الله عنه وقد زعموا أن هذه السورة ساقطة من القرآن الكريم، وفيها: "يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالنبي والولي الذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم". ويعنون بالولي علي رضي الله عنه.

وقد اطّلع الثقة المأمون الأستاذ محمد علي سعودي، الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق برين، فنقل منه هذه السورة المنشورة عندهم والمكتوبة عندهم، والثابتة في كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

وكما استشهد الميرزا نور الطبرسي بسورة الولاية أيضًا على أن القرآن الكريم محرف- استشهد كذلك بما ورد في كتاب (الكافي) وهو مطبوع في إيران، فاستشهد بما وراه الكليني، ونص الكليني: روى عدة من أصحابنا -هكذا يقول- عن سهل بن زياد، عن محمد بن سليمان، عن بعض أصحابه عن أبي الحسن # أي: أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا، المتوفى سنة ستّ ومائتين- قال: وقلت له: جُعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرءوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم".

ولا شك أن هذا الكلام قد اختلقته الشيعة على إمامها علي بن موسى الرضا، ولكن معناه عندهم الفتوى بأنه لا يأثم من قرأ القرآن كما يتعلمه الناس في المصحف العثماني، والمقارنة بين هذا القرآن المزعوم الذي يُسِر به بعضهم إلى بعض، ولا يجهرون به عملًا بعقيدة التقية، وبين ذاك القرآن المعلوم والشائع المرسوم في المصحف العثماني، هي التي ألف حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) للقيام بها، ومهما تظاهر الشيعة بالبراءة من كتاب النوري الطبرسي عملًا بعقيدة التقية، فإن الكتاب ينطوي على مئات النصوص عن علمائهم في كتبهم المعتبرة، يثبت بها أنهم جازمون بالتحريف ومؤمنون به، ولكن لا يحبون أن تثور الضجة حول عقيدتهم هذه في القرآن.

ويبقى بعد ذلك أن هناك قرآنين أحدهما عام معلوم والآخر خاص مكتوم، ومن هذا القرآن الخاص المكتوم سورة الولاية، وهم بذلك يعملون بالكلمة التي افتروها على إمامهم علي بن موسى الرضا: اقرءوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم، ومما تزعم الشيعة أنه أسقط من القرآن الكريم آية: "وجعلنا عليًّا صهرك"، زعموا أنها أسقطت من سورة ألم نشرح، وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة "ألم نشرح" مكية، وإنما كان صهره الوحيد بمكة العاص بن الربيع الأموي، الذي أثنى عليه ﷺ على منبر مسجده النبوي، لما أراد علي رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فشكت ذلك فاطمة إلى أبيها ﷺ. وإذا كان علي صهرًا للنبي ﷺ على إحدى بناته، فقد جعل الله عثمان بن عفان صهرًا له على ابنتيه الاثنتين، وقال له النبي ﷺ لما توفيت الثانية: ((لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها)).

كما يزعم عالمهم أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، أحد مشايخ ابن شهرآشوب، وقد توفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة في كتابه (الاحتجاج على أهل اللجاج) أن عليًّا قال لأحد الزنادقة ولم يذكر اسمه: وأما ظهورك على تناكر قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: 3] وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء يتامى، فهو ما قدّمته ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن الكريم.

هكذا يزعم هذا الرجل: أن علي بن أبي طالب > ذكر ذلك، وهذا من كذبهم على علي >؛ بدليل أنه لم يعلن في مدة خلافته على المسلمين هذا الثلث الساقط من القرآن الكريم في هذا الموضع، ولم يأمر المسلمين بإثباته والاهتداء بهديه والعمل بأحكامه.

وعند ظهور كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وانتشاره في الأوساط الشيعية وغيرها في إيران، وهو مشحون بالعشرات والمئات من الأكاذيب على الله ﷻ وصفوة خلقه استبشر المبشرون من أعداء الإسلام بهذا الكتاب، وترجموه بلغاتهم وذلك؛ لأنه يضر بالقرآن الكريم ويضر بدين المسلمين بصورة عامة.

(الرافضة في العصر الحاضر وموافقتهم لأسلافهم)

عناصر الدرس

العنصر الأول : الشيعة المعاصرون وصلتهم بأسلافهم

العنصر الثاني : شيعةُ اليوم أخطرُ على الإسلام من شيعةِ الأمسِ

لكي أبين مدى ارتباط الشيعة المعاصرين اليوم بالأسلاف السابقين لا بد أن أتحدث عن ذلك في نقاط محددة:

## أ. الصلة في مصادر التلقي:

لأن الشيعة المعاصرين لهم صلة قوية بالسابقين في مصدر التلقي، وبالتالي فسيكون المنهج واحدًا؛ لأن وحدة مصادر التلقي هي العامل الأول والأخير في اتفاق الاعتقاد والوجهة عند أي طائفة من الطوائف، وهي التي تصل اللاحقين بالسابقين، والشيعة المعاصرون قد اعتمدوا في التلقي على أصولهم القديمة المجموعة في الكتب الأربعة الأولى؛ وهي: (الكافي) و(التهذيب) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه)، هذه أصول قديمة معتمدة عن الرافضة السابقين، والمعاصرون اليوم يعتمدون على هذه الكتب، وقد قرر ذلك طائفةٌ من شيوخهم كأغا بزرك الطهراني في كتابه (الذريعة) ومحسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) وغيرهما.

شيخهم وآيتهم في هذا العصر عبد الحسين الموسوي –ومما أود أن أشير إليه أنهم يسمون بهذه الأسماء، فيسمون بعبد حسن وبعبد الحسين وعبد علي، وفي الحقيقة التسمية بذلك لا تجوز؛ لأنه لا يجوز ولا يحل لإنسان أن يعبِّد نفسه لغير الله –تبارك وتعالى– فالعبد عبد والرب رب، فالإنسان ينسب نفسه إلى ربه، وعبودية العبد تكون لله وحده دون غيره، ولكن هؤلاء يقعون في الشرك سواء علموا بذلك أم لم يعلموا– ذكر عن هذه الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة السابقين، وهي (الكافي) و(التهذيب) و(الاستبصار) و(من لا يحضره الفقيه) قال عن هذه الكتب: هي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، و(الكافي) أقدمها وأحسنها وأتقنها. هكذا ذكر.

وهذا يدل على أنهم يتفقون تمامًا في مصدر التلقي، ولذلك أقول بعد هذا: هل يمكن أن يختلف المعاصرون عن الكليني وأمثاله من الغابرين، وهم يرجعون إلى معين واحد ومصدر واحد؟! بالطبيعي لن يختلفوا ولا سيما في الأصول الأساسية، لكن الأمر لم يقتصر على هذا الحد، بل عدّ شيوخهم المعاصرون ما جمعه متأخروهم في القرن الثاني

عشر والثالث عشر –والتي كان آخرها ما جمعه شيخهم النوري المتوفى سنة عشرين وثلاثمائة وألف، قال في (مستدرك الوسائل): وقد عَدّ من مصادر التلقي عندهم هذه الكتب الأربعة، وسجّل أيضًا أنهم يعتمدون على غير هذه الكتب.

فهم اعتمدوا على الأربعة السابقة، وعدوا أيضًا (مستدرك الوسائل) من الكتب المعتمدة عندهم.

وليس ذلك فحسب، بل إن المعاصرين أيضًا اعتمدوا عشرات المصادر التي وصلتهم منسوبة لسابقيهم، واعتبروها في المنزلة والاحتجاج كالكتب الأربعة الأولى، وقد نجد ذلك واضحًا في مقدمات تلك المصادر، وهذا منهم متابعة لشيخ الدولة الصفوية المجلسي، الذي عدها في بحاره بهذه المنزلة. وليس هذا فقط، بل إن بعض المصادر الإسماعيلية قد أصبحت عمدة عند المعاصرين من الاثنا عشرية، وذلك ككتاب (دعائم الإسلام) للقاضي النعمان بن محمد بن منصور المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وهو إسماعيلي، كما تؤكد ذلك بعض مصادر الاثنا عشرية نفسها، ومع ذلك فإن كبار شيوخهم المعاصرين يرجعون إليه.

ويشير بعض علماء الاثنا عشرية المعاصرون إلى وحدة الأصل في التلقي بين الإسماعيلية والاثنا عشرية، فيقول –والقائل في الحقيقة هو الخميني نفسه في (الحكومة الإسلامية): "وإذا لم يكن الفاطميون على المذهب الاثنا عشري، فإن هذا المذهب قد اشتد أزره ووجد منطلقًا في عهدهم، فقد عظم نفوذه ونشط دعاته؛ ذلك أن الاثنا عشرية والإسماعيلية وإن اختلفوا من جهات فإنهم يلتقون في هذه الشعائر، بخاصة في تدريس علوم آل البيت والتفقه بها وحمل الناس عليها" هكذا يقول.

وقد جاء في (دائرة المعارف) عن انفتاح الاثنا عشرية على الغلاة هذا القول، وهو على أن الحدود لم تُقفل تمامًا أمام الغلاة، يدل على ذلك التقدير الذي دام طويلًا للكتاب الأكبر للإسماعيلية، وهو كتاب (دعائم الإسلام)، ومن يطالع بعض الكتب الإسماعيلية يرى وفاقًا في جملة من الروايات بين الطائفتين –أعني: الإسماعيلية والرافضة الاثنا عشرية– وكلام المعاصرين في أنهم يرجعون في معتقداتهم إلى هؤلاء وهؤلاء، وهذا كله يعني أن هذه الطائفة في العصر الحاضر قد وَضعت نفسها في بحر مظلم عميق تتقلب به أمواجه حينما ارتضت أن تضع معظم ما وصلها من كتب السابقين مصادر معتمدة لها.

وقد قامت في هذا العصر حركة نشطة لبعث التراث الشيعي القديم وتعريف الناس بـه وترويجه بينهم، وهذا يدل على أن الذين يبعثون هذا التراث القـديم ويبحثـون عنـه وينشرونه أنهم موافقون غاية الموافقة للرافضة القدامى، وهذا التراث الذي ينشرونه اليوم مليء بالطعن في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومليء أيضًا باللعن والتكفير والتخليـد بالنار لرجال الصدر الأول للإسلام، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة وبعض أمهات المؤمنين ومن معهم من المهاجرين والأنصار، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن.

وحركة النشر هذه قام بها علماء من أشهر مجتهدي الشيعة في العصر الحاضر، وعلـى كثير من هذه الكتب تصحيحاتهم وتعليقاتهم وتقريظاتهم، ومع هذا لم نرَ اعتراضًـا ولا انتقادًا من أحد منهم لما في هذه الكتب من كفر وإلحاد، ولذلك أقول: أليس في ذلـك إقرار من هؤلاء لما فيها، ولهذا أيضًا توجه الدكتور علي السالوس، حفظه الله -تبـارك وتعالى- وهو له جهود مشكورة في الرد على هؤلاء الرافضة، توجه إلى أحـد علمـاء الشيعة المعاصرين وسأله عن رأيهم فيما اشتمل عليه أصول (الكافي) من روايات طافحة بالغلو؟ فأجابه كتابةً بخطه: "أما الروايات التي ذكرها شيخنا الكليني في كتابه (الكافي) فهي موثوقة الصدور عندنا".

هكذا يقول العالم المعاصر عن كتاب (الكافي)، وقد نقلت مـن كتـاب (الكـافي) في الدروس السابقة بعض الكلمات التي تطفح بالكفر والخروج عن دين الله -والعياذ بالله تبارك وتعالى- ومع ذلك يقول هذا الشيخ المعاصر بأن هذا الكتاب من الكتب الموثوقة عندهم، ثم يقول: "وما ورد في الكافي أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجـت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأنهم إذا شاءوا أن يعلموا علموا، ويعلمون متى يموتـون ولا يموتون إلا باختيار منهم، ويعلمون علم ما كان وما يكون، ولا يخفى عليهم الشيء، فلا شك أنهم أولياء الله وعباده الذين أخلصوا له في الطاعة". ثم ذكر قولًا عن أئمتهم وهو: "قولوا فينا ما شئتم ونزهونا عن الربوبية".

وهذا لا يحتاج إلى تعليق! إذ أقر وصف أئمته بما لا ينبغي إلا للخالق -جل في عـلاه- وهو من إشراك هؤلاء الأئمة لله ﷻ في الربوبية، وليس هذا الذي ذكرتـه هـو رأي الكفائي فقط الذي أجاب على الدكتور السالوس؛ ليس هذا هو رأيه وحده في مضامين (أصول الكافي) المتضمنة للغلو في الأئمة، بل إن الخنيزي الذي ألف كتابًا يدعو فيه إلى وحدة أهل السنة والإمامية، له جواب عن هذه المسائل لا يخالف جواب الكفـائي في

حقيقته، مع أنه يقرر ذلك في كتاب قد وضع بأسلوب التقية؛ لأنه منشور للدعوة المزعومة والوحدة المزعومة بين هؤلاء الروافض وبين أهل السنة، والتي هي في حقيقتها تبشير بالرفض في صفوف أهل السنة.

وكذلك أجاب شيخهم الآخر لطف الله الصافي على محب الدين الخطيب، الذي عرض في خطوطه العريضة بعض عناوين أبواب الكافي الطافحة بالغلو، فقال الصافي: بأن الأبواب المعنونة في (الكافي) ليست إلا عناوين لبعض ما ورثوا عن جدهم رسول الله ﷺ بل إن تلك المصنفات التي حوت ذلك الغلو هي موضع الفخر والتباهي عند المعاصرين.

## ب. صلتهم بالفرق القديمة:

طالما أنني أود أن أثبت أن الرافضة في العصر الحاضر يتفقون مع الرافضة السابقين، فلا بد أن أبيّن صلة هؤلاء الحاضرين بالفرق القديمة، ولذلك أتساءل فأقول: ما صلة هؤلاء بالفرق الشيعية القديمة التي يرد ذكرها في كتب الفرق والمقالات؟

وللجواب عن هذا السؤال أقول: إن شيوخ الشيعة المعاصرين وآياتها إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتمين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية أو من الزنادقة الدهرية أو من المجسمة الغلاة، فهم إذا تحدثوا مثلًا عن دول الشيعة ذكروا الدولة الفاطمية في صدر دولهم، مع أنها غير اثنى عشرية، وإذا جاء ذكر رجالهم رأيت منهم كثيرًا من رءوس الضلال والزندقة ممن تنسب إليهم فرق خاصة ليست من الاثنا عشرية، بل تحمل النسبة لأسمائهم بأعيانها، لهذا ترى على سبيل المثال شيخ الشيعة محسن الأمين يقول عن الهشامية -أتباع هشام بن الحكم- واليونسية -أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي- والشيطانية -أتباع محمد بن النعمان شيطان التاقي- وغيرهم يقول عنهم: إنهم عند الشيعة الإمامية كلم ثقات صحيحو العقيدة، فكلهم إمامية واثنا عشرية.

بل الأخطر من ذلك أننا نجد الاثنا عشرية تحاول أن تحتضن كل فرقة تنتسب إلى التشيع، وإن كانت من فرق الكفر باعتراف كتب الشيعة القديمة نفسها، فنلاحظ مثلًا أنهم يضفون صفة الشرعية على بعض الغلاة الكفرة باتفاق المسلمين كالنصيرية، وقد كتب

أحد علماء الاثنا عشرية المعاصرين –وهو المدعو حسن الشيرازي– كتب رسالة سماها: (العلويون شيعة أهل البيت) والعلويون لقب للنصيرية، وذكر في رسالته هذه أنه التقى بالنصيريين في سوريا ولبنان، وذلك بأمر من مرجعهم الديني محمد الشيرازي، وقال: بأنه وجدهم كما يظن من شيعة أهل البيت، الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق، وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب، وقال: بأن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية.

هذا، ولم ينكر على هذا الشيرازي أحد من شيوخ الاثنا عشرية، مع أنه قد عرف واشتهر عن النصيرية الكفر والزندقة، بل إن كتب الشيعة القديمة تكفّر النصيرية وتعتبرها فرقة خارجة عن الإسلام، والمعاصرون يرونها من الجعفرية وإن تسمت بغير هذا الاسم، وذهب بعض كبار مراجع الشيعة في هذا العصر إلى أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض فرقة من الفرق الغالية، مع وجود النصيرية والدروز والأغاخانية وغيرهم، وهم من الفرق الغلاة جدًّا، وهو بهذا كأنه يحكم عليهم بعدم الغلو ويراهم بأنهم من الفرق الشيعية.

يقول محمد حسين الكاشف الغطاء: "إن جميع الفرق الغالية قد بادت". وقد علق الدكتور سليمان دنيا –رحمه الله– على ذلك بقوله: "فما يكون الأغاخانية؟ أليسوا قائلين بالحلول أم ليسوا مع قولهم بالحلول ملاحدة؟ أليسوا منتسبين إلى الشيعة؟ ثم أليسوا على رقعة الأرض اليوم؟"

والواقع أن أسماء الكثير من الفرق الشيعية قد اختفى وبقيت آراؤها وعقائدها في كتب الاثنا عشرية، والمعاصرون اليوم حينما يقررون أن الكتب الثمانية وما في منزلتها هي مصادرهم في التلقي، إنما هم بهذا يرتضون كل آراء وعقائد الفرق الشيعية التي وجدت على مدار التاريخ؛ ذلك أن هذه المدونات هي النهر التي انسكبت فيه كل الجداول والروافد الشيعية الأخرى، وهذه حقيقة واقعة، شواهدها كثيرة، حيث نلاحظ أنه ما من عقيدة من عقائد تلك الفرق إلا ولها شاهد ودليل في كتب الاثنا عشرية، فأنت تلاحظ أن عقيدة البداء اعتبرها أصحاب الفرق من عقائد الغلاة ونسبوها للمختارية، ومع ذلك فقد ورد في صحيحهم الكافي ستة عشر حديثًا في البداء، وفي (بحار الأنوار) في باب البداء والنسخ ذكر أكثر من سبعين حديثًا، وصار بذلك البداء من عقائد الاثنا عشرية،

وإن حاول شيوخهم أن يلتمسوا مخلصًا من ذلك لينجوا من تكفير المسلمين لهم؛ لقولهم بهذه العقيدة الضالة.

ومثل ذلك عقيدة الرجعة اعتبروها من عقائد الغلاة، وقد ذكرت كتب السنة واعترفت كتب الاثنا عشرية أن الرجعة من أصول عقيدة ابن سبأ، ومع ذلك هي من أصول عقائد الاثنا عشرية، وعقيدة تأليه الأئمة هي من عقائد الفرق الغالية كالسبئية وغيرها، وتجد عند الاثنا عشرية في (الكافي) و(بحار الأنوار) وفي كتب التفسير بالمأثور عندهم كـ (تفسير القمي) و(العياشي)، وكتب الرجال كـ(رجال الكشي) نصوصًا كثيرة تألّه الأئمة، وقد سبق ذكر شيء من ذلك.

ومسألة تفضيل الأئمة على الأنبياء كان مذهبًا لغلاة الروافض، كما قرر ذلك الإمام عبد القاهر البغدادي -رحمه الله- والقاضي عياض وشيخ الإسلام ابن تيمية، ولكن طائفة الاثنا عشرية ورثت هذه العقيدة الباطلة من هؤلاء الغلاة، ولا شك أنه قد تسللت آراء الفرق الشيعية الغالية إلى كتب الاثنا عشرية على شكل روايات منسوبة للأئمة، وارتضى ذلك المعاصرون، وهذا هو الذي أود أن أبيّنه؛ أن المعاصرين من الرافضة قد ارتضوا ما كان وكل ما كان في هذه الكتب القديمة، التي انطوت على غلوٍّ شديد وعلى عقائد باطلة فاسدة، وكان السبب وراء حدوث هذا التسرب -أعني: تسرب الفرق الشيعية الغالية وأقوالها وآرائها إلى الشيعة الاثنا عشرية بصورة عامة، وإلى ذلك المعاصرين أيضًا بصورة خاصة- هو شيوخ الشيعة أنفسهم، الذين حملهم التعصب على قبول رواية الشيعي أيًّا كان مذهبه، والإعراض عن رواية ما يسمونهم بالعامة وهم أهل السنة، وقد اعترف شيخهم الطوسي بأن معظم رجالهم في الحديث من أصحاب المذاهب الفاسدة، ومع ذلك قال: بأن كتبهم معتمدة، ومن يراجع تراجم رجالهم يلحظ ذلك؛ حيث فيهم الواقفي والفطحي وغيرهما.

وقد أقر بعض مفكري الشيعة في العصر الحاضر بأن الفكر الاثني عشري قد استوعب آراء وعقائدَ الفرق الشيعية القديمة، حيث قال: ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة، مما كان خاصًّا بفرقة بعينها، لم يلبث أن دخل كله في التشيع الاثنا عشرية، ودُعّم بالحجج العقلية وبالنصوص.

إذًا التشيع الحالي قد استوعب خلاصة الاتجاهات الشيعية بكل ما فيها من غلو وتطرف، حتى رأينا النزعة السبئية بكل غلوها في علي تطل علينا من خلال روايات الاثنا عشرية،

يدرك هذا من راجع مجرد عناوين أبواب (الكافي) و(البحار)، كما أن الاتجاه الباطني واضح أيضًا في كتب الاثنا عشرية من خلال تأويلهم لآيات القرآن وأركان الإسلام، وما قالوه في التقية والكتمان، فأصبحت -إذًا- الاثنا عشرية هي المصب الأخير لكل الروافد الشيعية بكل ما فيها من شطحات، ويجد كل صاحب غلو وتطرف بغيته وما يؤيد مذهبه في كتب هذه الطائفة.

ولقد صدر إقرار خطير للغاية وبيان مثير من أكبر شيخ من شيوخهم المعاصرين في علم الرجال، يتضمن الاعتراف بتغير المذهب وتطوره، وأن ما عليه المذهب الاثنا عشري في العصر الحاضر يعتبر غلوًّا وتطرفًا عند قدماء الشيعة، وأن شيعة العصر الحاضر يعتقدون عقائد يرونها من ضرورات المذهب وأركانه، وهي عند قدماء الشيعة من الغلو والكفر.

وهذا في الحقيقة كلام خطير وبيان أود أن أوضحه لطالب العلم في هذا المقام؛ حتى لا يظن ظان أن شيعة العصر أحسن حالًا من السابقين، بل هم في الحقيقة لجئوا إلى جمع كل ما قاله كل من ينتمي إلى التشيع من قريب أو بعيد، وإلى كل من يقول بقول حسن في آل البيت ولو كان من الكفرة كالإسماعيلية والنصيرية وغير ذلك، جمع الشيعة المعاصرون كل هذه الأقوال وقالوا بها.

وقد صرح بذلك أحد كبار شيوخ الشيعة الذي وُلد في النجف سنة تسعين ومائتين وألف وتوفي بها سنة واحد وخمسين وثلاثمائة وألف، واسمه عبد الله بن محمد حسن الممقاني، قال كلامًا في معرض دفاعه عن المفضل بن عمرو الجعفي، فيما رُمي به من قبل بعض علماء الشيعة القدماء يقول: "إنا قد بيَّنا غير مرة أن رمي القدماء الرجل بالغلو لا يُعتمد عليه ولا يركن إليه؛ لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم -يعني الأئمة- غلوًا عند القدماء، وكون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب التشيع غلوًّا عند هؤلاء، وكفاك في ذلك عدّ الصدوق نفي السهو عنهم غلوًا مع أنه اليوم من ضروريات المذهب، وكذلك إثبات قدرتهم على العلم بما يأتي، أي: علم الغيب بتوسط جبرائيل والنبي، غلوًّا عندهم ومن ضروريات المذهب اليوم".

من هذا النص يتبين أن شيعة العصر الحاضر لم يكتفوا بمتابعة سابقيهم، حتى زادوا عليهم في الغلو والتطرف، حتى إن شيوخ الشيعة في القرن الرابع كالصدوق وغيره يرون أن من يعتقد أن الأئمة لا يسهون، أو أن الأئمة يعلمون ما يأتي، أو حسب عبارة الكليني يعلمون

ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء. من يعتقد هذه العقائد وأمثالها هو في نظر كبار شيوخ الشيعة في ذلك العصر من الغلاة الذين لا تُقبل رواياتهم عن الأئمة، ولكن المذهب تغير اليوم وأصبح اليوم من ضرورات مذهب التشيع، كما يعترف بذلك عبد الله الممقاني هذا.

## شيعةُ اليوم أخطرُ على الإسلام من شيعةِ

لا بد أن أذكر كلامًا مهمًّا عن شيعة اليوم؛ لأن بعض الناس قد يظنون فيهم خيرًا؛ بسبب أنهم أحيانًا يتصدرون ويقفون ضد أعداء الإسلام كاليهود وغيرهم، وفي الحقيقة هذا منهم من باب التقية، وإنما هم مع أعداء المسلمين من أهل السنة في كل زمان وفي كل مكان، ولذلك لا بد من أن أبين خطرَ هؤلاء اليوم، وأن خطرَهم في الحقيقة أشدُّ من خطر شيعة الأمس.

### الخميني زعيم شيعي متعصب لمذهبه:

وأنا أتكلم عن الخميني بالذات؛ لأنه هو الذي قاد الثورةَ في إيران، وتحمل وقام في العصر الحاضر بالدعوة إلى التشيع المغالي الموروث عن السابقين واللاحقين، ولكي أبيّن أن الخميني زعيم شيعي متعصب لا بد أن أذكر بعض ما قاله في كتبه.

### وبين أيدينا اليوم ثلاثة من كتب الخميني:

**الكتاب الأول:** (ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية).

**الكتاب الثاني:** (من هنا المنطلق) وهو مجموعة فصول من كتاب له اسمه: (تحرير الوسيلة).

**الكتاب الثالث:** (جهاد النفس أو الجهاد الأكبر).

ومن خلال هذه الكتب نحكم على الرجل لأنها عصارة أفكاره، ولا شك أنها تبين آراءه ومعتقداته التي طرحها في هذه الكتب، وهذه بعض الملاحظات التي لاحظتها، كما لاحظها بعض أهل العلم أيضًا على هذه الكتب الثلاثة التي ألفها هذا الرجل الشيعي المتعصب، ومن ذلك أن الخميني يحمل في كل كتبه على الأنظمة بصورة عامة، وعلى

النظام الإيراني بشكل أخص، وينادي بحكومة إسلامية شيعية، ولا يتطرق إلى موضوع التعاون مع السنة أو الاندماج معهم، واستمع إليه وهو يقول: "لقد بدأ مذهب الشيعة من نقطة الصفر، وما زال عددهم في ازدياد حتى إنهم اليوم في حدود المائتي مليون شيعي".

والحكومة الإسلامية التي يتحدث الخميني عنها يجب أن يباشر المسئولية فيها نواب الإمام المعصوم الغائب، وغيرهم معتدون ظلمة، كما يرى أن الحكومة الإسلامية كانت أيام رسول الله ﷺ وأيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقفز ويتجاهل فترة الخلفاء الراشدين الذين سبقوا عليًّا رضي الله عنهم وعندما يتحدث عن القوانين الإسلامية لا يرد عنده إلا ما ورد في المصادر الشيعية، أما مصادر وأصول السنة والأحاديث النبوية الواردة في الصحاح، والتي بدونها يضيع ديننا، فلا ترد على لسانه أبدًا، بل يرد في كتابه تلميحًا أنه لا يعترف بها، وعندما يتحدث الخميني عن الوحدة الإسلامية يقول رأيًا صريحًا ليس فيه لبس ولا غموض؛ أنه ينظر إلى هذه الوحدة من خلال مذهبه، أي: أن يتشيع أهل السنة ويقبلون بعصمة الأئمة، ويستشهد بقول منسوب لفاطمة < وهو قولها: وطاعتنا نظام للملة وإمامتنا أمان من الفرقة. هكذا يقول، وهم يكذبون على آل بيت النبي ﷺ.

أيضًا الخميني في كتابه (جهاد النفس أو الجهاد الأكبر) يتحدث عن الفضائل ومكارم الأخلاق، وعن أهمية التربية والتعليم، ووجوب محاربة هوى النفس، وداخل هذا الإطار يحشر اسم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وكأنه شيطان رجيم، انظر إليه وهو يقول: "معاوية ترأس قومه أربعين عامًا، ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة".

نحن نعوذ بالله ونبرأ من هذا الكلام، وإذا كان هذا الخميني قد أباح لنفسه التطاول على صحابي جليل، كان من كُتَّاب الرسول ﷺ وأصدر عليه حكمًا باسم أهل الدنيا، كيف يتقول هذا الدعي على الله ﷻ ويزعم بأن معاوية يعذَّب في الآخرة، فهل هذا الرجل اطلع على الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدًا؟

إننا نبرأ من هذا الكلام، ونعتقد -كما هو مذهب أهل السنة والجماعة- أن معاوية > خير من آلاف من هذه الآيات التي زورتها الشيعة ونسبتها لله، كقولهم: آية الله وروح

الله وهكذا، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)). ومعاوية رضي الله عنه من صحابة النبي ﷺ.

أيضًا شنَّ الخميني هجومًا شديدًا على عملاء الاستعمار وأذنابهم، الذين انتشروا في طول البلاد وعرضها، وحمل على بعض علماء الشيعة الذين قبلوا التعاون مع النظام القائم في إيران، فكان مما قاله لهم: "وبالطبع ففقهاؤنا كما تعرفون من صدر الإسلام وإلى يومنا هذا، أجَلّ من أن ينزلوا إلى ذلك المستوى الوضيع، وفقهاء السلاطين كانوا دائمًا من غير جماعتنا وعلى غير رأينا".

وتأمل في قوله: "وفقهاء السلاطين كانوا من غير جماعتنا وعلى غير رأينا" وهو يعني أنهم من علماء السنة، والسلاطين هم جميع حكام المسلمين من غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو لا يعترف بأي حكومة قامت على ظهر الأرض إلا بحكومة علي رضي الله عنه وما كان أيضًا من أئمة زعموا لهم ذلك ونسبوا الكذب إليهم، وقد بينت ذلك فيما مضى.

والشاهد: أن الخميني كان زعيمًا متعصبًا غاية التعصب لمذهبه، لا يقول بإمامة الخلفاء الراشدين الثلاثة، ويقول بالغلو في الأئمة أكثر مما ذهب إليه بعض المتقدمين منهم، وكفانا بهذا أن نُعرض عن هؤلاء الروافض بصورة عامة؛ لأنهم جميعًا يذهبون إلى ما يذهب إليه الخميني، ويحبون أن تقوم لهم قائمة، وأن يكون الغلو الذي يذكرونه له نصيب من الانتشار والنفوذ، وفي هذا خطر عظيم، ولذلك أذكر هذا الكلام كي يتحصّن أبناؤنا من أهل السنة والجماعة من هؤلاء الروافض.

## سعيهم في نشر الرفض في العالم الإسلامي:

أود هنا أن أبين بأن الروافض بصورة عامة يسعون في العصر الحاضر إلى أن ينتشر الرفض في العالم الإسلامي، ومما يبين مدى الأثر الرافضي في نشر عقائدهم في أوساط المسلمين ما سُجّل في نصوصهم القديمة، من أنه لم يقبل فكرهم إلا أهل مدينة واحدة هي الكوفة. قال أبو عبد الله: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة.

فالتشيع إذًا لم يجد له موطنًا في السابق إلا الكوفة، وبالتالي فهم سعوا سعيًا حثيثًا إلى نشر التشيع في كثير من البلاد، وقد بينوا أن الكوفة هم فقط الذين أقبلوا على هذا

التشيع، ولا شك أن هذا من آثار ابن سبأ، فقد كان له نشاط مبكر في الكوفة، وما غادرها حتى ترك فيها خلية تعمل على نهجه، ثم ما لبث أن سرى داء الرفض إلى العالم الإسلامي بعد ذلك، حتى ذكر بعض الباحثين بأن الشيعة يشكلون عشرة في المائة من مجموع المسلمين اليوم، ودعاة التشيع في هذا العصر يشكلون خلايا سرية نشطة، تسرح في العالم الإسلامي لنشر الرفض بموجب خطة مدروسة وتمويل مالي من الحوزات العلمية، والتي تستمد رصيدها المالي من عرق وجهد أولئك الأتباع الأغرار، الذين خُدِّرت أفكارهم وشحنت عواطفهم بتلك الدعوى الجميلة الخادعة: حب آل بيت النبي ﷺ.

وأنا أقرر أنه ليس للشيعة ولا لشيوخ الشيعة نصيبٌ من هذه الدعوى إلا الاسم فحسب، هؤلاء استولوا على الأموال الكبيرة باسم خمس الإمام، وهذه الخلايا السرية تتخذ شعارات أشبه ما تكون بشعارات الماسونية، فهي تارة ترفع شعار التقريب بين المذاهب الإسلامية وأخرى باسم جمعية أهل البيت، وبعد قيام دولة الآيات في إيران – وأعني بها ثورة الخميني– تحولت السفارات للحكومة الإيرانية إلى مراكز للدعوة إلى الرفض، واستغلوا المراكز الإسلامية والمساجدَ، ولا سيما في أيام الجمع للدعوة للاتجاه الرافضي.

وقد نشرت (مجلة المجتمع) تحقيقًا عما يجري من نشاط رافضي في أوربا قالت فيه: تحولت السفارات والقنصليات الإيرانية إلى مراكز لنشر عقيدتهم في أوساط المسلمين المقيمين في أوربا، وتؤكد ذلك بعشرات بل مئات وآلاف الكتيبات والمنشورات الخاصة بالفكر الشيعي، وتوزيع هذه الكتيبات على المسلمين الأوربيين في أماكن تجمعهم، وخاصة عند أبواب المساجد أو في البريد أو من خلال وسائل أخرى، وحتى المراكز الثقافية والمكتبات تبدو وكأنها أقيمت من أجل نشر دعوة التشيع الإيراني بين الأقليات المسلمة في أوربا، فبالإضافة إلى ما تحتويه هذه المكتبات من كتب ونشرات حول الثورة الإيرانية ومنهجها العقائدي، نجد أن القائمين على هذه المكتبات ينظمون دروسًا وندوات تتعلق في معظمها بالقضية العقدية.

ثم أشارت المجلة إلى أسماء بعض المكتبات في أوربا، والتي تقوم بتنظيم محاضرات عقدية في فكر الثورة الإيرانية وذلك في أيام الخميس والسبت من كل أسبوع، كما بدأت المراكز الإيرانية بدفع بعض الشباب الذين غررت بهم وجعلتهم عملاء للمنهجيات الإيرانية، إلى

بعض مساجد المسلمين للاتصال بالمصلين وخاصة أيام الجمع، حيث يتواجد عدد كبير من المسلمين في صلاة الجمعة، وأشارت المجلة إلى أن هذه الاتصالات غالبًا ما تؤدي إلى وقوع بعض المصادمات والفتن داخل المسجد، وقدمت لذلك بعض الأمثلة، كما أشارت إلى أن هذه النشاطات الإيرانية بما تحدثه من فتن سيكون لها آثارها السلبية على المسلمين.

ونشاط الروافض اليوم متعدد الوجوه متنوع الوسائل، لا يراعى فيه مبدأ، كحال أهل السنة؛ لأن الروافض يرون في التقية تسعة أعشار الدين، وقد اعترف بعض علمائهم المعاصرين –من حيث لا يدري– أن التقية عندهم هي كما يقول بالحرف الواحد: الغاية تبرر الواسطة، يعني في سبيل الغاية التي تنشدها استخدم أي وسيلة، أي: هي الميكافيلية التي اعتمدها الذين لا دين لهم في تحقيق أهدافهم، أما في الإسلام فإن الغاية لا تبرر ولا تبيح الوسيلة المحرمة، ولذلك فإن وسائل الروافض لنشر مذهبهم قد اكتست بألوان من الخداع والتغرير، راح ضحيتها جملة من القبائل المسلمة والأفراد المسلمين، فقد دفعوا مجموعة من شيوخ القبائل إلى اعتناق الرفض عن طريق إغرائهم بالمتعة، وهناك عشائر كثيرة في إيران قد ترفضّوا كربيعة مثلًا، ترفضوا منذ سبعين سنة، وتميم –وهي عشيرة عظيمة– ترفضوا أيضًا في نواحي العراق، ومن العشائر التي مالت وقالت بأقوال الرافضة بنو عُمير، وهم بطن من تميم، وعشائر العمارة آل محمد.

والحقيقة هذه العشائر كلها لا تحصى كثرة، وهؤلاء ترفّضوا من قريب، وكان جُل هؤلاء كانوا يسكنون العراق، وأقول: ولا زال الروافض إلى يومنا هذا ينشرون معتقدهم على كل المستويات، ويوهمون الناس بأنه لا خلاف بين أهل السنة وبين الشيعة؛ حتى يقبل الناس على مذهبهم.

ولرافضة اليوم اهتمامات بالاتصال ببعض رؤساء الدول، الذين يتوسمون فيهم الاستجابة لمذهبهم، وكانوا قديمًا يفعلون ذلك، وقد فعل هذا ابن المطهر الحلمي مع خدا بنده، وقد كان لذلك آثاره المعروفة تاريخيًّا، كما قاموا بشراء بعض أصحاب الأقلام والعقول الخاوية من الإيمان، واستكتبوها للدعاية للتشيع والتقديم لكتب الشيعة، ويقومون اليوم بانتقاء الأذكياء من الطلاب والطالبات في العالم الإسلامي، ويعطونهم منحًا دراسية في

"قُم"؛ ليغسلوا أدمغتهم، ويربوهم على الرفض؛ حتى يعودوا لبُلدانهم ناشرين للـــرفض داعين له.

وقد ذكر بعض شيوخ الأزهر -رحمهم الله- هذا الأمر، وبيّن خطورته فقال: الأنبـــاء التي تصلني من كافة أنحاء العالم الإسلامي تدل على أن هذه الحركة الإيرانية الخمينيـــة الآن تنشر العنف، وتحاول أن تستقطب الشباب بوجه خاص في كثـــير مـــن البلـــدان الإسلامية، بالإغراءات المتعددة المالية والدراسية في إيران، وغير ذلك من السبل؛ بقصد إحداث الفرقة باستقطاب هؤلاء الشباب، ودفعهم إلى إثارة الخلافات في بلادهم وبـــين شعوبهم، وأعتقد أن على الشعوب الإسلامية أن تكون حذرةً فيما تُساق إليه بواســـطة الخمينية أو غيرها، فهي حركة من الحركات الموفدة لتفتيت الأمة الإســـلامية، وبـــث الصراع والخلاف فيما بينها.

وهذا كلام صحيح وحق وواضح، نفهم منه أن رافضة اليوم يتحركون وينشـــطون وينشرون الرفض في العالم الإسلامي، ويجندون كثيرًا من الوسائل المتعددة كالكتب وبعض ضِعاف النفوس، وكذلك استقطاب بعض العلماء وطلاب العلـــم ليدرســـوا عندهم مبادئ الرفض حتى ينتشر هذا المذهب في سائر العالم كله.

(تعريف الباطنية ونشأتها وفرقها)

عناصر الدرس

العنصر الأول : التعريف بالباطنية

العنصر الثاني : متى نشأت الباطنية والغرض منها؟

## التعريـــــف بالباطنيـــــة

### أ. بيان خطر الباطنية:

قبل أن أعرِّف بالباطنية لا بد أن أذكر شيئًا من خطرها؛ حتى يقف أيضًا طالب العلـــم على ذلك، فأقول في هذا –وبالله التوفيق:

مذهب الباطنية من أخبث وأردأ المذاهب، وأهله من عتاة الشر وأفســـد المخلوقـــات، وعلى طالب العلم أن يعيَ ذلك تمامًا، وسيتضح له صحة ما أقول –إن شاء الله تبـــارك وتعالى.

والباطنية أعدى أعداء المسلمين قديمًا وحديثًا، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–إلى بعض مواقفهم من المسلمين، وذكر أن لهم في معاداة الإسلام وأهلـــه وقـــائع مشهورة.

فإذا كانت لهم مُكنة يسفكون دماء المسلمين، وإن عجزوا لجئوا إلى الخطط والمؤامرات السرية ضدهم، وحينما استولوا على البحرين وصارت لهم فيها دولة عاثوا فيها فسادًا، وكذلك حينما تمكنوا من الوصول إلى مكة –شرفها الله تبارك وتعالى–والناس في الحج قتلوا الحجيج، بل حصدوهم كما تحصد الحشائش، وألقوا بجثثهم في بئر زمزم، ودفنوا بعضهم في صحن المسجد، وتركوا بعضهم جثثًا منثورة ثم اقتلعوا الحجر الأسود مـــن مكانه وأخذوه معهم، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وجندهم مـــا لا يحصي عدده إلا الله –تبارك وتعالى.

والباطنية مع كل ذلك هم دائمًا مع كل عدو للمسلمين؛ فقد كانوا في أيام الحـــروب الصليبية أعظم أعوان النصارى، فلم يستولِ الصليبيون على السواحل الشامية إلا مـــن جهتهم، وما دخل التتار بلاد المسلمين إلا بمعونتهم، فلقد كان النصير الطوسي أبـــرز أعوانهم وأبرز عيونهم، ولقد كان الخليفة مغترًّا به ولا يعرف حاله وفساده وضلاله، وما أن دخل التتار بغداد حتى حرضهم النصير الطوسي على قتل الخليفة وعشرات الألوف

من المسلمين، وهدم عليهم دورهم وقتل النساء والأطفال وسبى من أراد سبيه من نسائهم، وأغرق كثيرًا من كتب المسلمين في نهر دجلة حتى تغير ماء النهر.

وأعظم أعيادهم هو اليوم الذي يصيب المسلمين فيه بلاء وكرب كيوم استيلاء الصليبيين على سواحل الشام، وكيوم استيلاء التتار على بغداد، كما كانت أعظم مصائبهم يوم أن نصر الله المسلمين على التتار والصليبيين والعبيديين.

وقد أوجز البغدادي -رحمه الله- عداوة الفرق الباطنية للإسلام والمسلمين في كلامه الآتي فقال في كتابه (الفرق بين الفرق): "اعلموا -أسعدكم الله- أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوى الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا هذا -وأود أن ألفت نظر طالب العلم إلى أن البغدادي هو الذي يتحدث ويتكلم، وقد توفي -رحمه الله- في القرن الخامس الهجري- أكثر من الذين يضلون بالدجال من وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يومًا، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر.

فماذا يقول البغدادي -رحمه الله-لو كتب هذا الكلام أو قال هذا القول في هذا الزمان، وقد امتد الزمان إلى عشرة قرون بعد وفاته رحمه الله!!.

والسبب في أن البغدادي ذكر أن فتنة الباطنية أعظم من فتنة الدجال وغيره أن هؤلاء خطرهم ظاهر، وعداوتهم معروفة -أعني الدجال مثلًا، أو سائر أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس-فهؤلاء عداوتهم معروفة، والناس يحذرونهم بطبيعة الحال، ولكن الضرر الشديد يأتي ممن يتظاهر بالإسلام فيغتر به المسلمون، ثم يطعنهم من خلفهم، كما هو حال الباطنية في مختلف عصورهم.

وقلما تجد كاتبًا من علماء المسلمين من المؤرخين وعلماء الفرق إلا وهو يذكر من أفعال هؤلاء بالمسلمين ما تقشعر له الجلود، وقد وصف المؤرخ المفسر الإمام الحافظ ابن كثير -رحمه الله-عداوتهم ووقيعتهم بالمسلمين، حينما قادهم أبو طاهر الجنابي ووصلوا إلى مكة، والناس في الحج آمنون مطمئنون.

قال ابن كثير -رحمه الله- عن ذلك وعن أبي طاهر الجنابي قال: "فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقًا كثيرًا، وجلس أميرهم أبو طاهر -لعنه الله- على باب الكعبة والرجال تُصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول: أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا، فكان الناس يفرون منه ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا بل يقتلون وهم كذلك، وكانوا يطوفون فيقتلون وهم في الطواف".

إلى أن قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله: "فلما قضى هذا القرمطي -لعنه الله-أمرًا وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيرًا منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام، وهدم قبةَ زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها وشققها بين أصحابه". إلى آخر ما ذكره ابن كثير -رحمه الله-عن جرم هؤلاء، وقد حدد بعض العلماء عدد من قُتل بثلاثة عشر ألف نسمة.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من أشد المحذّرين من الباطنية لمعرفته الواسعة بمذاهبهم، وقد أجاب من سأله عنهم بجواب طويل جاء فيه: "هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين ككفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ﷺ ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا نار"، إلى أن قال: "فإن كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرة الحُجاج وألقوهم في بئر زمزم".

وهذا ما ذكره ابن كثير وقد قلته قبل قليل، إلى أن قال ابن تيمية -رحمه الله: "ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائمًا مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى -والعياذ بالله- النصارى على ثغور المسلمين، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعونتهم ومؤازرتهم، فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي كان من الباطنية، وكان وزيرًا لهولاكو وهو الذي أمر بقتل خليفة

المسلمين، وبولاية هؤلاء التتار، وفي كتب الباطنية من المدح والتمجيد لهذا المجرم ما لا يستحقه".

يقول مصطفى غالب وهو من الباطنية ومن الرافضة يقول: "حتى أخضع هولاكو خان قلعتي آل موت وميمون دَز، فعثر على هذا الفيلسوف الكبير في مرصد القلعة فاقتاده الجند إلى هولاكو خان، ولما مثل بين يديه أكرمه وطلب منه أن يلتحق بخدمته كوزير له فرفض في بادئ الأمر، إلا إذا أمن على أرواح وممتلكات الإسماعيلية". تأملوا كيف أن هؤلاء يرحبون بهذه الأفكار الباطلة، فوعده خيرًا شريطة أن يرافقه في حملته على بغداد، وهكذا انتقل هذا الفيلسوف العظيم، ويعني به النصير الطوسي إلى خدمة هؤلاء وإلى خدمة هولاكو خان، بعد أن أخذ منه العهد على المحافظة على الإسماعيلية.

ثم بعد ذلك أقول وأقرر عن هؤلاء: بأن هؤلاء الباطنيين في بغداد كانوا وراء قتل خليفة المسلمين، آخر خلفاء بني العباس وهو المستعصم بالله، ثم بعد ذلك سرقوا كتب المسلمين وجمعوا هذه الكتب وكانت كتبًا نادرة وألقوها -وللأسف الشديد-في نهري دجلة والفرات حتى تغيرت دماء هذه الأنهار بمداد الأقلام التي كتبت بها هذه الكتب، فأي عداوة أشد من عداوة هؤلاء الباطنيين للإسلام.

### ب. التعريف بالباطنية:

الباطنية لقب اصطلاحي تندرج تحته اتجاهات لطوائف وفرق مختلفة، القاسم المشترك فيما بينها أو الصفة العامة التي تغلب عليها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن، تأويلًا يذهب مذاهب شتى، قد يصل بالمذاهب الباطنية التي تُعمل التأويل في النص إلى حد التناقض فيما بينها؛ بحيث تصبح الفرق الباطنية بتأويلهم للنصوص -حسبما يزعمون- فرقًا خارجة عن ملة الإسلام، بل فرقًا من فرق الكفر، ويغلب على دارسي الفرق والمذاهب العقدية أن يعرّفوا النهج الباطني في تناول النصوص بأنه المنهج الذي يعالج النصوص على أنها رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، ومن ثم يعالجون الشعائر الدينية والأحكام العملية على أنها رموز وأسرار، وأن العامة من الناس هم الذين يقفون أمام الظواهر والقشور ويقنعون بها، أما أهل الباطن -وهم الباطنيون- فهم الذين ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن العلم الحق عندهم، علم الباطن كما يزعمون.

وقد اعتقد عدد من العامة على امتداد التاريخ في بعض ديار المسلمين بهذه العقيدة في بعض صورها وطلاسمها، وذلك عقب غيبة العمل الإسلامي المستنير، وبتأثر من نشاط الجماعات الباطنية التي تبدو في بعض مظاهر سلوكها قائمة على الزهد والتقشف، والإكثار من الصلاة والأكل من كسب اليد.

هذا باختصار تعريف بالباطنية، وملخصه: أن هؤلاء ذهبوا إلى تأويل النصوص تأويلًا ترفع بها التكاليف الشرعية، ويذاب الدين بالكلية، فلا يصبح لدى المسلم عقيدة صحيحة، لا في الله -تبارك وتعالى- ولا في الأنبياء والمرسلين، ولا في اليوم الآخر ولا في التكاليف الشرعية، بل إن الدين يؤول تأويلًا يناقض تمام المناقضة ما جاء من عند رب العالمين سبحانه، وهم سُمّوا بالباطنية -كما ذكرت- لقولهم: بأن النص الوارد إلينا يحتمل أمرًا ظاهرًا وأمرا باطنًا، وخصوا أنفسهم بعلم الباطن، ومن هذا الباب أوَّلوا الشريعة على وجه يبطل الشريعة.

## متى نشأت الباطنية والغرض

### أ. متى نشأت الباطنية؟

اختلفت كلمة العلماء حول تحديد ظهور هذا المبدأ الهدام، فذهب بعض العلماء إلى التحديد بالزمن، فذكروا أن الباطنية ظهر مذهبهم في سنة خمس ومائتين من الهجرة النبوية، وقال آخرون: في سنة خمسين ومائتين، وبعض العلماء يقول: مائتين وكسر دون أن يحدد شيئًا، وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في زمن المأمون وانتشرت في عهد المعتصم، ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين بحران، وقد ذكر البغدادي -رحمه الله-أنهم دهرية زنادقة.

يقول "الديلمي" في بيانه لنشأتهم: "اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية -سلط الله عليهم طوفان نوح وريح عاد وحجارة لوط وصاعقة ثمود-كان في سنة خمسين ومائتين من الهجرة"، وقال عندما شرع في تفصيل مذهبهم: "اعلم أن مذهب الفرقة الغاوية الضالة الشقية المسماة بالباطنية -قطع الله دابرها وبت أواخرها وألحق أولها بآخرها- على ما نقله العلماء حدث بعد مائتي سنة وكسر من الهجرة".

ويقول البغدادي -رحمه الله-في بدء ظهور الباطنية: "ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحران". إلى أن يقول عبد القاهر البغدادي -رحمه الله: "الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم".

بينما يذهب الشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي إلى أن نشأة الباطنية كان في سنة مائتين وست وسبعين، حينما قام زعيمهم ميمون القداح بإنشاء هذا المذهب الخبيث هو وزملاؤه الذين كانوا على شاكلته.

والذي يظهر -والله أعلم-أن سبب اختلاف العلماء في تحديد نشأة الباطنية يعود إلى عوامل عدة؛ من أهمها: غموض أمر الباطنية في أدوار كثيرة مر بها تاريخهم، فكل واحد من العلماء أرّخ حسب ما وصل إليه من أخبارهم.

وأيضًا السبب في اختلاف العلماء في تحديد مذهبهم أن مذهب الباطنية نفسه يقبل تلك الاختلافات، ومن قال: إن أفكارهم تعود إلى ما قبل الإسلام من أفكار الصابئة أو الدهرية، فقد أرجعها إلى أمر أيضًا كان موجودًا قبل الإسلام، وهؤلاء استمدوا هذه الدعوى الباطنية من هذه الأفكار التي كانت قبل الإسلام.

والحقيقة التي يجب أن ندركها: أنه مهما كانت الأسباب، فإن الدعوة الباطنية يحوطها كثير من الغموض خصوصًا في بدء أمرها، أي: في الدور الذي يسمونه دور الستر؛ إذ لا يتمكن أحد من معرفتهم والكتابة عنهم الكتابة الدقيقة، ومهما كان فإن عقائد الباطنية على العموم قد استمدت من عقائد قديمة، فهم عندما ظهروا -والله تبارك وتعالى أعلم-في القرن الثالث الهجري استمدوا معتقداتهم من العقائد الفاسدة قبل الإسلام.

وقد وضع هؤلاء الباطنيون أيديهم في أيدي كل عدو على المسلمين كما ذكرت، ولكن الذي أود أن أشير إليه هنا أن التخطيط لإقامة هذا المذهب في الإسلام -كما يترجح من أقوال العلماء- كان ما بين سنة مائتين وثلاثمائة من الهجرة النبوية الشريفة، أي: بعد انتشار الإسلام وعزّ أهله به وانتفاء نار المجوسية، وكسر صليب النصارى وكسر طاغوت الوثنية، ودحر اليهودية، وضرب الذلة والمسكنة عليهم، فلما فعل الإسلام ذلك وانتشر، أكل الحسد قلوبَ هؤلاء الناس، وبدءوا يخططون في الخفاء لطريق ينفّسون بها عن أحقادهم بالنيل من الإسلام وأهله، فاهتدوا إلى هذه الطرق -التي سأبين عنها

وسأتحدث عنها فيما سأستقبل من دروس إن شاء الله؛ ليستيقن طالب العلم أن ما نعايشه في عصرنا هذا من مؤامرات ظاهرة وخفية على الإسلام وأهله إنما هو امتداد لتلك الحركات والأصول في ذلك الزمن، وإنما تخمد حينًا وتنشط أحيانًا أخرى، والهدف واحد على امتداد الزمن، فالهدف هو القضاء على الإسلام وأهله، والباطنية ما نشأت إلا لهذا الأمر.

## ب. الغرض من نشأة الباطنية:

قام هذا المذهب الهدام من أول الأمر على النيل من الإسلام وأهله، وذلك إما بإخراج المسلم عن دينه بالكلية أو بإدخال الشكوك في قلبه، ولقد استفاض العلماء في بيان ذلك كله، واتضح أن قيام هذا المذهب كان لأسباب كثيرة ومقاصد خبيثة؛ من أهمها: إبطال الإسلام والقضاء عليه وعلى أهله، أو زعزعته من نفوس المسلمين أو تشكيكهم فيه، وإحلال المجوسية والإلحاد محله، هذا هو أول شيء أرادوه.

ومن أجل إقامة حكم عام في الأرض تسيطر عليه الآراء الباطنية وينفذ فيه حكمها، قام هذا المذهب ونشأ هذا المذهب، وكان وراءه قوم يبغضون الإسلام وأهله، واتخذ هؤلاء الناس عدة أقنعة تستروا بها لتحقيق ما يهدفون إليه من القضاء على الإسلام وأهله، أو على الأقل زعزعة العقيدة من نفوس المسلمين، وإحلال الديانات السابقة قبل الإسلام محلها، هؤلاء القوم تستروا بمسائل وأمور واتخذوا عدة وسائل كي يحققوا هذا الهدف أو الغرض الفاسد:

منها: اعتمادهم على تأويل النصوص تأويلات تنافي ما يقرره الإسلام ويأمر به. إن الباطنيين لهم مع النصوص موقف عجيب سنقف عليه -إن شاء الله-سأذكره فيما بعد من معتقدات هذه الطائفة، ولكني أود هنا أن أشير إلى أنهم اتخذوا من تأويل النصوص ذريعة يتسترون بها في قبول باطلهم، الذي يتناقض ويتنافى مع الإسلام بالكلية.

أيضًا من الأمور التي تستروا بها لتحقيق أهدافهم الباطلة: إظهار التشيع وإبرازه، وظهورهم أمام الناس على أنهم يحملون مذهب التشيع، ويحبون آل بيت النبي ﷺ. وقد أدرك هؤلاء الباطنيون أن هذا الاتجاه –أعني: ادعاء التشيع وحب آل بيت النبي ﷺ هو المدخل إلى إظهار الباطنية، وإلى قبول مذهبهم لدى الناس، وقد تم تأسيس هذا المذهب فيما يذكر الغزالي -رحمه الله- ويبين في ذكره ذلك الغرض من نشأة الباطنية، يقول: "تم في

اجتماع لقوم من أولاد المجوس والمزدكية وشرذمة من الوثنية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين". وقد زاد الديلمي -رحمه الله-على كلام الغزالي هذا: "وبقايا الخرمية واليهود، جَمَعَ هؤلاء نادٍ واشتوروا في حيلة يدفعون بها الإسلام، وقالوا: إن محمدًا غلب علينا وأبطل ديننا".

تأملوا حقد هؤلاء على المسلمين ولماذا اجتمعوا؟ وما هو غرضهم من هذا المذهب الباطل؟ غرضهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين؛ بسبب الحقد الذي نالهم لما انتشر الإسلام وعم أرجاء المعمورة؛ لأنهم قالوا: إن محمدًا غلب علينا وأبطل ديننا، واتفق له من الأعوان ما لم نقدر على مقابلتهم، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيدي المسلمين من المملكة بالسيف والحرب؛ لقوة شوكتهم وكثرة جنودهم، وكذلك لا مطمع لنا فيهم من قبيل المناظرة لما فيهم من العلماء والفضلاء والمتكلمين والمحققين، فلم يبقَ إلا اللجوء إلى الحيل والدسائس، ثم اتفقوا على وضع حيل وخطط مدروسة يسيرون عليها لتحقيق أهدافهم من **خلال الأمور التالية:**

**الأمر الأول:** التظاهر بالإسلام وحب آل البيت والانتصاف لهم.

**الأمر الثاني:** دعوى أن النصوص لها ظاهر وباطن، والظاهر قشور والباطن لبّ، والعاقل يأخذ اللب ويترك القشور.

وهذا الزعم الكاذب يريدون من ورائه سلب المعاني عن الألفاظ، والإتيان بمعانٍ باطنية تتفق مع ما يهدفون إليه من الكيد للإسلام.

**الأمر الثالث:** أنهم اختاروا أن يدخلوا على المسلمين عن طريق التشيع وعلى مذهب الرافضة، وإن كان هؤلاء الباطنيون يعتبرون الروافض أيضًا على ضلال، إلا أنهم رأوهم على حد كبير -كما ذكر الإمام الغزالي رحمه الله- أن الرافضة أرق الناس عقولًا، وأسخفهم رأيًا، وألينهم عريكةً؛ لقبول المُحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات، وأكثر الناس قَبولًا لِمَا يُلقى عليهم من الروايات الواهية الكاذبة، فتستّروا بالانتساب إليهم ظاهرًا للوصول إلى أصناف الناس، فكان ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، كما ذكر الغزالي -رحمه الله.

أو كما قال بعض العلماء: إن الإمامية دهليز الباطنية يعني الطريق المؤدي إلى الباطنية، وهذا هو التفسير الواضح لما نلحظه من التقارب الشديد بين الباطنية والرافضة.

**الأمر الرابع:** أنهم اتفقوا أن يبثوا دعاتهم وأن يلزموهم بخطة ماكرة، وهي أنه يجب على كل داعية أن يوافق هوى المدعو مهما كان مذهبه ودينه، وكان من أبرز دعاتهم ميمون بن ديصان القدّاح، وهو رئيسهم، وابنه عبيد الله وحمدان قرمط، وذكرويه بن مهرويه، وأبو سعيد الجنابي وولده أبو طاهر، وغيرهم ممن يطول حصرهم هنا، وقد تحمل هؤلاء جميعًا من المشقة والآلام والأسفار الكثيرة في نشر باطلهم من بلد إلى بلد آخر، مما يتوجب على أهل الحق، وهم يعرفون بأنهم يحصلون من دعوتهم إلى الله على خيري الدنيا والآخرة، ألا يكون هؤلاء الطغاة أكثر حماسًا وصبرًا منهم في نشر باطلهم؛ لأن الغرض من نشاط هذه الطائفة الباطنية ونشر باطلهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين.

وإننا معشر الأبناء بحاجة إلى أن نقف سدًّا منيعًا أمام هؤلاء، وأن نقف لهم بالمرصاد حتى لا يروجوا لأفكارهم وحتى نقطع دابرهم؛ لأن غرضهم -كما ذكرت-هو القضاء على الإسلام، وقد اتخذوا من مذهب الرافضة والإمامية سلمًا يرتقون به إلى الناس، ويخاطبون من خلاله الناس. وأنا أقول ذلك -وأنا أتحدث عن غرضهم-حتى أحذّر الناس من كل منهج مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة.

إن كل منهج يخالف منهج أهل السنة والجماعة منهجٌ باطل، لا ينبغي أن نركن إليه ولا أن نستند عليه، ويجب علينا أن نعتقد أن هذه المذاهب والمناهج المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة الغرض من نشأتها في الحقيقة: القضاء على الإسلام والمسلمين.

## سبب رواج مذهب الباطنية:

مذهب الباطنية -كما ذكرت-من أخبث المذاهب وأقبحها، وهو الكفر المحض، ثم انتشر بعد ذلك وراج بين الناس، وهنا نود أن نعرف: ما هو السبب الذي روج لهذا المذهب الباطل مع ركاكة حجة أهله وفساد طريقتهم؟ وهذا أمر مهم؛ حتى إذا عرفنا السبب الذي من خلاله وصل هؤلاء الناس استطعنا أن نعالج الفئات التي تسرّب الفكر الباطني إليهم.

سبب انقياد الخلق إليهم في بعض أقطار الأرض هو أنهم لا يُظهرون هذا الأمر إلا إلى بعض المستجيبين لهم، فيظهرون لهم الكفر الصريح الواضح في دعوتهم، وعندما يظهرون لهم يوصون هذا الذي أظهروه له بألا يتحدث عنه وألا يتكلم عن هذا المذهب الباطل،

ويقولون له: إياك أن تسلك بالجميع مسلكًا واحدًا، يعني: الناس الذين تدعوهم، فليس كل من يحتمل قبول هذه المذاهب يحتمل الخَلْع والسَّلْخ، يعني يحتمل أن يختلع وأن يخرج وأن ينسلخ من دين الإسلام بالكلية.

ثم قال: يقولون له: ولا كل من يحتمل الخلع يحتمل السلخ، فليخاطب الداعي الناس على قدر عقولهم، وهذا سببٌ من أسباب رواج فكر ومذهب الباطنية، أنهم يدخلون إلى الناس مدخلًا خفيًّا، ولا يُظهرون لهم ما عندهم من الباطل في أول الأمر.

فإن قيل: هذا أيضًا مع الكتمان ظاهر البطلان، يعني: حتى ولو كتموا ما هم عليه وكتموا دعوتهم، وما هم عليه من ضلال فهو ظاهر البطلان، فكيف ينخدع بمثله عاقل؟!

أقول -وبالله التوفيق: لا ينخدع عاقل بدعوةِ هؤلاء المجرمين، ولا ينخدع بها إلا المائلون عن اعتدال الحال واستقامة الرأي، والعقلاء لهم عوارض قد تُعمّي عليهم طرق الصواب، وتقضي عليهم بالانخداع بلامع السراب.

ولا بد أن أتحدث عن أصناف هؤلاء الذين ينخدعون بهذا المذهب الباطل، وقد حصرهم الإمام الغزالي -رحمه الله-في **ثمانية أصناف:**

**الصنف الأول:** طائفة ضعفت عقولهم وقلت بصائرهم، وسخفت في أمور الدين آراؤهم؛ لما جُبلوا عليه من البله والبلادة، ولعل هذا الصنف هم أكبر الناس عددًا، وكيف يستبعد قبولهم لذلك، ونحن نشاهد جماعة في بعض المدائن القريبة من البصرة يعبدون أناسًا يزعمون أنهم ورثوا الربوبية من آبائهم المعروفين بالشباسية، وقد اعتقدت طائفة في علي > أنه إله السماوات والأرض رب العالمين، وهم خلق كثير لا يحصرهم عدد ولا يحويهم بلد.

فلا ينبغي أن يكثر التعجب من جهل الإنسان إذا استحوذ عليه الشيطان، واستولى عليه الخذلان، ولذلك أقول لطلاب العلم: علينا أن نعرّف الناس بالحق، وأن ننزل إلى طائفة هؤلاء العوام الذين ضعفت عقولهم وقلّت بصائرهم، وربما كان للرفض أيضًا مجال إليهم؛ لأن من السهولة بمكان أن ينتقل من يقول بقول الرافضة إلى أقوال الباطنية التي تحمل كفرًا صريحًا؛ لأن في أقوال الروافض ما يدعّم وأفكار الباطنية، فلا بد أن نتعرض أولًا لهؤلاء العامة من الناس، وأن نبين لهم الحق.

هذا الصنف الأول يجب أن نبين لهم الحق وهم في الحقيقة جهال والشيطان قد يستولي عليهم ويحسّن لهم هذا الباطل؛ لأنهم لا يعلمون.

**الصنف الثاني:** طائفة انقطعت الدولة عن أسلافهم بدولة الإسلام، وهؤلاء كأبناء الأكاسرة وأولاد المجوس المستطيلين، فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم كالداء الدفين، فإذا حركته تخاييل المبطلين اشتعلت نيرانه في صدورهم، فأذعنوا لقبول كل محال تشوقًا إلى درك ثأرهم وتلافي أمورهم، فالكفرة والملاحدة والباطنيون عمومًا قبل الإسلام من الأكاسرة والمجوس الذين قضى الإسلام عليهم، فهؤلاء لم يدخلوا في الإسلام صراحة، وبالتالي لما وجدوا أمرًا كالباطنية أو مذهبًا كمذهب الباطنية يخرج ليقضي على الإسلام، سرعان ما وقفوا إلى جواره وروجوا له.

**الصنف الثالث:** طائفة لهم همم طامحة إلى العلياء، متطلعة إلى التسلط والاستيلاء، إلا أنهم ليس يساعدهم الزمان بل يقصر بهم عن الأتراب والأقران، فهؤلاء إذا وُعدوا بنيل أمانيهم وسول لهم الظفر بأعاديهم سارعوا إلى قبول ما يظنونه مفضيًا إلى مآربهم، وسالكًا إلى أوتارهم ومطالبهم، فلطالما قيل: حبك الشيء يعمي ويصم، ويشترك في هذا كل من دهاه من طبقة الإسلام أمر يلم به، وكان لا يتوصل إلى الانتصار ودرك الثأر إلا بالاستظهار بهؤلاء الأغبياء الأغمار، فتتوفر دواعيه على قبول ما يرى الأمنية فيه، فهذه الطائفة أو هذا الصنف من الناس أرادوا أن يتسلطوا فوجدوا في الباطنيين مجالًا لكي يصلوا إلى مآربهم.

**الصنف الرابع:** طائفة جبلوا على حب التميّز عن العامة والتخصص عنهم ترفعًا عن مشابهتهم، وتشرفًا بالتحيز إلى فئة خاصة تزعم أنها مطّلعة على الحقائق، وأن كافة الخلق في جهالتهم كالحمر المستنفرة والبهائم المسيبة، وهذا هو الداء العضال المستولي على الأذكياء فضلًا عن الجهال الأغبياء، وكل ذلك حب للنادر الغريب ونفرة عن الشائع المستفيض، وهذه سجية لبعض الخلق على ما شهدت به التجربة وتدل عليه المشاهدة، فهذا الصنف الرابع أرادوا أن يُعرفوا وأن يشار إليهم بالبنان، فروجوا لهذا المذهب الباطل.

**الصنف الخامس:** طائفة سلكوا طرق النظر و لم يستكملوا فيه رتبة الاستقلال، وإن كانوا قد ترقوا عن رتبة الجهال، فهم أبدا متشوقون إلى التكاسل والتغافل وإظهار التفطن

لدرك أمور تتخيل العامة بعدها وينفرون عنها، لا سيما إذا نسب الشيء إلى مشهور بالفضل، فيغلب على الطبع التشوق إلى التشبه به، فكم من طوائف رأيتهم اعتقدوا محض الكفر تقليدًا لأفلاطون وجماعة من الحكماء، قد اشتهروا مثلًا بالفضل في مسائل معينة، وداعيهم إلى ذلك التقليد وحب التشبيه بالحكماء والتحيز إلى غمارهم، والتحيز عمن يعتقد أنه في الذكاء والفضل دونهم، فهؤلاء يُستجرون إلى هذه البدعة بإضافتها إلى من يحسن اعتقاد المستجيب فيه، فيبادر إلى قبوله تشفعًا بالتشبه بالذي ذكر أنه من منتحليه.

**الصنف السادس:** طائفة اتفق نشوؤهم بين الشيعة والروافض، واعتقدوا الدين بسب الصحابة} ورأوا هذه الفرقة تساعدهم عليها، فمالت نفوسهم إلى المساعدة لهم والاستئناس بهم، وانجرت معهم إلى ما وراء ذلك من خصائص مذهبهم.

وأنا أرى أن هذا الصنف من الناس هم أكثر من راج عندهم مذهب الباطنية.

**الصنف السابع:** طائفة من ملحدة الفلاسفة والثنوية والمتحيرة في الدين، الذين اعتقدوا أن الشرائع نواميس مؤلفة وأن المعجزات مخاريق مزخرفة، فإذا رأوا هؤلاء يكرمون من ينتمي إليهم ويفيضون ذخائر الأموال عليهم، انتدبوا لمساعدتهم طلبًا لحطام الدنيا واستحقارًا لأمر العقبى، وهذه الطائفة هم الذين لفّقوا لهم الشبه وزينوا لهم بطريق التمويه الحجج، وسووها على شروط الجدل وحدود المنطق من حيث الظاهر، وغبّوا – يعني: ستروا– مكامن التلبيس والمغالطة فيها تحت ألفاظ مجملة وعبارات كلية مبهمة، قلما يهتدي الناظر الضعيف إلى فك تعقيدها، وكشف الغطاء عن مكمن تدليسها.

**الصنف الثامن:** طائفة استولت عليهم الشهوات فاستدرجتهم متابعة اللذات، واشتدَّ عليهم وعيد الشرع وثقلت عليهم تكاليفه، فليس يتهنأ عيشهم إذا وصفوا بالفسق والفجور، وتوعدوا بسوء العاقبة في الدار الآخرة، فإذا صادفوا من يفتح لهم الباب ويرفع عنهم الحجز والحجاب، ويحسن لهم ما هم مستحسنون له بالطبع، تسارعوا إلى التصديق بالرغبة والطول، وكل إنسان مصدق لما يوافق هواه ويلائم غرضه ومناه، فهؤلاء ومن يجري مجراهم هم الذين عدموا التوفيق فانخدعوا بهذه المخاريق، وزاغوا عن سواء الطريق وحدود التحقيق.

وعندما -إن شاء الله-أتحدث عن موقف هؤلاء الباطنيين من التكاليف الشرعية، سيظهر لطالب العلم صحة ما ذكرت هنا من أن هنا من استولت عليهم الشهوات كانوا من الناس الذين راج عندهم هذا المذهب الخبيث الباطل؛ لأن هؤلاء أسقطوا التكاليف الشرعيةَ عن جميع العباد بحجة التأويل والقول بالظاهر والباطن.

## (أسماء الباطنية ومنهجهم في الدعوة إلى مذهبهم)

### عناصر الدرس

العنصر الأول : أسماء الباطنية وسبب تسميتهم بتلك الأسماء

العنصر الثاني : منهج الباطنية في الدعوة إلى مذهبهم

## أسماء الباطنية وسبب تسميتهم بتلك

أقول هذا حتى تعرف هذه الأسماء الكثيرة التي أطلقها هؤلاء الناس على أنفسهم، كما أن أهل العلم أيضًا أطلقوها عليهم، ولن أسرد الأسماء سردًا، وإنما كما ذكرت في عنوان هذا الفصل سأذكر سبب تسميتهم بالاسم المذكور؛ لأن اتخاذ هذه الأسماء كان في الحقيقة من باب المداراة والتمويه على الناس بمذهبهم الباطل، فبعض هذه الأسماء قد يقبله بعض الناس وبعض الأسماء الأخر قد لا يقبله كثير من الناس، وبالتالي لا بد من ذكر الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم، وأن أذكر أيضًا وأوضح سبب التسمية.

**الاسم الأول:** الباطنية؛ فالباطنية أشهر هذه الأسماء، وسبب إطلاق هذا الاسم عليهم هو أنهم زعموا أن النصوص من الكتاب والسنة لها ظاهرٌ وباطن، وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللب، فلما ذهبوا إلى تقسيم النصوص إلى هذا الأمر –أعني: الظاهر والباطن–قيل عنهم وفيهم بأنهم باطنية.

**الاسم الثاني:** الإسماعيلية؛ نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمهم الانتساب إليه؛ لأن والده وهو جعفر الصادق > نص كما ذهبوا إلى إمامته من بعده وأوصى له بها، رغم أن علماء النسب مجمعون على أن إسماعيل مات في حياة والده سنة خمس وأربعين ومائة، لكن الإسماعيليين يزعمون أن إسماعيل لم يمت في حياة والده وفي العام المذكور، بل إن أباه قد جعله وصيه، ولخوفه عليه من الخليفة العباسي احتال لإخفائه عنه، فكتب محضرًا بوفاته وأشهد عليه عامل المنصور العباسي بالمدينة النبوية.

وفي نفس الوقت توجه إسماعيل سرًّا إلى قرية يقال لها سلمية من أعمال حماة، تقع إلى الجنوب الشرقي منها، وهي مركز الإسماعيلية؛ حيث كان يقيم فيها آنذاك رهط من بني هاشم، وانتسب إليهم فعرفوه وأقام بينهم، هكذا يزعمون، وفي هذا يقول مصطفى غالب عن سلمية هذه: "ويكفي سلمية فخرًا أنها أنجبت جماعة إخوان الصفا، ومنها انطلقت جحافل الإمام عبيد الله المهدي لتأسيس الدولة الفاطمية في المغرب". يعني أن هذه البلدة كانت وكرًا لهؤلاء الباطنيين.

ثم يزعم الإسماعيليون بعد ذلك أن الخليفة العباسي علم بمكان إسماعيل في هذه البلـــدة، وحينئذٍ خرج إسماعيل متخفيًا إلى دمشق وعلم به كذلك الخليفة، وكان العامل علـــى دمشق إسماعيليًّا، فأخبر إسماعيل بما كتب به الخليفة من إلقاء القـــبض علـــى إسماعيـــل وإرساله إلى الخليفة، فقرر إسماعيل التوجه إلى العراق ووصل إلى البصرة ســـنة واحـــد وخمسين ومائة من الهجرة النبوية، ثم ظل يتنقل بين أتباعه سرًّا وتحت أزياء مختلفة وأسماء عديدة، إلى أن توفي سنة ثمان وخمسين ومائة، بعد أن رزق حسب زعمهم من الأولاد محمد وعلي وفاطمة، وبعد أن أوصى بالإمامة من بعده إلى محمد، هكذا يـــذكر هـــذا الداعية الباطني مصطفى غالب.

وقد حصل شقاق وتفرق بين الإمامية والإسماعيلية في سوق الإمامة، فبينما هـــي عنـــد الشيعة الاثنى عشرية في جعفر الصادق ثم في موسى الكاظم، إذا هي عند الإسماعيلية في جعفر الصادق ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن إسماعيل، إلى آخر أئمتهم المستورين.

وقد تفرقت الإسماعيلية إلى ثلاث فرق معاصرة؛ هي: الدروز والإسماعيلية النزارية؛ وهم الذين يعرفون بطائفة البهرة، والطائفة الثالثة الإسماعيلية الأغاخانية، ولا شك أن أخبـــار الإسماعيلية طويلة، وقد كتب فيها أهل العلم كتبًا متعددة، لعل من أجمع هذه الكتب ما كتب في العصر الحاضر، وكتبه الشيخ إحسان إلهي ظهير -رحمه الله-وكتابـــه بعنـــوان (الإسماعيلية تاريخ وعقائد).

**الاسم الثالث:** السبعية، وقد قيل في سبب إطلاق هذه التسمية عليهم ما يلي:

**أ.** دعواهم أن أدوار الإمامة سبعة سبعة، كلما انتهى حكم سبعة من الأئمـــة قامـــت القيامة، وابتدأ الدور من جديد إلى ما لا نهاية، ثم لشغفهم بالعدد سبعة فسروا كثيرًا من الأمور على وفق هذا العدد، فقالوا: إن السنوات سبع والأراضون ســـبع والكواكـــب السيارة سبعة، والأيام سبعة وأعضاء الإنسان سبعة، وهكذا ذكروا في هذا الرقم، وهم يريدون بذلك إضفاء مزية كبيرة على هذا العدد.

وقد رد بعض العلماء على الإسماعيلية بتفضيل بعض الأعداد على السبعة، إما الأربعة أو الخمسة أو العشرة، وكل ذلك مما لا طائل تحته ولا حاجة تدعو إليه، والذين يتشاءمون بالأعداد أو يتفاءلون بها جُهال.

**ب.** بسبب اعتقادهم أن العالم السفلي تديره الكواكب السبعة؛ وهي: زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة والشمس والقمر، وهي عقيدة مأخوذة من ملاحدة المنجمين، وملتفتٌ أيضًا إلى مذاهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاءه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة.

**الاسم الرابع:** التعليمية، وقد أطلق عليهم بسبب أن مذهبهم قائم على الحجر على العقل وإبطال النظر والاستدلال، والدعوة إلى الإمام المعصوم المستور، وأن العلم لا يجوز أخذه إلا منه، واستدلوا لهذا بأن الحق إما أن يعرف بالرأي أو بالتعليم، وباطل أن يعرف بالرأي؛ وذلك لتعارض الآراء واختلاف العقلاء، فلم يبقَ إلا أن يعرف التعليم، والعلم لا يجوز أخذه عن أحد غير الإمام المعصوم؛ لضمان صحته والوثوق به.

وهذا الدليل الذي ذكروه من أسوء الأدلة، بل هو يحكي رداءة مذهبهم وأفكارهم الشريرة، ويمكننا أن نرد عليهم بأن الإمام الذي يدعونا إليه وإلى أخذ العلم عنه لا وجود له إلا في أذهانهم وفي خططهم؛ لاحتواء كل الأديان والسيطرة على الناس، فإن دعواهم أن الإمام مستور لا يظهر هو من أقوى الأدلة على كذبهم وافترائهم.

**الاسم الخامس:** الإباحية، وهذه التسمية التي أطلقت عليهم في الواقع مأخوذة من اعتقاداتهم وأفعالهم؛ لأنهم أهل إباحة مطلقة، فهم لا يحرمون محرمًا ولا يلتزمون بشرع، بل الحلال عندهم ما حل في أيديهم والحرام ما مُنعوا منه، ويستدلون على هذا المسلك الباطل بقول الله -جل ذكره: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: 29] ومن أدلتهم على ما يذهبون إليه أيضًا من استحلال المحرمات، حسب بواطن النصوص التي اطلعوا عليها بفهومهم السقيمة ما جاء في قول الحق -تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: 33] كما استدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [الأنعام: 120] أي: إن فيه حكمًا ظاهرًا وحكمًا باطنًا.

فقالوا: إن الظواهر من النصوص قد تدل على التحريم بينما بواطنها تدل على الإباحة، وهذه حيلة من حيلهم لاستدراج الناس إلى مذاهبهم الرديئة، وحججهم الباطلة على أن الأحكام لها ظاهر وباطن، وهم يريدون بذلك التأكيد على هذا المفهوم، حتى إذا هدموا ظواهر النصوص استطاعوا بعد ذلك أن يتلاعبوا بمعانيها وفق أهوائهم وتحريفاتهم، ومن المعلوم تاريخيًّا أن هؤلاء قد استحلّوا واستباحوا ما حرم رب العباد.

**الاسم السادس:** القرامطة، وسبب تسميتهم بهذا الاسم هو انتسابهم إلى رجل يقال لـه حمدان قرمط، وهو رجل من أهل الكوفة وقد كان راعيًا مائلًا إلى الزهد والديانة فيما يُذكر عنه، وكان هذا في بداية حياته، وقيل: إنه كان يتظاهر بذلك وأنه كان على دين المجوسية، فصادفه أحد دعاة الباطنية -ويسمى حسين الأهوازي-وهو متوجه إلى قريته، وبين يدي حمدان قرمط بقر يسوقها، قال له وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله: أراك سافرت من موضع بعيد فأين مقصدك؟ فذكر له الداعي موضعًا هو قرية حمدان، فقال له حمدان: اركب بقرة من هذا البقر لتستريح من تعب المشي.

فلما رآه مائلًا إلى الزهد والديانة أتاه من حيث رآه مائلًا إليه، وهذه إحدى خطط الباطنية، ولذلك قال له: إني لم أومر بذلك، فقال حمدان: وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال: نعم. قال حمدان: وبأمر من تعمل؟ فقال بأمر مالكي ومالكك ومن له الدنيا والآخرة، فقال: ذلك هو رب العالمين، فقال الداعي حسين الأهوازي: صدقت، ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء، فقال حمدان له: وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه إليها؟ قال: أمرت أن أدعو أهلها وأخرجهم من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاوة إلى السعادة، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب، فقال له حمدان حينئذ: أنقذني أنقذك الله، فما أشد احتياجي إلى مثل ما ذكرته، فتحرج الداعي أن يخبره بشيء حتى يأخذ عليه العهد ألا يفشي سر الإمام المعصوم المستور، ولا يفشي له الخبر.

وهذه إحدى حيل الباطنية، فعاهده حمدان على ذلك فشرع الداعي في استدراجه إلى الباطنية، حتى صار فيما بعد ركنًا من أركانها، وصار له أتباع وفرقة تنسب إليه تسمى القرامطة أو القرمطية، وكان لهم -كما أشرت سابقًا في تاريخ الإسلام-حوادث هائلة. ونكلوا بكثير من المسلمين في حوادث مؤسفة، وقد ذكر ذلك الإمام الحافظ ابن كثير -رحمه الله-في حوادث سنة ثمانية وسبعين ومائتين قال: وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت، ومزدك، وكانَا يبيحان المحرماتِ، ثم هُمْ بعد ذلك أتبعوا كل ناعق إلى باطل وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطن من جهتهم؛ لأنهم أقل الناس عقولًا. ويقال لهم: الإسماعيلية؛ لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق، وفي سنة ست وثمانين ومائتين تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، واستولوا على هجر

وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد، وقد كان أبو سعيد هذا سمسارًا في الطعام يبيعه للناس في القطيف، فجاء بعض الدعاة الباطنيون إلى شيعة القطيف فاستجابوا له، وتأمر عليهم أبو سعيد الجنابي، وأصله من بلدة جنابة قريبة من القطيف، وعاثوا في الأرض فسادًا، وأخافوا أهل العراق والشام، إلى أن هلك أبو سعيد هذا في عام واحد وثلاثمائة، فتولى بعده ولده أبو طاهر، وكثر دعاة القرامطة وصارت لهم دولة.

ثم اشتدَّت شوكتهم جدًّا بعد ذلك في سنة سبعة عشر وثلاثمائة، وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة والناس في يوم التروية، فما شعر الناس إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر هذا قد انتهبوا أموالهم، وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع من حوله، والسيوف تعمل في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، وكان يقول هذا الملعون: أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا –تعالى الله عما يقول علوًّا كبيرًا– ولم يدع أحدًا طائفًا أو متعلقًا بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بعد ذلك بإلقاء القتلى في بئر زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاء قرمطي فضرب الحجر بمثقل في يده، وهو يقول: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلعه وأخذوه معهم، فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة. وهو ابتلاء من الله للمسلمين في ذلك الوقت.

وفي نفس هذه السنة نبغت لهم نابغة في بلاد المغرب عرفت باسم الفاطميين، على يد زعيمهم أبي محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وكان يهوديًّا صباغًا بقرية سلمية، فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد المغرب، وادعى أنه شريف فاطمي فصدقته طائفة كثيرة من البربر، حتى صارت له دولة فملك مدينة سجى الماسة، ثم ابتنى مدينة سماها المهدية، وانتزع الملك من يد أبي نصر زيادة الله، آخر ملوك بني الأغلب على أفريقيا.

وقد اختلف في نسبه فمرة قيل: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب > ومرة قيل: إنه من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق. قال ابن خلكان – رحمه الله: "والمحققون ينكرون دعواه في النسب، وينصون على أن هؤلاء المتسمين بالفاطميين أدعياء، وأنهم من أصل يهودي من سلمية بالشام، وأن والده لقب بالقداح

لأنه كان كحالًا يقدح العيون، وقد هلك عبيد الله سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة من الهجرة النبوية".

وتمكن حفيده المعز من الاستيلاء على مصر، واستمر ملك العبيديين بها قرابة قرنين من الزمان، إلى أن قضى عليهم بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي، وأزال منها كل آثار العبيديين، وقطع شرورهم عن الناس وأراح الله منهم العباد.

ولخطورة هذه الطائفة من طوائف الباطنية -وأعني بهم القرامطة-سأذكر هنا أماكن وجودهم، وسأذكر أيضًا بعض ما فعلوه في هذه الأماكن تحذيرًا للأمة منهم.

فمن أماكن وجود القرامطة اليمن، وقد تزعم القرامطة في اليمن في أول الأمر رجلان، وهما المنصور بن الحسن بن زاذان وعلي بن الفضل، أرسلهما ميمون بن ديصان القداح، وقد تلقب المنصور بمنصور اليمن، واجتمع حوله عدد من القبائل، وأظهر الدعوة باسم الإمام الإسماعيلي المنتظر، وقد تمكن سنة ست وستين ومائتين أن يؤسس أول دولة إسماعيلية باليمن، وقام بنشاط كبير.

ثم أرسل الدعاة إلى عدة جهات بعيدة عن مركز الخلافة العباسية، وذلك مثل إرساله للداعية عبيد الله المهدي، الذي ذهب إلى المغرب وادَّعى كذبًا أنه شريف فاطمي من آل البيت، وكوَّن هناك دولة كما سبق، وكان علي بن الفضل أيضًا من أصدقاء المنصور إلا أنه اختلف معه فيما بعد، وقامت بينهما حروب حين تمكن علي بن الفضل من جمع عدة قبائل حوله، ثم ادَّعى النبوة وأباح المحرمات، وكان يؤذن المؤذن في مجلسه فيقول: وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وامتد له العتو وهذا الفجور فكان يكتب إلى عماله: من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضلظ، إلى عبده فلان، إلى أن مات مسمومًا بواسطة طبيب أقسم ليقتلنه غيرةً لله، فتم له ذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأيضًا القرامطة وجدوا في العراق، ولا شك أن العراق كما هو معلوم أرض قريبة من بلاد فارس، وهي مهد الشيعة ومركز الجهل والخرافات أيضًا، وقد نشط الدعاة من الإسماعيلية في العراق من أمثال مهرويه وهو مجوسي من أصل فارسي، وحسين الأهوازي وهو فارسي وانتسب إلى الأهواز لإخفاء شخصيته؛ لأن الأهواز كانت عربية وتسمى

الأحواز، وعبيد الله بن ميمون القداح رأس الدعوة الإسماعيلية، الذي فـــرق أولاده في أماكن كثيرة من تلك الجهات. ونشط دعاة آخرون متسترون بالدين وبالانتســـاب إلى آل البيت، وقلوبهم المجوسية تغلي على الإسلام والمسلمين، وبسطوا نفوذهم في أمـــاكن كثيرة من الأهواز وخراسان والشام، إلى أن قُتل آخر زعمائهم وهو "ذكرويه" في عـــام واحد وثلاثمائة، وبعدها تشتت أتباعه في تفاصيل كثيرة ذكرها علماء الفرق في كتبهم.

أيضًا، وُجد القرامطة في البحرين، وأول ما عرف شأن القرامطة في البحرين كان علـــى يد شخص نزل البحرين، وأعطى نفسه اسم يحيى بن المهدي، وقد ذهب البعض إلى أنه هو الحسن بن بهرام الفارسي، وقد استمال إليه الناس بالتدريج، فأظهر أولًا أنه شـــيعي، وحينما رأى إقبال الناس عليه ادعى أنه المهدي المنتظر، وكانت الدولة العباسية قد بدأت في مراحل الضعف، واشتغلت بمشاكلها الداخلية الكثيرة.

وقد تبع هذا الداعية رجال كان لهم شهرة وقيادة؛ من أمثال الحسن بن بهـــرام الـــذي عُرف باسم أبي سعيد الجنابي، الذي عاث في الأرض فسادًا، وأذاق الناس القتل والجوع، وقد تولى بعده أبو طاهر، وقد أشرت إلى ذلك قبل قليل، وإلى ما فعلوه بحجاج بيت الله الحرام، وقد ذكر ذلك الإمام الحافظ ابن كثير -رحمه الله.

وقد وصل نفوذ هؤلاء القرامطة إلى نجد أيضًا والحجاز والشام، وأرادوا القاهرة إلا أنهـــم صدوا من قبل القائد جوهر الصقلي -رحمه الله-ثم تناوب عدة زعماء على سياسة الناس إلى دعوة الباطنية، والقرامطة في كثير من البلاد، ولكن الله ﷻ نجى كثـــيرًا مـــن بـــلاد الإسلام من ضلال وفساد هؤلاء الناس، ونسأل الله ﷻ أن يقطع دابرهم؛ لأننا ما زلنا نسمع بين الحين والآخر من يقلب في التاريخ؛ لينشر هذه الفرق وهذه الطوائف مـــرة أخرى بين المسلمين.

**الاسم السابع:** الملاحدة، وقد أطلق عليهم هذا الاسم؛ لأنهم ينفون وجودَ الله ﷻ ويقولون بتأثير الكواكب، وقد ذكر هذا عنهم الديلمي -رحمه الله- في كتابه (بيـــان مـــذهب الباطنية وبطلانه). وهذا هو الواقع، ولا يرد على هذا ما يوجد عندهم من ذكر الله تعالى وذكر صفاته ﷻ لأنهم عندما يذكرون الله سبحانه يصفونه بصفات ســـلبية، مؤداهـــا إنكار وجود الله -تبارك وتعالى.

**الاسم الثامن:** المزدكية؛ نسبة إلى رجل يقال له مزدك، قيل: إنه رئيس الخرمية، وقيل غير ذلك، ولعله غير مزدك صاحب الشيوعية الأولى، ثم أطلق على الباطنية لمشابهتهم مذهب مزدك.

**الاسم التاسع:** البابكية، وذلك لانتسابهم إلى بابك الخرمي الذي خرج في أيام المعتصم بناحية أذربيجان، فجهز لهم الجيوش حتى قتلهم، وقد كان من إباحية هؤلاء البابكية أن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم، ويطفئون السرج ثم يتناوبون النساء، فيبيت كل واحد مع امرأة، ويزعمون أن من احتوى على امرأته استحلها بالاصطياد كائنة من كانت، وأن هذا الصيد من أطيب المباحات بزعمهم، وتسمى هذه الليلة ليلة الإفاضة.

وهو عمل لا تقبل به حتى البهائم، وقبلته عقولهم التي هي أحط من عقول البهائم، إضافة إلى أنهم يدَّعون نبوة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام، يقال له: شروين، يزعمون أنه أفضل من نبينا محمد ﷺ ومن سائر الأنبياء جميعًا!!.

**الاسم العاشر:** الخرمية، وكلمة خرم أعجمية، ومعناها: الشيء المستلذ المستطاب الذي ترتاح له النفس، وهو من باب الدعاية لمذهبهم الذي هو في حقيقة الأمر: رفع التكاليف وتسليط الناس على ارتكاب الشهوات، وهو لقب كان يطلق على المزدكية قبل الإسلام، وهم أصحاب الشيوعية الأولى الإباحية، الذين ظهروا في عهد قياذ، وقضى عليهم ولده أنوشروان.

**الاسم الحادي عشر:** المحمّرة، وقيل في سبب إطلاق هذا الاسم عليهم: أنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك، وألبسوها شعارًا لهم، وقيل: لأنهم يطلقون على مخالفيهم اسم الحمير، وقيل: لأن أخلاقهم وطبائعهم صارت شبيهة بطبائع الحمير. ولا مانع أن توجد هذه الأسباب كلها فيهم، وإن كان أكثر العلماء يرجح القول الأول.

**الاسم الثاني عشر:** الهادية، وهو اسم أضافه أحد علمائهم وهو مصطفى غالب، والهادية اسم يشعر بالهداية التي يطلبها كل أحد، ولكن ما أكثر الخداع في التسميات، فهم أليق أن يسموا بالهاوية؛ لأنهم لا هدي لديهم إلا تأليه غير الله ﷻ والسير خلف ميمون القداح اليهودي وأتباعه، الذين دافع عنهم مصطفى غالب في كتابه (أعلام الإسماعيلية) دفاعًا طويلًا. وبقراءة عابرة لكتاب مصطفى غالب هذا -وأعني به كتاب (أعلام الإسماعيلية)- يجد المنصف صريح الكفر والغلو ظاهرًا عليه.

يقول ناصر خسرو من أعلام الإسماعيلية عن المسلمين: "فأعط التأويل للحكماء وأعط التنزيل للغوغاء، فاطلب المعنى الحقيقي لظاهر التنزيل، وكن كالرجال الأصفياء ولا تكن كالحمير فتقنع بالنهيق والقول الهراء".

ويقول مصطفى غالب في ترجمته لمحمد الباقر: "وقيل: إن الإمام الباقر كان يعرف الغيب، وقد تحاشى كلمة يعلم خداعًا منه".

ومن العجيب أن يذكر هذا المؤلف بعض عظماء الإسلام على أنهم من أعلام ورجال الإسماعيلية، كعلي بن أبي طالب > ومحمد الباقر والحسين بن علي بن أبي طالب.

وقال أيضًا مصطفى غالب في غلو الإسماعيلية، وهو على شاكلتهم في غلوهم في الأئمة: "والإسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر، وأنهم خلقوا من الطين ويتعرضون للأمراض والآفات والموت، كغيرهم من بني آدم، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليه وجه الله ويد الله وجنب الله، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم". إلى غير ذلك من الصفات، ونعوذ بالله من الخذلان الشديد.

## منهج الباطنية في الدعوة إلى

من الطبيعي إذًا أن تكون هذه العقيدة الباطلة، التي اعتقدها هؤلاء الباطنيون تدفعهم دفعًا إلى سلوك أيضًا غير سليم وغير مستقيم، ولذلك كان لهم منهج عجيب في تناول أمور العقيدة، وقد اقتبسوا من أساليب الرمزية الفارسية والمادية اليهودية ما أصبح لهم منهج مستقر، في دعوة الناس إلى الإقبال على ما يعتقده هؤلاء الباطنيون.

ومن ثم كان لا بد أن يكون المنهج في الدعوة للباطنية ترجمة أمينة، تحقق ما يصبو إليه الباطنيون، ومن هنا فقد رأينا العجب التنظيمي في قواعد وأساليب الدعوة الباطنية، مما يتأكد معه تمامًا افتراق المنهج الباطني والباطنيين جميعًا عن ساحة الدعوة الإسلامية.

فبينما الدعوة إلى الله في الإسلام تكون على بصيرة وحكمة وسماحة، وبغير تعقيد في الممارسة أو في الطقوس، والناس جميعًا يستوون فيها -أعني في الدعوة الإسلامية- طالما أنهم أهل للمسئولية، إلا أن القواعد الباطنية في الدعوة لمذهبهم تخالف ذلك، وهي بلا

شك قد اعتمدت على أساليب تختلف تمام الاختلاف عما جاء به الإسلام، ولذلك سلكوا في دعوتهم إلى مذهبهم مسالك شتى، لا بد أن نبينها لطالب العلم هنا، وهذه المسالك كانوا يعملون فيها بالتدريج، وكانوا ينتقلون فيها من مسلك إلى آخر، **وهذه المسالك هي:**

**الأول:** "التفرس والخداع"، ومعنى هذه الخاصية أو القاعدة في المنهج الباطني أن يكون الداعي للباطنية ذكيًّا فطنًا متفرسًا، على درجة عالية من القدرة على الخداع، ولا بد له أن يميز بين من يطمع فيه ويوثق بلينه حتى يقبل ما يلقيه إليه، وأن يكون هذا الداعي ذا حدس وقدرة على التلون، وتغيير الظواهر وردها إلى الباطن، وأن يكون متمتعًا بالقدرة التي تعاونه على دعوة كل واحد ممن يختار بما يصلح له؛ ليقبل عليه وينضوي في العمل الباطني معه. ولذلك نجد أن هؤلاء لا يوجد عندهم بأس أبدًا أن يتوجهوا في دعوة الشيعي عن طريق التشيع، وأن يأتوا إلى الزاهد عن طريق الزهد، وأن يأتوا إلى الماجن عن طريق المجون، وهذا هو معنى التفرس والخداع عندهم، وهو منهج من مناهجهم ووسيلة من وسائلهم في الدعوة إلى مذهبهم.

**الثاني:** "التأنيس"، والمعنى المراد من ذلك هو أن يكون الداعي لمذهبهم متلونًا في الممارسة، متغيرًا في أساليب الدعوة الباطنية، ينطلق من خلال حيلة التأنيس، إلى أن يوافق في دعوته من يحب أن يدعوه إلى الدخول في الباطنية، فيوافقه على ما هو عليه حتى يأنس به، وإذا أنس به لا شك أنه سيدخل معه في مذهبه.

**الثالث:** "التشكيك"، فهؤلاء الباطنيون كانوا يستدرجون المدعو إلى مرحلة التأنيس أولًا، ثم بعد ذلك يبدءون في حيلة أخرى ومنهج آخر، ألا وهو التشكيك، وذلك بعد أن يأنس المستجيب لدعوة الباطنية، فيبدأ الداعي الباطني في مرحلة تغيير عقيدته، وذلك بإثارة أسئلة حول بعض الأمور الشرعية التي لا علة لها إلا حكمة التعبد، والامتثال لأمر الله تعالى. فيأتي الداعي الباطني، ويسأل هذا الذي يحب أن يدخله في الباطنية مشككًا إياه، فيسأله عن أمور في غالب الأمر لا يكون هو من الذين يملكون الإجابة عليها، وليس مزودًا بالزاد الإسلامي الذي يمكنه أن يرد عليها، ويبدأ معه بالسؤال عن المتشابهات وأوائل السور، ولم هي هكذا، ثم يسأله بعد ذلك أسئلة محددة. مثل: ما بال الحائض تقضي الصوم دون الصلاة؟ وما بال أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة؟ وغير

ذلك مما يمكن أن يقع فيه المسلم -غير المحصن بأحكام الدين وتقواه-في مزالق شيطانية، تسلمه إلى ما يبتغي الباطنية من أهداف وغايات، حتى يجردوه من عقيدته بعد تشكيكه.

**الرابع:** "التعليق"، فكل الأعمال التنظيمية السرية في بادئ أمرها حين تجند عناصر ونماذج، تؤهلهم لعضويتها، نجد أنهم يعلقون عضوية هذا العضو الذي جندوه، تمهيدًا لربطه بالجماعة الباطنية، وذلك بعد أن يكون قد دخله الشك والريب في أمور عقيدته، واهتز سكون نفسه، وهذا منهم دليل على أنهم يحاولون ألا يطلعوا أحدًا على منهجهم الفاسد الباطل، إلا بعد أن يصل إلى مرحلة تمكنه أن يقبل ما هم عليه، وأن يتنازل عن دينه، ومن هنا استخدموا حيلة التعليق.

**الخامس:** "الربط"، وهي تأتي بعد حيلة تعليق العضو؛ لأن العضو بعد أن يعلَّق تنتابه الحيرة وتفترسه الشكوك، وتكون حاجته إلى حماية الباطني قوية، فتجيء مرحلة الربط وهي أخذ العهود والمواثيق من المدعو، وأخذ المال الذي جعلوه على من استجاب لهم، ولهم في ذلك طقوس ويمين وعهد أشبه بطقوس المحافل الماسونية.

**سادسًا:** "التدليس"، وهذه المرحلة من مراحل العمل الباطني فيها يكون العضو أكثر من مجهز؛ ليقبل الأفكار والمعطيات التي تقدم له، وهنا يوضع أمام من يقول له في كل ما ينظم علاقته بالعمل الباطني: إن أمر الدين ليس بهين ولا مكشوف، وهو سر الله المكتوب وأمره المخزون، ولا ينهض بحمله إلا الإمام المنصور، الذي هو الطريق إلى علم النبي الناطق، وهم بهذا يدلسون عليه.

**سابعًا:** "التأسيس"، وهذه المرحلة يكون العضو فيها قد أوشك أن يكون باطنيًّا، فتوضع أمامه جملة من القضايا التي لا تنكر في الظاهر ولا تبطل الباطن، فتستدرج المدعو من حيث لا يعلم، عندئذ يطرح عليه بعض ركائز منطلقاتهم، حين يعرفون أن الظاهر قشر وأن الباطن لب، وأن الظاهر رمز وأن الباطن هو المعنى المقصود، ويوردون عليه أشياء هكذا، حتى يجعلونه من المستعدين تمامًا والمتأسسين لقبول هذا المنهج الباطل.

**ثامنًا:** "الخلع"، وهذه الرتبة القاعدة الثامنة من النهج الباطني في تجنيد العناصر التي يستهدفونها، وهي لا تأتي إلا بعد مرحلة التأسيس، ومعناها عندهم التدرج التنظيمي

لعضوية الباطنية: الخلع من الدين، والتعبد بدين الباطنية، بعد أن ينتهجوا معه المسالك التي سبق ذكرها.

**تاسعًا:** "الانسلاخ"، وهذه المرحلة هي الغاية المستهدفة أصلًا، ولا تأتي إلا بعد المراحل الباطنية التي سبق أن ذكرتها جميعًا، ومعناها أن ينسلخ العضو من عقيدته بالكلية وهي العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ ليدخل في العقيدة الباطنية ويترك ملة الإسلام.

# (عقائد الباطنية)

## عناصر الدرس

العنصر الأول : المنهج الباطني في تناول النصوص، ومن أين استمدوه؟

العنصر الثاني : تفصيل معتقدات الباطنية

## أ. المنهج الباطني في تناول النصوص:

عرفنا بادئ ذي بدء أن القاسم المشترك بين الفرق الباطنية والخاصية المشتركة بينهم هي قولهم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلًا، ودواعي التأويل بالباطل عندهم، وسأورد هنا بعضًا منها حتى يمكن التعرف عليهم، وكيف أنهم ينهجون هذا المنهج في تناولهم للنصوص ليصلوا إلى أهداف مختلفة متعددة.

### فدواعي القول بالظاهر والباطن عندهم عديدة:

**الأول:** التخلص من قيد نصوص الشريعة؛ ابتغاء التوفيق بينها وبين الرأي الذي يذهب إليه صاحب التأويل.

**الثاني:** التخلص من قيد النص ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ، وبين ما يقتضيه عقل القائلين بالباطن.

ومما يجدر ذكره هنا أن عملية تأويل النصوص هي عملية قديمة، امتد تأثيرها اليوناني الأصل إلى نصوص العقائد القديمة، وإلى نصوص القانونية والأدبية، فمنذ صاغ هوميروس شعره الذي أصبح ذا سلطة، أخذ الأدباء اليونانيون في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله، وقد سار "زينون الرواقي" في تفسير شعر هوميروس بهذا النهج الباطني، الذي يؤول النصوص.

ثم انتقل التأويل الرمزي أو التأويل بالباطن إلى اليهودية على يد ثيلون اليهودي، الذي يعتبر من أكبر ممثلي النزعة إلى التأويل بالباطن في العصور القديمة، وإن كان هناك في اليهودية قبل ثيلون ممن فسروا إبراهيم عليه السلام بأنه النور، وهذا تأويل باطني باطل، أو فسروا إبراهيم أيضًا بالعقل، كما فسروا سارة بأنها الفضيلة، وفسروا عيد الفصح بأنه خلق العالم.

ثم تطور التأويل إلى أن اعتقدوا بأن الجنة هي ملكوت الروح، وشجرة الحياة في أخبار التوراة هي الخوف من الله، وشجرة المعرفة هي الحكمة، والأنهار الأربعة في الجنة التي

تحدثت عنها التوراة بأنها الفضائل الأربع الأصيلة، كما أولوا هابيل بأنه التقوى وقابيل بأنه الأنانية.

ومن "ثيلون" اليهودي وبتأثير من ثقافته انتقل التأويل الرمزي إلى المسيحية، وخصوصًا في العصر الذي يسمى عصر الأدباء، وأمام عمليات الوضع للنصوص الدينية في اليهودية والمسيحية كانت جهود العلماء، الذين عارضوا المنهج الرمزي والتأويل، الذي جرّ على أتباع الديانتين من الفرقة والضياع الشيء الكثير، وخاصة أمام بعض النصوص ذات الطابع الغنائي أو الجنسي، مثلما هو الحال في الكتاب المسمى بنشيد الإنشاد في اليهودية، حتى إن "مارتن لوثر" المجدد في النظر المسيحي في العصور الوسطى، والذي رفض منهج التأويل الباطني، اضطر إلى قبول هذا المنهج في تناول نشيد الإنشاد بالذات، والذي هو في التاريخ اليهودي منسوب إلى معتقدات اليهود الدينية، مع أنه عبارة عن نوتة موسيقية جنسية صارخة.

هذا؛ ومما يجدر ذكره هنا أن التأويل بالباطن، ضرورة عقدية عند اليهود والنصارى في تناولهم للنصوص، التي يعتقدون أنها تتصل -فيما زعموا- بالأنبياء.

إذًا هؤلاء الباطنيون تناولوا النصوص بالتأويل، وهذا الذي أود أن أبينه هنا لطالب العلم.

## ب. من أين استمد الباطنيون مذهبهم؟

ذكر عبد القاهر البغدادي -رحمه الله- كلامًا جميلًا في هذا الموضوع، فقال -رحمه الله: "ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يَجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسسًا، مَن قَبِلَها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن الكريم، وسنن النبي # على موافقة أسسهم.

وبيان ذلك: أن الثنوية زعمت أن النور والظلمة صانعان قديمان، وأن النور منهما فاعل الخيرات والمنافع، وأن الظلام فاعل الشرور والمضار، وأن الأجسام ممتزجة من النور والظلمة، وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع؛ وهي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والأصلان الأولان مع الطبائع الأربع مدبرات هذا العالم، وشاركهم المجوس في اعتقاد صانعين، غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديم، وهو الإله الفاعل للخيرات، والآخر شيطانٌ محدث فاعل للشرور.

وذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس، وأن الإله هو الأول والنفس هو الثاني، وهما مدبرا هذا العالم، وسموهما الأول والثاني، وربما سموهما العقل والنفس، ثم قالوا: إنهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول، وقالوا: إن الأول والثاني يدبران العالم".

هذا القول الذي قالوه هو بعينه قول المجوس، بإضافة الحوادث لصانعين؛ أحدهما: قديم، والآخر: محدث، إلا أن الباطنية عبرت عن الصانعين بالأول والثاني، وعبر المجوس عنهما بـ"يزدان وأهرمن"، فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية، ووضعوا أساسًا يؤدي إليه.

إذًا هذا المذهب هو في الحقيقة مذهب للمجوس، وأراد دعاة الباطنية أن يعيدوا مجد المجوس، وأن يبرزوا مرة أخرى ديانتهم، فلم يستطيعوا ذلك ولم يمكنهم أن يظهروا عبادة النيران، فاحتالوا على المسلمين بأن قالوا: بأن الدين الذي هو بين أيديكم له ظاهر وله باطن، وأن المعنى الذي يجب أن نعرفه هو الباطن، وأن الظاهر لا نعتني به ولا نقبله.

ومما ذكروه في ذلك أنهم قالوا: ينبغي أن تجمر المساجد كلها، وأن تكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود في كل حال، وكانت البرامكة -وهم باطنية كما سبق أن أسلفت-قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها بالعود أبدًا، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة.

وأيضًا أشير هنا -وأنا أتحدث عن استمداد الباطنيين لمذهبهم-إلى أن اليهود لهم تأثير كبير في الباطنية؛ لأن هذه الفرق الباطنية التي تنسب نفسها للإسلام، وتقول بأن لكل ظاهر باطنًا، قد اتبعوا في هذا القول وسلكوا في هذا المسلك مسلك عبد الله بن سبأ، الذي كان يهوديًّا في الأصل، والذي أدخل مذهب الرفض على المسلمين، ويعتبر عبد الله بن سبأ هذا هو زعيم الحركات الباطنية في الإسلام، وقد تكلمت عن ذلك عند حديثي عن الرافضة.

## تفصيل معتقدات الباطنية

### أ. عقيدتهم في الألوهية:

اختلفت مذاهب الباطنيين في الألوهية على درجات كبيرة من الكفر والإلحاد -كما سيظهر لنا ذلك بتفصيل إن شاء الله-هنا، وذلك أن بعضهم ذهب إلى القول بوجود

إلهين، لا أول لوجودهما من حيث الزمن، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة: السابق، واسم المعلول: التالي، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، وقد يسمون الأول عقلًا والثاني نفسًا؛ تخرصًا وكذبًا، بل قالوا: إن السابق والتالي هما المراد باللوح والقلم.

واستدلوا من القرآن الكريم بما جاء فيه من صيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] كما استدلوا على قولهم بوجود إلهين اثنين بقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم ﴾ [الزخرف: 32] كما قالوا: لولا أن معه إلهًا آخر له العلو أيضًا لما ورد قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: 1] قالوا: وهما أيضًا الرحمن الرحيم.

فهؤلاء قد فهموا من صيغة الجمع: ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ ومن قوله تعالى بصيغة التفضيل: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: 1] أن هناك مع الله ﷻ آلهة أو إلهًا آخر، وأنه في مرتبة أقل، إلا أنهم يقولون بإلهين.

ولا شك أن استدلالهم بالآيات التي استدلوا بها باطل، وهو يدل أيضًا على مدى جهلهم بلغة العرب؛ لأنهم من بلاد فارس فلا يعرفون العربية، وبعضهم لم يتقن العربية أصلًا، ولو علموا أن هذا الخطاب الوارد في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] إنما هو من باب التعظيم، والله ﷻ له العظمة المطلقة، وهذا معروف من اللغة، فالمتحدث إذا أراد أن يعظم نفسه قال: إنا، أو نحن نذكر ذلك، أو نقول كذا، وغير ذلك..

وقد ذكر مصطفى غالب –وهو من علماء الباطنية من أهل سَلَمْيَة–خلاصة معتقدهم في الخالق ﷻ فقال: "ولما كان الله فوق العالم وهو غير محدود، فلا يمكن أن يخلق العالم مباشرة، وإلا اضطر إلى الاتصال به مع أنه بعيد عنه لا ينزل إلى مستواه، ولما كان واحدًا فلا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم؛ لأن الخلق عمل وإنشاء شيء لم يكن، وذلك يستدعي التغير في ذات الله، والإله لا يتغير".

هكذا ذكر هذا الرجل، وقد بنى كلامه على ما ذهب إليه الفلاسفة من قبله، ولا شك أن هذا كفر، ومعنى هذا الكفر أن الله علة العالم وسبب وجوده فقط، وأن الله فوق العالم ولا يستطيع أن يتصل به، ويخلقه بنفسه مباشرة لأنه واحد، ويستنكف أيضًا أن يباشر خلق الأشياء بنفسه لترفعه وعلوه. وهذا من أعظم الجهل والغفلة.

وقد ذهب قسم آخر من الباطنيين إلى الاعتقاد بأن عليًّا > هو الذي خلق السماوات والأرض، وأنه هو المحيي المميت المدبر لهذا العالم، وأنه ظهر في صورة الناسوت -يعني في صورة الناس-ليؤنس خلقه وعبيده ليعرفوه ويعبدوه، وقد أنشد بعضهم أبياتًا تحمل شركًا وكفرًا عظيمًا، زعم فيها قائلها أن الإله الذي لا إله إلا هو هو علي بن أبي طالب <.

وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى لا يصح وصفه بأنه موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا موصوف ولا غير موصوف، ولا قادر ولا غير قادر، وهذا ما يقصده مصطفى غالب، حين قال: "وتحدث الفلاسفة الإسماعيليون عن وجود الله -تعالى- وضرورة استناد الموجودات واحتياجها إلى موجد، ونفوا عن الله الأيسية كما نفوا عنه الليسية، وقالوا: إن الله لا يمكن أن يكون ليسًا ولا أيسًا، أي: إنه لا يصح أن يكون الله غير موجود، ولا أن يكون موجودًا من نوع الموجودات التي وجدت عنه، ويطلق عليه اسم المبدع الأول والعقل الأول والمحرك الأول، ويأتي بعده في ترتيب العقول العقل الثاني، الذي وجد عن طريق الانبعاث". إلى آخر تقسيمه الطويل الممل، وإلى آخر ما ذهبوا إليه من خرافات وإلحاد.

وغرضهم الحقيقي في الحديث عن ألوهية رب العالمين سبحانه، غرضهم هو نفي وجود الله تعالى، بوجه يدق على عوام المسلمين حتى لا يدركوه، ولا يعرفوا أنهم أرادوا نفي الألوهية عن رب العالمين سبحانه، وإن أحبوا أن يقرروا ذلك أرادوا أن ينفوا وجود الله ﷻ وأن يعمّوا ذلك عن عوام المسلمين.

ولا يمكن بلا شك أن يصدق إنسان بالأوصاف التي ذكروها عن رب العزة والجلال ﷻ؛ لأن هذه الأوصاف لا تقال إلا على المعدوم، ولا شك أيضًا أن مثل هذه المزاعم التي ذكروها عن الذات الإلهية معلوم بطلانها من دين الإسلام بالضرورة، فمن المعلوم في دين رب العالمين سبحانه، أنه لا خالق إلا الله ﷻ وهذا معلوم عند أصحاب كل الأديان، ولا شك أن علي بن أبي طالب > وسائر الأكوان: مخلوقة، خلقها رب العالمين سبحانه، وأوجدها بعد أن لم تكن موجودة، وأنه لا يملك أحد لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، وأن الذي يُسيِّر هذا العالم هو رب العباد ﷻ.

ولا أملك هنا إلا أن أذكر قول الحق -تبارك وتعالى-بعدما ذكروا هم عقيدتهم في الله ﷻ فأكرر هنا وأذكر قوله سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67].

## ب. اعتقادهم في النبوات:

الباطنيون يجحدون نبوات الأنبياء وينكرون المعجزات، ويزعمون أنها من قبيل السحر والطلاسم، ويفسرون النبوة بأنها عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيئة لأن تنقش عند الاتصال بالنفس الكلية -بما فيها من الجزئيات- أن تنقش فيها معارف ومعلومات، كما يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام، عندما تشاهد في مجاري الأحوال في المستقبل، إما صريحًا بعينه أو مدرجًا تحت مثال يناسبه مناسبة ما، فيفتقر فيه إلى التعبير، والنبي هو المستعد لذلك، وهو الذي تنزل عليه أو يشاهد هذه الأحوال في يقظته ثم يعبر عنها بعد ذلك.

كما يزعمون أيضًا: أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حدودها، كما لا تستكمل النطفة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر، فكذلك هذه القوة كمالها أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت.

ومن هذا التصور الرديء اعتقدوا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض على النبي، لا أنه شخص يتنقل من علو إلى سفل، وعلى هذا فهم يعتقدون أن القرآن الكريم تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو جبريل، وسمي كلام الله مجازًا.

وهم بهذا أيضًا يعتقدون أن النبوة ليست اصطفاء ولا اجتباء من الله تبارك وتعالى، وإنما يكتسبها الإنسان الذي عنده القوة القدسية والنفسية الصافية المهيأة بأن تتقبل هذه المعاني والمعارف من العقل الفياض، كما يزعمون في معتقدهم الباطل.

ومن اعتقاداتهم الباطلة التي بينها الإمام الغزالي -رحمه الله-في حديثه عن النبوات أنهم قالوا: كل نبي لشريعته مدة، فإذا انصرمت مدته بعث الله نبيًّا آخر ينسخ شريعته، وحددوا لشريعة كل نبي سبعة أئمة، أولهم النبي الناطق ثم الأساس الصامت ثم السوس.

ومعنى الناطق: أن شريعته ناسخة لما قبله، ومعنى الصامت أن يكون قائمًا على ما أسسه غيره. قالوا: ولكل نبي سوس، والسوس هو الباب إلى علم النبي في حياته، والوصي بعد

وفاته، والإمام لمن هو في زمانه، ومن هنا زعموا أن آدم سوسه شيئًا، وهو الثاني، ويسمى من بعده متمًّا ولاحقًا وإمامًا، إلى أن بعث الله محمدًا ﷺ وسوسه علي بن أبي طالب، وقد استتم دوره بجعفر بن محمد، فإن الثاني من الأئمة: الحسن بن علي، والثالث: الحسين بن علي، والرابع: علي بن الحسن، والخامس: محمد بن علي، والسادس: جعفر بن محمد، وقد استتموا سبعة معه، وصارت شريعته ناسخة، وهكذا يدور الأمر أبد الدهر.

ولا شك أن هذا انحراف خطير وكلام يحمل من الباطل الشيء الكثير، وهذه الضلالات يعبر عنها بعض علمائهم فيقول: ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين والناطق السابع؛ لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية، فقام بنسخ الشريعة التي سبقته، فجمع بين النطق والإمامة، ورفع التكاليف الظاهرية للشريعة، فنادى بالتأويل واهتم بالباطن، إلى أن يقول حاكيًا عن أحد دعاتهم في ضمن فضائل محمد بن إسماعيل: وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ﷺ.

ووصف مصطفى غالب محمدَ بن إسماعيل بأنه القيامة الكبرى لاكتمال الدور به والابتداء من جديد، ويقول "النوبختي" وهو من أعرف الناس بهم: "وزعموا أن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب # للناس بغدير خم، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب، واعتلّوا في ذلك بقول النبي ﷺ: "من كنت مولاه فعلي مولاه" وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة، وتسليم منه في ذلك لعلي بن أبي طالب > بأمر الله ﷻ وأن النبي ﷺ بعد ذلك كان مأمونًا لعلي محجوجًا به".

إلى أن قال "النوبختي": "وزعموا أن محمد بن إسماعيل حيّ لم يمت، وأنه في بلاد الروم وأنه القائم المهدي". ومعنى القائم عندهم أنه يبعث برسالة وشريعة جديدة، ينسخ بها شريعة محمد ﷺ إلى أن قال: "واعتلوا في نسخ شريعة محمد ﷺ وتبديلها بأخبار رووها عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، أنه قال: لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدًا، وأنه قال: إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، ونحو ذلك من أخبار القائم".

وسبب ذكر هذا الكلام إنما هو لإيضاح إصرار الباطنية على نسخ شريعة محمد ﷺ، وعلى أنهم لا يؤمنون على وجه الحقيقة بنبوة أو رسالة، وأن ما يظهره مصطفى غالب وغيره من عتاة الباطنية، من التلاعب بمعاني الكلام إنما هو خداع للناس، وستر لهذه العقيدة

الخبيثة، التي ترد ما أخبر الله به من إتمام الدين إلى أن تقوم القيامة، وينتهي هذا الكـــون ومن فيه ولا يبقى إلا وجه الله ﷻ.

ولا يخفى على طالب العلم اللبيب ما في آخر كلام "النوبختي" الذي ذكرته قبل قليل، من عبارات تتفق مع هوى الشيعة الغلاة، حول كتاب رب العالمين ﷻ وقـــد تحـــدثت في دروس سابقة عن موقف الرافضة من كتاب الله ﷻ.

وأما استدلالهم بأن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، بمعنى يظهـــر شـــخص ينسخه، فلا شك أنه كلام يدل على قصر عقولهم، فإن الإسلام والحال ما ذكـــروا لا يبقى غريبًا فقط، بل إنه لا يبقى له أي وجود، فكيف يسمونه غريبًا وقد انمحى ونسخ، وحاشا أن يتم ذلك، وكلامهم إنما هو تأويل للحديث، وكذب على الله ورســـوله ﷺ ولا شك أن الله ورسوله ﷺ لا يمكن أن يؤدي كلامهم إلى هذا الكلام الباطل، الـــذي ذكروه في معنى الحديث.

بل إنه يدل على قلة المتمسكين به، والعاملين بأحكام الدين وتعاليمه، كما كان في بدء أمره كذلك، وأما أن يكون الرسول ﷺ يُبشر في هذا الحديث بنسخ شريعته، فإنـــه لا حقيقة لهذا المقصود إلا في أفهام السخفاء وعقول هؤلاء.

وقد أولوا معجزات الأنبياء تأويلات باطنية، بعيدة كل البعد عن الظواهر التي تـــؤدي إليها هذه النصوص، وعلى ما فهمه منها الذين شاهدوها.

فمثلًا أوَّلوا ثعبان موسى # بغلبة موسى على قومه، كما أولوا إظلال الغمـــام بالإمـــام الذي نصبه موسى لإرشادهم، وعندهم أن وجود عيسى # من غير أب معناه أنـــه لم يأخذ العلم عن إمام مستور معصوم، وإنما استفاد العلم من الله بغير واســـطة، هكـــذا يقولون في عيسى # الذي وجد بكلمة رب العالمين –سبحانه جل في علاه– بـــلا أب، وهو يعد بذلك معجزة، إلا أنهم قالوا معنى ذلك كما أشرت: وجد عيسى كذلك؛ لأنه لم يأخذ العلم عن إمام مستور، وإنما تلقاه من الله مباشرة. كما يقولون في الجن الـــذين ملكهم سليمان قالوا بأنهم هم باطنية ذلك الزمان، وقالوا في الصيام هو الإمساك عـــن كشف السر.

وهذه في الحقيقة تخرصات وتلفيقات، كلها أرادوا منها أن يهدموا دين رب العالمين ﷻ، وقد أورد الإمام الغزالي –رحمه الله– في كتابه (فضائح الباطنية) أمثلـــةً كثـــيرة لهـــذه

التأويلات الباطلة، وقد ذكر في ذلك فصلين؛ ذكر في الفصل الأول: تأويلاتهم للظواهر، وفي الفصل الثاني ذكر: استدلالهم بالأعداد والحروف، وبيَّن زيف أقوالهم في عدة صفحات، وهكذا الديلمي -رحمه الله- بيَّن في كتابه "بيان مذهب الباطنية وبطلانه" فساد ما عليه هؤلاء الناس في هذه التأويلات الباطلة، التي أرادوا بها التنكر في الحقيقة لبعثة الأنبياء والمرسلين.

### جـ. اعتقادهم في الآخرة:

اتفقت كلمة الباطنية على إنكار الآخرة التي جاء الإسلامُ بتفاصيل بيانها، وأوَّلوا القيامة في القرآن والسنة وقالوا: بأنها رموز تشير إلى خروج الإمام، وقيام قائم الزمان إمام العصر السابع الناسخ للشرع المغير للأمر، كما يصفونه، وقد ذكرت ذلك في معتقدهم فيما مضى، وأنكروا بعث الأجسام والجنة والنار، وقالوا: إن معنى المعاد هو عود كل شيء إلى أصله، وأن الإنسان مركب من عالم روحي وعالم جسماني، فالجسماني منه جسده، وهو مركب من الأخلاط الأربعة؛ وهي: الصفراء والسوداء والبلغم والدم، فيتحلل الجسد ويعود كل خلط إلى طبيعته، فالصفراء تصير نارًا، والسوداء تصير ترابًا، والدم يصير هواء، والبلغم يصير ماء، وهذا هو المعاد الجسدي عندهم، فلا تعود الحياة إلى الأجساد بعد الموت.

أما الروحاني وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان، فإنها إن صفيت بالمواظبة على العبادات، وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات، وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة عن الأئمة الهداة، اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني، الذي كان منه انفصالها، فتسعد بذلك وهذا هو جنتها، بهذه الخرافات والأباطيل فسروا المعاد الأخروي.

ولا شك أن هذا مأخوذ من مذاهب الهندوس والبوذيين، ولذلك أجمع هؤلاء الباطنيون على القول بالتناسخ الموجود عند البراهمة والبوذيين، وصبغوه في الظاهر بالإسلام، فصار الكلام مسلمًا والفكر هندوسيّا وبوذيًّا ووثنيًّا، وقد أكثر الشيخ إحسان إلهي ظهير -رحمه الله تعالى-عن كتب الباطنية وتأويلاتهم لأخبار القيامة، بما لا يتسع استقصاؤه في هذه العجالة.

### د. اعتقادهم في التكاليف الشرعية:

يتميز مذهب الباطنية بأنه من أشد المذاهب استحلالًا للمحرمات، وأوغلوا في الإباحية البهيمية وأكثر تفلتًا عن القيام بالتكاليف الشرعية، وتبرمًا منها، مع أنهم لا يتظاهرون أمام العامة بترك التكاليف إلا فيما بينهم، وأما ظاهر مذهبهم فهو لزوم القيام بالتكاليف، بل وأحيانًا بعضهم يبالغ في إيجاب أشياء لم تجب ليظهروا بمذهب الزهاد والعباد، وليستفيدوا من جهة أخرى إرهاق الناس بكثرة التكاليف لتضيق صدورهم بها، وفي مقابل ذلك يركز هؤلاء الفجار على مسامع الناس أن الخروج من تبعة هذه التكاليف أمرٌ ميسّر لكل أحد أراده، وحينما يشتاق الشخص إلى معرفة هذا الأمر لا يجودون به عليه إلا بعد مراحل واختبارات عديدة؛ ليشعر المدعو فعلًا أنه قد وصل إلى السر بعد تعب واجتهاد، ومعرفة هذا السر يكون بطلب التابع لهم رتبة الكمال في العلوم، التي تؤخذ بشرط من نواب الإمام المعصوم المستور.

وعلى الشخص أن يجتهد ويسعى في العبادة في أثناء تلقيه لذلك، إلى أن يصل إلى رتبة الكمال، وهي في الحقيقة رتبة منتهى الجهل والغفلة، وأن يكون بهذا إذا وصل إليها -إذا وصل إلى هذه الرتبة-أن يكون محبًّا للشهوات والفواحش على حد ما أخبر به "النوبختي" حيث قال وهو يعدد عقائد الباطنية: "وإن الله -تبارك وتعالى- جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم ﷺ". ومعناها عندهم الإباحية للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا، وهو قول الله ﷻ: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: 35].

هذا، بالإضافة إلى أنهم يعمقون في ذهن الشخص أن القيام بهذه التكاليف، والمنع والإباحة تستهدف من ورائها فائدة واحدة؛ وهي استنهاض همة القلب ليصل إلى معرفة بواطن هذه الأمور، فإذا لم يكن كذلك فإن عليه أن يبقى في عداد الجهال، الذين هم مثل الحمير التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة.

وبهذا الزخرف من القول أخذوا ينشرون هذا المذهب، الذي هو شر المذاهب بإطلاق، فإسقاط التكاليف الشرعية هو في الحقيقة مجون وفجور، ولقد كان للرافضة عليهم فضلٌ كبير، فقد أخذوا عنهم -أعني: أخذ الباطنيون من الرافضة-فكرة الإمام المعصوم المستور، وأنه لا حق إلا ما خرج عن الأئمة، كما أخذوا عنهم تحريف الآيات على حسب هواهم، ودعوى وجود الإمام الصامت والناطق، ونسخ الشريعة الإسلامية

بمجيء مهدي الشيعة، ومجيء الإمام السابع من الأئمة المستورين عند الباطنية، وأشياء كثيرة لا تخفى على الدارس.

و"الكليني" وهو رافضي شيعي متعصب يفسر قول الله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: 45] فيقول عن موسى بن جعفر أنه قال: البئر المعطلة: الإمام الصادق، والقصر المشيد: الإمام الناطق، والباطنية بهذا استفادوا من مثل هذه التأويلات الباطلة التي ذكرها هؤلاء؛ لكي يبطلوا شريعة النبي ﷺ.

فالتأويلات عند الرافضة لها وقع كبير وأمر عظيم في ديانتهم، وقد أولوا كثيرًا من الشريعة، والباطنيون انتفعوا كثيرًا بمثل هذه المعتقدات الباطلة، التي كوَّنوا منها ومن غيرها مذهبهم الرديء، الذي خرج بسببه الآلاف المؤلفة من الناس عن دينهم.

### هـ. بيان اعتقاد الباطنيين في الإمامة:

اتفق الباطنيون على أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق، يرجع إليه في تأويل الظواهر، وحل الإشكالات في القرآن والأخبار والمعقولات، واتفقوا على أنه المتصدي لهذا الأمر، وأن ذلك جارٍ في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر، ولا يجوز أن ينقطع؛ إذ يكون فيه إهمال الحق وتغطيته على الخلق، وإبطال قوله #: "كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي". وقالوا: هذا أيضًا يبطل قوله ﷺ: "ألم أترك فيكم القرآن وعترتي؟".

واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة، والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور، إلا أنه لا ينزل إليه الوحي، وإنما يتلقى ذلك من النبي فإنه خليفته، وبإزاء منزلته، ولا يتصور في زمان واحد إمامان، كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما.

نعم، يستظهر الإمام الحجج والمأذونين والأجنحة، والحجج هم الدعاة، ولذلك قالوا: لا بد للإمام في كل وقت من اثني عشر حجة ينتدبون في الأقطار، ويتفرقون في الأمصار، ويلازم أربعة من جملة الاثنى عشر حَضْرَته فلا يفارقونه أبدًا، يعني: يلازمون الإمام، ولا بد لكل حجة من معاونين له على أمره، فإنه لا ينفرد بالدعوة لنفسه، واسم المعاون المأذون عندهم، ولا بد للدعاة من رسل إلى الإمام يرفعون إليه الأحوال، ويصدرون عنه إليهم، واسم الرسول الجناح، ولا بد للداعي من أن يكون بالغًا في العلم، والمأذون وإن

كان دونهم فلا بأس بعد أن يكون عالمًا على الجملة، وكذلك الجناح، وذكروا أشـــياء كثيرة أيضًا حول ذلك.

وخلاصة هذا القول: هو أنهم في معتقدهم في الإمامة ذهبوا كمـــا ذهـــب إلى ذلـــك الرافضة، وقالوا: بأن الإمام هو الذي يحل الإشكالات وإليه ترجع كل الأمور، وأنه قائم وموجود ولا يخلو منه الزمان، وجعلوا مع الإمام من يعاونه في هذه المسائل، وهم بهذا في الحقيقة يودون إبطال ألوهية رب الأرباب ﷻ.

إن مذهب هؤلاء الباطنيين ومعتقداتهم في غاية من الضلال والفساد، ولعلي بعد أن بينت معتقداتهم في الألوهية، وفي النبوات وفي اليوم الآخر وفي التكاليف الشرعية، وفي القول بالإمامة، فلعلي بعد ذلك أستطيع أن أقرر وأقول: بأن هذا المذهب مذهب باطل رديء، وهو إلى الكفر في الحقيقة أقرب، بل هو الكفر بعينه.

إن هؤلاء حقًّا أرادوا أن يمجدوا المجوس، وأن يعيدوا مرةً أخرى عبادة النار كما كانت قبل أن ينتشر الإسلام في أرجاء المعمورة، فعمدوا إلى هذا المذهب الباطل وقالوا به؛ حتى يبطلوا دين محمد بن عبد الله ﷺ.

ولذلك لا بد لطالب العلم أن يعرف هذا المنهج وهذه الحيل، التي سلكها هؤلاء، بعد أن يعرف معتقدهم أيضًا؛ حتى نتمكن من أن نقضي على أي بؤرة يمكن أن يكـــون لهـــا وجود في داخل الديار أو البلاد الإسلامية.

إن هذه الباطنية من الباطل بمكان عظيم شديد، وهي في الحقيقة أجمل القول فيها بما قاله أبو حامد الغزالي –رحمه الله– بأن ظاهرهم الرفض وباطنهم هو الكفر المحض، وهذا هو الضلال بعينه، فليحذر كل مسلم من التأويل بالباطل أو الدخول في هذا المنزلق الخطير، ويجب علينا أن نعلم وأن ندرك أن دين رب العالمين قد بينه النبي الأمين ﷺ بما لا يحتاج إليه أحد، والصحابة رضي الله عنهم قد تلقوا من النبي ﷺ وفهمـــوا ظـــواهر هـــذه النصوص، وما تدل عليه، فإذا جاء داع بعد ذلك وقال بالتأويل الباطني الباطل رددناه في وجهه، وتمسكنا بالحق الذي كان عليه صدر هذه الأمة.

# (التعريف بالجهمية ومعتقداتهم)

## عناصر الدرس

العنصر الأول : التعريف بالجهمية، وبمؤسسها وأشهر زعمائهم

العنصر الثاني : عقائد الجهمية، وبيان بطلانها

## التعريف بالجهمية، وبمؤسسها، وأشهر

### أ. التعريف بالجهمية:

الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية، كانت لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله -تبارك وتعالى-وأسمائه، وغير ذلك من المباحث العقدية، وترجع في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي، الذي كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية حينًا من الدهر، وقد عتوا واستكبروا واضطهدوا المخالفين لهم حينما تمكنوا منهم، ثم أدان الله عليهم فَلَقُوا نفس المصير الذي حل بغيرهم على أيديهم، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

لقد كان هؤلاء الجهمية العقبة الكئود في طريق العقيدة السلفية النقية وانتشارها، حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل شغلتهم، وأخذ الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبهات الجهمية ومجادلاتهم لهم وخصامهم معهم، ولكن يجب أن نعلم أن العاقبة الحسنة -ولا تزال-لأهل السنة والجماعة، ولله مزيد الحمد والفضل.

### ب. التعريف بمؤسس هذه الفرقة:

مؤسس هذه الفرقة هو الجهم بن صفوان، وهذا الرجل هو حامل لواء الجهمية وهو من أهل خراسان، ظهر في المائة الثانية من الهجرة، ويكنى بأبي محرز، وهو من الجبرية الخالصة، يعني من القائلين بأن العبد مجبور على أفعاله، وهذا الرجل هو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته.

وكان مولًى لبني راسب إحدى قبائل الأزد، وكان من أخلص أصدقاء الحارث بن سريج، إلى أن قُتل سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة النبوية. وقيل: إن الجهم قتل سنة ثلاثين ومائة، وقيل غير ذلك، وتاريخه طويل، وقد كتبت فيه مؤلفات عديدة، ورسائل جامعية، وكان الجهم هذا كثير الجدال والخصومات والمناظرات، إلا أنه لم يكن له بصر بعلم الحديث و لم يكن من المهتمين به؛ إذ شغله علم الكلام عن ذلك، وقد نبذ علماء

السلف أفكار جهم وشنعوا عليه ومقتوه أشد مقت، مع ما كان يتظاهر به من إقامة الحق.

قال عنه الأشعري -رحمه الله-بعد أن ذكر جملة من آرائه الاعتقادية التي تفرد بها قال: "وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

### جـ. أشهر زعماء الجهمية:

زعماء هذه الفرقة هم: الجعد بن درهم، وهو أول من جاء بهذه البدعة، والجهم بن صفوان وهو الذي نشرها وبثها بعد أن أخذها عن شيخه الجعد بن درهم، ولذا نسبت إليه، أعني نسبت إلى جهم فقيل: الجهمية، وذلك لأنه عندما أخذها من الجعد تولى كبرها ونشرها وبثها في الآفاق، وأيضًا من زعمائهم بشر المريسي الذي قَعَّد هذا المذهب وأصله وناظر عليه.

يقول ابن كثير -رحمه الله: "أخذ الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم، وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر".

ويقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله: "أخذ هذا المذهب عن الجعدِ الجهمُ بن صفوان، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول الجهمية... ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة، التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته".

ولا شك أن أصحاب هذه المقالة الضالة فتحوا باب شر على الأمة الإسلامية، وأفسدوا بمقالتهم هذه كثيرًا من النفوس والقلوب، وقد شكك كثير من أهل العلم في ولاء أصحاب هذه المقالات للإسلام وأهله، وأشاروا إشارات واضحة إلى أن مقصد هؤلاء كان إفساد هذا الدين.

يقول الطبري -رحمه الله تعالى-في الجعد بن درهم: "الجعد بن درهم الزنديق الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن". وقال فيه الإمام الحافظ الذهبي -رحمه الله: "الجعد بن درهم عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة".

إذًا زعماء هذه الفرقة يبتدئون بالجعد بن درهم، ولكننا نقول الجهمية لأن الجهم أخذ من جعد مباشرة، وكان جعد الشيخ الأول لهذا الرجل، ثم إن الجهم بن صفوان هو الذي دافع عن هذه المقالات الفاسدة التي ورثها من شيخه الجعد بن درهم.

### د. مصادر مقالات الجهمية:

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-أصل مقالة التعطيل، وأنها ترجع في نهايتها إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين، يذكر ذلك -رحمه الله-في قوله في (الفتوى الحموية الكبرى) فيقول: "ثم أصل هذه المقالة -يعني تعطيل الصفات-إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام -أعني: أن الله ﷻ ليس على العرش حقيقة، وإنما استوى بمعنى: استولى ونحو ذلك- هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه".

وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر، الذي سحر النبي ﷺ؛ ولهذا كان التجسيم والتشبيه هو أظهر سمات الديانة اليهودية المحرفة، التي ملئت بها التوراة بنص الله تعالى بصفات البشر من الندم والحزن وعدم العلم بالمغيبات، وغير ذلك من المعتقدات الباطلة.

إذًا لليهود دور باطل في معتقدات الجهمية الفاسدة الباطلة.

## عقائد الجهمية، وبيان بطلانها

### أ. إنكار الجهمية للأسماء والصفات، والرد عليهم:

تنكر الجهمية جميع الأسماء التي سمى الله -تبارك وتعالى-بها نفسه، كما ينكرون جميع الصفات التي وصف الله -تبارك وتعالى-بها نفسه، بحجج واهية وتأويلات باطلة، وقد عرفنا فيما سبق مصدر هذه الأفكار التي يعتنقها الجهمية القدماء والجدد، وأنها قد أخذت من اليهود ومن المشركين ومن ضُلّال الصابئة أيضًا.

وهذه المسألة كتب عنها العلماء كتابات مستفيضة ومؤلفات عديدة، وقد دحضوا فيها كل ما تعلق به الجهمية في نفي الأسماء والصفات، وقلما يخلو كتاب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم -رحمهما الله تبارك وتعالى-وسائر علماء الفرق من رد وخصام وجدال مع هؤلاء، فقد دخلوا مع هؤلاء في مجادلات، بينوا من خلالها زيف معتقدات هذه الفرقة الضالة، ويهمني هنا أن أذكر بعض الشبهات التي استندوا إليها في نفي الأسماء والصفات، ثم أرد عليها إن شاء الله.

ولهذا أقول: لقد أَقْدم الجهمية على نفي الأسماء والصفات بمزاعم، **مِن أهمها:**

**أولًا:** أن إثبات الصفات يقتضي أن يكون الله -تبارك وتعالى-جسمًا؛ لأن الصفات لا تقوم إلا بالأجسام، لأنها أعراض والأعراض لا تقوم بنفسها.

**ثانيًا:** قالوا بأنهم أرادوا تنزيه الله -تبارك وتعالى.

**ثالثًا:** قالوا: إن وصف الله تعالى بتلك الصفات التي ذكرت في كتابه الكريم، أو في سنة نبيه الكريم ﷺ يقتضي مشابهة الله بخلقه، وعلى هذا فينبغي نفي كل صفة نسبت إلى الله تعالى وتوجد كذلك في المخلوقات؛ لئلا يؤدي ذلك إلى تشبيه الله -بزعمهم- بمخلوقاته، التي تحمل اسم تلك الصفات.

هذه هي المزاعم التي أدت إلى نفي الجهمية لأسماء الله وصفاته، ولا بد من الرد عليهم وبيان فساد هذه المزاعم، ولذلك أقول: إن مما يدركه طلاب العلم أن الله -تبارك وتعالى-وصف نفسه في كتابه الكريم، ووصفه نبيه ﷺ بصفات عرفنا معانيها، ومع ذلك فنحن لا ندرك كيفياتها، وعرفنا معانيها من خلال لغة القرآن الكريم التي خوطبنا بها، وكذلك ما جاء عن النبي ﷺ في ذلك.

وقد وقف السلف الصالح من الصحابة الكرام إلى وقتنا الحاضر إزاء هذه الصفات موقفًا واضحًا جليًّا، لا لبس فيه ولا غموض، ويتلخص موقفهم في كلمات يسيرة ومعانٍ واضحة؛ ألا وهي: الإيمان التام بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به نبيه ﷺ كما جاءت بذلك النصوص من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه.

وقالوا -رحمهم الله تبارك وتعالى-عن كل صفة: الصفة معلومة والكيف مجهول والسؤال عنها بدعة، ولم يتنطعوا تنطع المشبهة، ولم يسلكوا مسالك المعطلة؛ لأنهم على معرفة تامة أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فلا يصفون ذاتًا غير مدركة

الماهية بصفات تكيفها؛ لأن هذا هو القول على الله بغير علم، إذ كيف تكيف ذاتًا لم تدركها ولم توصف لك أكثر من صفات مجملة، قابلة للاشتراك في الأسماء متباينة الحقائق.

ومن هنا نجد أنه لم يعرف عن أي شخص من الصحابة أنه سأل النبي ﷺ عن كيفية أي صفة من الصفات التي أخبر الله بها في القرآن الكريم عن نفسه، أو أخبرهم بها نبيهم ﷺ عن ربه، وهذه دلالة على قوة ذكائهم وصفاء عقولهم؛ لأنهم يعرفون بداهة أن الاشتراك في التسمية لا يوجب الاشتراك والمماثلة في الذات؛ إذ يقال: رأس الرجل ورأس الجمل ورأس الجبل، وبين ذوات هذه الأشياء من الفروق ما لا يخفى على عاقل، وكذلك بقية الصفات، ولهذا فإن عقلاء الناس حينما آمنوا بصفات الله ﷻ لم يتصوروا فيها أي تشبيه، بل كانوا يعتبرون مجرد التفكير في المشابهة من وساوس الشيطان، فيذكرون الله – تبارك وتعالى.

كما أن إيمانهم بالصفات كان يجري كله على هذا المفهوم، فما كانوا يفرقون بين أن تكون الصفة ذاتية أو فعلية، ولم يحصل بينهم أي نزاع أو جدال في مسائل الأسماء والصفات، كما حصل عند من اتبع هواه ممن عطل أولًا، ثم شبه ثانيًا، ثم زعم بعد ذلك أنه ينزه الله –تبارك وتعالى.

ومن العجائب أن يثبت الله لنفسه الصفة، وهم ينفونها عنه، ومثلهم في هذا كمثل شخص سأل آخر عن اسمه وهو لا يعرفه، فأخبره فقال له: لا، إن اسمك ليس هذا، ذلك أن الله تعالى قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] وهم يقولون: لا يجوز إثبات هذه الصفة بل يجب نفيها مطلقًا أو تأويلها بمعنى استولى أو قصد، أو غير ذلك من تأويلاتهم الباطلة.

وحينما قال تعالى عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] قالوا: يجب نفي مدلول هذا نفيًا تامًّا، أو تأويله إما أن يكون سميعًا بلا سمع بصيرًا بلا بصر، أو أنه سميع بذاته بصير بذاته، إلى آخر مواقفهم الخاطئة تجاه كل الصفات والأسماء.

لقد عارض هؤلاء الجهمية ومن سار على طريقتهم عارضوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقدموا آراءهم وما تراه عقولهم على نصوص الكتاب والسنة، فلم يقفوا عند حدود فهم العقل ومدى قدرته، بل تجاوزوا ذلك وظنوا أنهم على شيء، وزخرفوا القول في ذلك

وتخذلقوا وتنطعوا، فخرجوا من نور العلم إلى ظلمات الجهل، ومن اليقين إلى الشكوك؛ عقابًا من الله لهم لعدم تلقي النصوص ومدلولاتها بالطمأنينة والتسليم، وترك التكلف في البحث عن أمور هي من المغيبات، و لم يخبرنا الله بتفاصيلها ولا رسوله ﷺ.

والواجب علينا أن نتلقى كتاب ربنا ﷻ بالتسليم، وأن نفقه وأن نعرف ما فهمته العرب منه على حسب مقتضى اللغة، التي بيَّنها نبينا ﷺ.

إن تنزيه الله ﷻ لا يمكن أن يكون بسلب صفاته كما يزعم هؤلاء؛ لأن هذه الصفات تدل على العظمة والكمال لله ﷻ. وإنه من الإجرام أن ننزه الله تعالى عما تمدّح به نفسه، ولهذا أقول لهم ما قاله الله في كتابه: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 140] إن التنزيه الصحيح إنما يكون في إثبات الصفة في أعلى كمالها؛ لأن الكمال المطلق لا يوصف به أحد غير الله تبارك وتعالى، وأي تنزيه في أن تقول: إن الله ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن يسار ولا يحس ولا يشم ولا يرى أبدًا ولا يكلم، وإنه في كل مكان بذاته، وإنه لا سمع ولا بصر له، ولا يوصف بالرحمة ولا بالغضب ولا بالمجيء، إلى آخر تلك الأوصاف التي لا تقال إلا للمعدوم.

إنها صفات سلبية نتيجتها ألا معبود إلا العدم، فليس هناك رب بائن من خلقه مستوٍ على عرشه، له كل صفات الكمال والجلال- عند هؤلاء الجهمية المعطلة.

ومن هؤلاء وجد الملاحدة ضالتهم المنشودة في تقوية إلحادهم، واحتجاجهم على ذلك بما زعموا أنه من كلام المسلمين السابق، وهم يعلمون تمام العلم أن كلام الجهمية السابق ليس له بالإسلام أية صلة، وأنه ليس من كلام المسلمين وإنما هو من أفكار ملاحدة الفلاسفة.

إن الجسمية التي يزعمونها حينما يثبتون الصفات لله تعالى إنما هو من باب تغطية إلحادهم، ومروقهم عن الدين، وهم أقل وأذل من أن يجدوا كلامًا ما لعلماء المسلمين، فضلًا عن الصحابة، فضلًا عن الكتاب والسنة، يشير إلى هذا المفهوم الذي تنبهوا له بزعمهم، ونفوا بموجبه صفات الله وأسمائه.

إن كلمة الجسمية لله تعالى نفيًا أو إثباتًا هي من الألفاظ المخترعة، التي لم ترد في الشرع لا في الكتاب ولا في السنة، وهي تخفي وراءها هدفًا ما، ولو وقف هؤلاء الذين يطلقون لفظ الجسم عند الحدود الشرعية، لرأوا أنه يجب عليهم لزامًا ألا يطلقوا على الله إلا ما

ثبت له من الأسماء والصفات، وترك ذلك التنطع المذموم؛ لأن لفظ الجسم لفظ عام يحتاج إلى بيان، كما يحتاج إلى توضيح أيضًا ممن يقول به؛ لأنه لم يرد في الشرع لا بالنفي ولا بالإثبات، ولهذا كان في إطلاقه حق وباطل، ويجب على القائل به تفصيل ما يريد.

وسلف هذه الأمة الصالحين عندما أثبتوا الصفات لله ﷻ لم ينطق واحد منهم بكلمة الجسمية أبدًا، أو خطر على بال واحد منهم ذلك، وكيف يمكن أن يكون هذا، وهم ينزهون الله ﷻ بإثباتهم الكمال المطلق لرب العالمين ﷻ.

ولعل الطالب يكون قد وقف على شيء عندما درس في مباحث العقيدة الإسلامية، في مستوياتها المختلفة في هذه الكلية الإسلامية المباركة، ما يجعله يفهم ما أقصد أن أوضحه، أو أن أقوله له.

### ب. قول الجهمية بالجبر والإرجاء:

لقد كان الجهم بن صفوان مؤسسًا حقيقيًّا لكثير من الشبهات في الدين، ومؤججًا لكثير من الفتن بين المسلمين، بفعل من جاء بعده ممن راقت في نظره آراء جهم.

ويظهر الإرجاء عند الجهمية في تلك الآراء التي نادى بها الجهم، ومن أهمها: عدم اعتبار العلم من الإيمان، فإن الإيمان، وحقيقته في نظرهم إنما هو مجرد الإقرار بالقلب، ولا قيمة للعمل في الإيمان، ولهذا سارع أصحاب الفسق والاستهتار بالقيم إلى التمسك بهذا المذهب؛ لأنه يساير رغباتهم ويثبت لهم الإيمان، بغض النظر عن جميع المعاصي التي يرتكبونها، فهم مؤمنون كاملو الإيمان بالمفهوم الجبري والإرجائي، فهم لا يمكن أن يطلقوا الكفر على أحد بسبب ترك الأعمال، التي أمر الله بها، بل لا يتجاسرون على إطلاق الكفر إلا إذا لم يقر بقلبه، على حسب زعمهم.

وعمومًا فهم أبعدوا وأخرجوا وأخروا العمل عن الإيمان بحال.

قال ابن أبي العز –رحمه الله: "والجبرية أصل قولهم من جهم بن صفوان كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر؛ فإن القدرية إنما نُسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجئ لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما

يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر، حتى الأنواع فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يُجْزَم لمعين".

وقد قام أساس إرجاء الجهمية على موقفهم من حقيقة الإيمان، وأنه المعرفة فقط، وأنه كذلك لا يزيد ولا ينقص، ومن العمل أنهم أخروه وأبعدوا العمل عن الإيمان، وقالوا: بأنه لا صلة له به، كما أنهم قالوا: إن الذنوب لا تعلق لها بالاعتقاد وإنما هي تابعة للأعمال، وبالتالي فلا أثر لها على الإيمان الذي في القلب، فهونوا المعاصي وشجعوا على الركون إلى الكسل والخمول في العبادات.

ومع ذلك فهم يزعمون أن إيمان أي واحد منهم هو مثل إيمان جبريل ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-لاتفاقهم في المعرفة بالله، التي بنى الجهميون عقيدتهم في الإيمان عليها، وهم أجهل الناس بمعرفته ﷻ إذ نفوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى، إضافة إلى ما أحدثوه من الآراء والبدع الفاسدة.

وأما الجبر، وهو بفتح الجيم وسكون الباء، فمعناه: إسناد ما يفعله الشخص من أعمال إلى الله ﷻ وأن العبد لا قدرةَ له ألبتة على الفعل، وإنما هو مجبور على فعله، وحركته في الفعل بمثابة حركة النباتات والجمادات، ومن هنا قالوا: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ لأن العبد مجبور على فعله ولا حول له ولا قوة فيه.

ثم زعموا بعد ذلك أمورًا في الحقيقة لا يعقلها أحد إلا هم ومن قال بقولهم، وهو: أن الله ﷻ مع أنه هو الذي جبر الإنسان على فعله ورغمًا عنه، فمع ذلك فإن الله يعذبه بنار جهنم، مع أن الفعل هو نفسه فعل الله فيه، وقالوا: إن هذا ليس بظلم؛ لأن الإنسان مِلكٌ لله، والظلم في مفهومهم هو المحال لذاته، عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة.

وهذا تكذيب لقول الله - تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، وتكذيب أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 160] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى، وكلها تفيد بأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه، وقد تمدّح بذلك لبيان كمال عدله، فأين هذا

المفهوم من مفهوم الجهمية، حينما يقررون أن الإنسان مجبور على فعله، لا لوم عليه فيما يأتيه من الأفعال القبيحة والمنكرات؛ لأن موجدها إنما هو الله تعالى.

ثم بعد ذلك يقولون: بأن الله ﷻ كلفه بامتثال أمره ونهيه، وكيف يتصور بعد هذا التناقض الذي خرج من هؤلاء، كيف يكلفه الله بالامتثال، ثم يوجد فيه قوة العصيان؟! هذا تناقض وتكليف بما لا يطاق.

وقد أخبر الله تعالى بأن الحق هو عكس هذا المفهوم، فقال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286] وجبر العبد على فعله لا يتفق مع مضمون هذه الآيات وغيرها من الآيات والأحاديث، ويصح على مفهوم هؤلاء الجهمية ألا يقال للزاني: إنه زانٍ، ولا للسارق إنه: سارق، ولا للمصلي: إنه مصل؛ لأن هذه الأفعال هي أفعال الله فيهم، وإنما هم منفذون لها، ولذلك أقول: لقد أعظم هؤلاء على الله الفِريةَ.

### جـ. إنكار الجهمية للصراط والرد عليهم:

الصراط من الأمور الغيبية التي أعدها الله في يوم القيامة، وقد ثبت في الشرع بأحاديث صحيحة، إضافة إلى قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: 71] وفي الصراط تفاصيل طويلة وأخبار كثيرة، وقد ثبت في السنة النبوية أنه جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبره الخلائق بقدر أعمالهم إلى الجنة، فمنهم من يجتازه ومنهم من يقع فيه، وقد ورد في القرآن الكريم لفظة الصراط في تسعة وأربعين موضعًا على معان مختلفة، لكنها متقاربة في المعنى، وقد أريد بها الطريق، أو طريق الهداية والرشاد، وهذا في عرف اللغة.

ولكن السلف -رحمهم الله- ما كانوا ليغفلوا عن حقيقته الشرعية؛ مِن أنه جسر ممدود على متن جهنم، ولم يأت التصريح بذكره في القرآن الكريم، غير أن هناك آيات بعض العلماء جعلها صريحة في ذكر الصراط، وبعضهم يجعلها إشارة إليه، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ } [الصافات: 23] وهذه الآية ليس فيها التصريح التام بذكر الصراط في اصطلاح الشرع، إلا أن يقال: إن طريق الجحيم هو أخذهم إلى الصراط، ومنه إلى النار. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد: 11] وقد ورد في تفسير

العقبة أقوال كثيرة؛ منها: أن العقبة هنا هي الصراط. وكذا قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: 71] أي: بالمرور على الصراط..

أما في السنة النبوية فقد ورد ذكره ووصفه وكيفية المرور عليه في عدة أحاديث، في الصحاح والسنن والمسانيد، منها قوله ﷺ: ((ويضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم)).

وإنكار الجهمية وغيرهم للصراط ليس لهم ما يتمسكون به إلا شبهات باطلة واستبعاد له، ظانين أن استبعاده في عقولهم يصح أن يكون دليلًا على إنكاره، وبغض النظر عن سرد تلك الشبهات فإن النتيجة واحدة، وهي إنكار الصراط، ويكفي في الرد عليهم بعد أن ذكرت بعد الآيات القرآنية، التي فهم منها بعض أهل العلم أنها تشير إلى الصراط، وإلى حديث للنبي ﷺ بعد هذا أقول لهم: إنكم تردون أقوال نبيكم ﷺ بمحض الهوى والشبهات، وليس لكم دليل أبدًا على ما ذهبتم إليه، ومن رد أقوال النبي ﷺ بعد صحة ثبوتها فلا ريب في خسرانه ومفارقته طريق المؤمنين.

## د. إنكار الجهمية للميزان والرد عليهم:

الميزان من أمور الآخرة الغيبية التي يجب الإيمان بها، وقد أنكرته الجهمية، والمراد به في الاصطلاح الشرعي: الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم، وأخبر عنه رسول الله ﷺ في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة، تنويهًا بعظم شأنه وخطورة أمره.

وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها، وقد أخبر الله عنه في القرآن الكريم إخبارًا مجملًا من غير تفصيل لحقيقته، وجاءت السنة النبوية فبينته، والله -تبارك وتعالى- عندما ذكر آيات القرآن الكريم أراد أن يبين أن هذا الميزانَ لا بد من الاعتقاد به والقول به؛ لأنه فيه وزنٌ لمقادير أعمال العباد.

وجاء ذكره في القرآن الكريم في أكثر من آية تنويهًا بأهميته، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

[الأنبياء: 47] وهناك آيات أخرى كثيرة لا تخفى على طالب العلم، ودلالتها على إثبات الميزان أمر ظاهر، وقد وصف الله -تبارك وتعالى- فيها الموازين بالثقل والخفة، وأنها موازين عدل، وأن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية، وأن من خف ميزانه فقد خسر وهوى إلى جهنم.

كما وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة فيها بيان ثبوت الميزان وصفاته، وما الذي يوزن فيه، هل هو العامل فقط، أو العمل فقط، أو العامل والعمل أو صحف الأعمال؟ وما الذي يثقله وما الذي يخففه؟ ومن تلك الأحاديث -وهي كثيرة- قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة > وهو في البخاري ومسلم وغيرهما: ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)). وعنه > أن رسول الله ﷺ قال: ((إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾)) [الكهف: 105].

وثبت أن العمل يوزن، ويوزن أيضًا العامل، وتوزن صحائف الأعمال، وروي أن أشد ما يكون الناس خوفًا في يوم القيامة عندما يأتي دور الوزن.

وقد تلقى المسلمون أخباره بالقبول والتصديق؛ لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع، ولم يخالف في ثبوته أي شخص من السلف. وقد ذهبت الجهمية وغيرهم من أهل البدع إلى إنكاره بلا دليل؛ لأنه في زعمهم يستحيل وزن الأعراض، كما أنكروا أن يكون هناك ميزان حقيقي له كفتان ولسان، معرضين عن النصوص الثابتة في ذلك.

### هـ. قول الجهمية بفناء الجنة والنار:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجد الجنة، وأن تكون دار أوليائه إلى الأبد، وأن يوجد النار وأن تكون دار أعدائه إلى الأبد، خلقهما الله وكتب لهما البقاء الأبدي بإبقاء الله تعالى لهما، وهذا هو الثابت في الشريعة الإسلامية، وخالفت الجهمية وجاءوا بأفكار ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان.

قال شمس الدين ابن القيم -رحمه الله- في نونيته:

والجهم أفناها وأفنى أهلها * تبًّا لذاك الجاهل الفتان

ولم يكن لهم ما يستدلون به على إنكارهم إلا مجرد الظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل صاروا يشنعون على السلف لما اعتقدوا بوجود الجنة والنار، ودوامهما في المستقبل.

قال ابن أبي العز -رحمه الله: "وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفّروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهَى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام المذموم التي استدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يخلُ من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم".

لقد زعم الجهم وأتباعه أن الجنة والنار ستفنى بحجة أن ما لا نهايةَ له من الأمور الحادثة المتجددة، بعد أن لم تكن، يستحيل -حسب زعمه- أن تبقى إلى ما لا نهاية، ولم يتصور هذا الرجل أن بعض الأشياء التي شاء الله لها البقاء، أنه يمتنع فناؤها، ولا يوجد له من الأدلة إلا ما قاله أهل الكلام، حينما أرادوا الاستدلال حسب عقولهم على حدوث الأجسام.

والله -تبارك وتعالى- قد أثبت في كتابه، وكذلك النبي ﷺ في سنته، أن الجنة والنار موجودتان الآن، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108] وهذه الآية بينت أن الجنة باقية أبد الآباد لا تفنى ولا يفنى أهلها، ولا ينقطع نعيمها؛ لأنه قال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ يعني: غير منقطع، إلا إذا شاء الله أن يقطعه، فقوته فوق ذلك، ولكن أخبر الله ﷻ أنه لم يشأ أن ينقطع أبدًا، فيجب تصديق رب العالمين في ذلك، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122].

وقال -تبارك وتعالى- في النار: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]، وقال سبحانه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في إثبات هذا المفهوم.

وقد جاءت السنة بتأكيد ثبوت وجود الجنة والنار ودوامهما في المستقبل في أحاديث كثيرة؛ كقوله ﷺ: ((مَن يدخل الجنة ينعم ولا يبأس)). وكما جاء في قوله ﷺ: ((ينادي منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا)). وورد عن ذبح الموت بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، والمذبوح هنا ليس هو ملك الموت

كما يظن البعض، حاشاه من ذلك، وإنما المذبوح هو الموت نفسه على صورة كبش أملح.

وعن دوام النار يقول الله -تبارك وتعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: 80] وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التغابن: 9].

فهذه النصوص تثبت بجلاء دوام الجنة والنار، وأن المنكرين ذلك ليس لهم أي دليل إلا مجرد الاستبعاد، وهو ليس بدليل، وإلا ما قاسوه بأخيلتهم الضعيفة، وإن نازع هؤلاء في دوامهما فقد نازعوا في وجودهما الآن، حيث نفوا ذلك وأصروا على عدم وجودهما الآن؛ بدليل أن الجنة لو كانت موجودة الآن؛ لما ذكر في الأحاديث أن الأعمال الصالحة يغرس بها لصاحبها شجر في الجنة، ونسوا أن البيت الجميل المتكامل البناء والحسن لا يمنع أن يزاد فيه من أنواع التحسينات والنقوش والزخرفة ما يزيده جمالًا وحسنًا. وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أدلة على وجودهما كثيرة، وأنهما موجودتان الآن، وجاء ذلك مثلًا في قوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133] كما قال عن النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 24]..

وقد جاء في السنة النبوية ما يؤكد وجودهما الآن، كما جاء ما يؤكد بقاءهما أبدًا، ومن الأحاديث التي تؤكد وجودهما ما جاء في حديث الإسراء والمعراج: ((ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة)) ﷺ والأحاديث في ذلك كثيرة.